المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للدعوة والاحتساب

قسم الحسبة والرقابة

الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي

دراسة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد:

أمل بنت فهد الجليل

إشراف:

أ.د. الجوهرة بنت صالح الطريفي

الأستاذة الدكتورة بقسم الدعوة

العام الجامعي

١٤٣٩-١٤٤٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(١)، وإن من كلام الله ﷻ وهدي نبينا محمد ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أوجب الله ﷻ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله من أسباب خيرية أمة محمد ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، وبإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُنال الأجور العظيمة من الله ﷻ، وتتحقق مصالح العباد والبلاد، وتُدفع المفاسد والضلالات، وتحفظ الضروريات الخمس التي لا قيام لمصالح الدين والدنيا إلا عند حفظها، أما إن فقدت أو عبث بها فإن مصالح العباد في اضطراب، ولن تجري مصالح الدنيا على استقامة،

---

(١) هذه خطبة الحاجة كما وردت في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عنه قال: «علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: إن الحمد لله»، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حققه وعلق عليه وحكم على أحاديثه: عصام بن موسى هادي، ط١ (الجبيل: دار الصديق، ١٤٣٤هـ)، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم الحديث (٢١١٨)، ص٤٦٦. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ)، ١/٥٩١.

وحل الفساد والتهارج في البلاد، وفي الآخرة يفوت على العباد النجاة والنعيم ويبوؤون بالخسران المبين(١)، "وكل ما يتحقق به حفظ الضروريات الخمس فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة"(٢)، وأول هذه الضرورات الخمس حفظ دين الله ﷻ وتمكينه، وصيانته من عبث العابثين وكيد المبطلين تعطيلًا أو تبديلًا أو تحريفًا(٣). وحيث إن جميع الأفكار والمعتقدات غير الإسلامية فيها عبث وعدوان على الدين وباقي الضروريات الخمس بطريق أو بآخر، فإنه يجب الاحتساب على أصحاب تلك الأفكار والمعتقدات، والأخذ على أيديهم، والتحذير من اتباعهم والاغترار بهم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

ومن العابثين المفسدين الزنادقة الذين يدعون الإسلام وهم في حقيقة أمرهم من أضل الناس وأكثرهم شرًّا وإفسادًا، جمعوا بين فساد الباطن والإفساد في الظاهر، يقصدون صد الناس عن المعروف ونشر المنكرات بينهم.

والمستقرئ للتاريخ الإسلامي يلحظ تباين درجة ظهورهم، وكثرة منكراتهم، وتنوع أعمال الحسبة عليهم في مختلف عصور الأمة الإسلامية. ويعدُّ العصر العباسي من أبرز العصور التي ظهر فيها العناية بالحسبة على الزنادقة، وكانت أعمال الحسبة من مختلف جهات المسؤولية؛ فهناك أعمال حسبة من جهة المسؤولية الإدارية العليا للدولة؛ حيث كان لبعض خلفاء الدولة العباسية أعمال حسبة على الزنادقة، وكذلك الأمراء والقادة. ومن جهة المسؤولية العلمية كان للعلماء والمحتسبين غير الرسميين أعمال حسبة بقي نفع كثير منها إلى عصرنا الحاضر، بالإضافة إلى جهود المحتسبين الرسميين ممن عمل داخل إدارة خاصة بالحسبة على الزنادقة وهي "ديوان الزنادقة"، إضافة لجهود المحتسبين خارج نطاق هذا الديوان. وتعتبر أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي

---

(١) ينظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ضبط وتعليق: مشهور آل سلمان، د.ط (الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ)، ٢/ ١٧.

(٢) المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ص ٢٦٥.

(٣) ينظر: بحث تعزيز ثقافة الحسبة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، قدم لمؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية في الرياض، عام ١٤٣٣هـ، ص٦.

شواهد على أنه من أكثر العصور التي برزت فيها مشكلة الزندقة، وعُرف بكثرة أعمال الحسبة على الزنادقة من أغلب جهات المسؤولية الإدارية أو الدينية في العصر العباسي.

ومن هنا رأت الباحثة تقديم دراسة علمية للتعريف بحقبة زمنية مهمة من تاريخ الحسبة، والتعريف بصنف من المحتسب عليهم هم من أعظم الأصناف ضرراً وشراً، كل ذلك تحت عنوان: (الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يحمل التاريخ الإسلامي في طياته صفحات مشرقة عن الحسبة على الأفكار والمعتقدات الضالة، والسلوكيات الفاسدة، يجدر النظر فيها، واستنباط طرائقها، والدروس المستخلصة منها؛ ليسترشد بها المحتسب في الحاضر والمستقبل؛ فعلم التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية؛ إذ به نعرف أحوال المحتسبين في الماضي حتى تتم فائدة الاقتداء بهم(١)، ونستخلص السنن الربانية في كيفية مواجهة أهل الفساد، والأخذ على أيديهم؛ حفاظًا على الدين، وحماية للمجتمع المسلم من المفسدين؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١]، ومن أنفع طرق مواجهة أهل الفساد إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الغزالي رحمه الله: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"(٢).

والمتأمل في العصر العباسي يلحظ العناية بالحسبة وتطويرها في كثير من الفترات، وفي كافة مجالات الحسبة، كما أن الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي من أهم مراحل الحسبة على الزنادقة في التاريخ الإسلامي لأسباب منها: طول زمن العصر العباسي، وظهور عداوة الزنادقة للدين، وجرأتهم على التشكيك في صحته ومحاولة تحريفه، وتعدد فرقهم التي كانت بداية ظهور

---

(١) ينظر: المقدمة، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ط١ (دمشق: دار البلخي، ١٤٢٥هـ)، ٩٢/١.

(٢)إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ط٣ (دمشق: دار الفكر، ١٤٣٢هـ)، ١٤٢١/٢.

بعضها في العصر العباسي، ويضاف لما سبق كثرة منكراتهم وشناعتها. وبفضل من الله لم تطلق يد الزنادقة في العصر العباسي تعبث وتفسد كما تشاء، وتصدى لهم المحتسبون بمختلف مواقعهم، كل حسب قدرته واستطاعته، فتحقق على أيديهم تغيير المنكر وإقامة المعروف، واستطاعوا بعون الله القضاء على كثير من فتن الزنادقة وشرورهم. والقارئ لكثير من كتب السلف الصالح يتبين له غزارة ما تفيض به كتب العلم من أعمال الحسبة على زنادقة العصر العباسي؛ مما يؤكد أهمية الاعتناء بدراسة الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي؛ باعتبارها مصدرًا علميًّا مهمًّا في تاريخ الحسبة على الزنادقة، واستنباط الفوائد والعبر منها.

إضافة لما سبق بيانه فإن من أسباب اختيار موضوع الدراسة ما يلي:

١/ العمل على تقديم دراسة علمية عن حقبة زمنية من تاريخ الحسبة على الزنادقة؛ لتكون نبراسًا يضيء طريق المحتسب في العصر الحاضر والمستقبل، فيأخذ بما أصاب فيه السابقون، ويتجنب مواضع الخطأ أو القصور.

٢/ بيان منكرات الزندقة المتعلقة بالضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها.

٣/ العمل على جمع وتدوين أهم ملامح الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وتقديمها في دراسة علمية، تكون مرجعًا -بإذن الله تعالى- للباحثين.

التعريف بمفردات الموضوع(١):

الزندقة لغة: الزنديق من الثنوية، وهو معرّب، والجمع الزنادقة، الهاء عوض عن الياء المحذوفة، والاسم الزندقة(٢)، قيل هو معرب "زند كراي"، أي الذي يقول بدوام الدهر، وليس في كلام العرب زنديق، فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا: ملحد ودهري(٣).

الزندقة في اصطلاح الفقهاء: الزنديق هو الذي يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وإن كان

---

(١) سيأتي ذكر مزيد تفصيل في التعريف بالزندقة في المبحث الثاني من الفصل الأول(أبرز أعلام الزنادقة في العصر العباسي) ص٥٤-٥٦.

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤١٤هـ)، ١٤٨٩/٤.

(٣) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ١٤٧/١٠.

يصلي ويصوم ويحج، فهذا زنديق، وهو منافق(١).

التعريف الإجرائي للحسبة على الزنادقة في العصر العباسي:

هي أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الرسمية وغير الرسمية في العصر العباسي التي تقع على الزنادقة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

أهداف الدراسة:

١. الوقوف على تطور الحسبة في العصر العباسي وملامح الاعتناء بها.
٢. الكشف عن عوامل ظهور الزنادقة في العصر العباسي ومجالات الاحتساب عليهم.
٣. التعرف على أصناف القائمين بالحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.
٤. الكشف عن مقاصد الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وغاياتها.
٥. التعرف على درجات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.
٦. الوقوف على آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وأوجه الاستفادة منها.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما ملامح تطور الحسبة في العصر العباسي؟
٢. ما عوامل ظهور الزنادقة في العصر العباسي وما مجالات الاحتساب عليهم؟
٣. ما أصناف القائمين بالحسبة على الزنادقة في العصر العباسي؟
٤. ما مقاصد الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وغاياتها؟
٥. ما درجات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي؟
٦. ما آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وما أوجه الاستفادة منها؟

---

(١) ينظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. موسى الدويش، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ)، ص٣٣٨.

الدراسات السابقة:

قامت الباحثة بحسب وسعها وطاقتها بالبحث في إصدارات الجامعات من الرسائل العلمية التي تناولت موضوع الاحتساب على الزنادقة في العصر العباسي، فلم تجد دراسة علمية عُنيت بالحسبة على الزنادقة في العصر العباسي بجميع أركانها (المحتسب، المحتسب عليه، المحتسب فيه، درجات الحسبة)، لكنها وجدت دراسات علمية تناولت بعض أركان الحسبة على الزنادقة، أو دراسة الزندقة من الناحية العقدية أو التاريخية من غير تفصيل في ذكر الحسبة عليهم بحسب أركان الحسبة، وفيما يلي ذكر الدراسات السابقة التي اطلعت عليها الباحثة:

١/ الاحتساب في العصر العباسي (١٣٢هـ-٦٥٦هـ)، للدكتور فائق المشهداني.

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض.

تناول الباحث فيه مفهوم الاحتساب، وأهميته، وصوره، وأشهر المحتسبين في العصر العباسي، ومراحل تطور الحسبة، وشروط تعيين المحتسب.

وتختلف الدراسة العلمية المقدمة من الباحثة عن البحث السابق في أن هذه الدراسة العلمية تتناول الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي على وجه الخصوص بجميع أركان الحسبة، بينما البحث السابق تناول الحسبة في العصر العباسي عمومًا دون أن يتطرق للمحتسب عليهم ولا درجات الحسبة.

٢/ الزندقة وأثرها على الإسلام، للباحث عبد الرحمن الصالح الخضير.

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٦هـ.

تناول الباحث فيه معتقدات الزنادقة وفرقهم، وأثرهم في تشكيك بعض الناس في العقيدة الإسلامية، وجهود الخلفاء والولاة في قتالهم والقضاء عليهم.

وتختلف الفكرة المقدمة من الباحثة عن البحث السابق في أن الباحثة ستتناول بالعرض والدراسة جميع أركان الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي بشيء من التفصيل، وهو ما لم يتناوله الباحث في بحثه لكونه بحثًا تكميليًّا، فاكتفى بدراسة المحتسب عليهم (الزنادقة) مع بيان

مختصر لبعض منكراتهم، واكتفى من أعمال الحسبة بحسبة الخلفاء والولاة، كما أن مجال بحثه الزمني لم يقتصر على العصر العباسي بل تناول ما قبله وبعده من العصور، مما جعل عرضه لواقع الزندقة والحسبة عليها في العصر العباسي مختصرًا.

٣/ وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ -٣٣٣هـ) دراسة تحليلية تقويمية، للدكتور سليمان الحبس.

قدمها لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٧هـ.

ركز الدكتور في دراسته على وسائل وأساليب الدعوة في العصر العباسي الثاني، وتناول موضوع الحسبة في العصر العباسي الثاني باختصار حينما كتب عن حرص الدعاة على إنكار المنكرات والقضاء عليها في المبحث الأول من الفصل الأول بالباب الثالث، وكتب عن تعيين المحتسبين في المبحث الثالث من الفصل الرابع في الباب الثالث.

وتختلف هذه الدراسة في أنها تناولت موضوع الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي من خلال استيعاب جميع أركان الحسبة، أما البحث السابق فتناول موضوع المحتسب على المنكرات في العصر العباسي وباختصار، ولم يأتِ على باقي الأركان.

كما أن المجال الزمني للبحث السابق هو العصر العباسي الثاني فقط، أما الدراسة المقدمة من الباحثة فهي تشمل كامل العصر العباسي إلى حين سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ.

٤/ الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول: مشكلاتها وأساليب مواجهتها، للدكتور علي بن أحمد مشاعل.

قدمها لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٩هـ.

عرض الباحث في الفصل الثاني من الباب الثالث تحت عنوان "التصدي لأفكار الملاحدة والزنادقة" معنى الزندقة وأفكارها وأبرز أعلامها في ذلك العصر، ثم بين جهود الخلفاء وبعض الدعاة في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة المقدمة من الباحث في اقتصاره على تناول جهود الخلفاء

والدعاة في الاحتساب على الزنادقة باعتبارها إحدى مشاكل العصر العباسي دون تفصيل في بيان جميع أركان الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي، ولم يتطرق إلى جهود غيرهم في الحسبة على الزنادقة، ولم يفصل في بيان منكرات الزنادقة ودرجات الحسبة عليهم، كما أن المجال الزمني لبحثه كان العصر العباسي الأول، أما الدراسة المقدمة من الباحثة فهي تشمل كامل العصر العباسي إلى حين سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ.

٥/ الزنادقة: فرقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم، للأستاذ الدكتور سعد بن فلاح العريفي.

قدمها لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٣هـ.

تناول الباحث في دراسته الجانب العقدي عند الزنادقة من حيث: جذورها، وأهدافها ومعتقداتها، وفرقها، وأثرها على الفرق الأخرى، كما ذكر جهود أئمة المسلمين في محاربتها من عصر الخلفاء الراشدين إلى العصر الحاضر.

وهي دراسة متميزة ذات قيمة علمية عالية في مجال العقيدة، نافعة لكل باحث في مجال الحسبة على الزنادقة يقصد الإلمام بركن المحتسب والمحتسب عليهم والمحتسب فيه في كافة العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر؛ فالباحث سطر في بحثه كثيرًا من أعلام الحسبة على الزنادقة من العصر النبوي إلى عصرنا الحاضر، وتتبع ودون كثيرًا مما ورد عن فرق الزندقة وأبرز أعلامها في مختلف العصور، مع ذكر بعض أعمال الحسبة عليهم.

وتختلف هذه الدراسة عن البحث المقدم من الباحثة في أن الباحثة جعلت المجال الزمني لدراستها العصر العباسي فقط، كما أنها ستقتصر على دراسة أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي دون تفصيل في دراسة الزندقة من الجانب العقدي واستيفاء فرقها، وهو ما تناوله الأستاذ الدكتور سعد العريفي في بحثه.

كما أن هذه الدراسة تناولت بالتحليل نصوص الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي لاستخلاص مقاصد الحسبة وأركانها، وهو ما لم يتناوله الأستاذ الدكتور سعد بالتفصيل في بحثه، على اعتبار أن دراسته معنية بالجانب العقدي أكثر من جانب الحسبة.

٦/ أثر خلفاء بني العباس في العقيدة، للدكتورة أحلام بنت صالح الضبيعي.

قدمتها لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٢هـ.

خصصت الباحثة الفصل الثاني من الباب الثاني عن الزنادقة تحت عنوان: "أثر خلفاء بني العباس تجاه الزنادقة"، سردت فيه الباحثة فرق الزنادقة وجملة من الأعمال التي قام بها خلفاء الدولة العباسية في مواجهتهم للزنادقة.

وتختلف هذه الدراسة عن دراسة الدكتورة أحلام في أن الباحثة تناولت الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي بجميع أركانها، أما الدراسة العلمية المقدمة من الدكتورة أحلام فكانت معنية بتناول الجانب العقدي أكثر بكثير من بيان أعمال الحسبة على زنادقة العصر العباسي، وذكر أعلام الحسبة ودرجاتها.

٧/ الزندقة في العصر العباسي الأول ودور العلماء في الرد عليها، للدكتورة نجاة موسى الديب.

قدمتها لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، عام ١٤٠٣هـ.

تناولت الدكتورة نجاة فيها فرق الزنادقة ومصادرها، مع ذكر جهود بعض الخلفاء والعلماء في العصر العباسي الأول في مواجهتهم والرد عليهم.

وتختلف هذه الدراسة عن بحث الدكتور نجاة في تناول هذه الدراسة الحسبة على الزنادقة في كامل العصر العباسي وبيانها لجميع أركان الحسبة، أما بحث الدكتورة نجاة فهي دراسة عقدية خاصة ببيان فرق الزنادقة ومصادرها وهو ما يتعلق بالمحتسب عليه دون باقي أركان الحسبة، كما أن المجال الزمني لبحث الدكتورة نجاة هو العصر العباسي الأول دون باقي عصور الدولة العباسية.

منهج البحث:

نظرًا لطبيعة موضوع البحث الذي تعددت جوانب دراسته؛ حيث إنها دراسة تجمع بين الجانب التاريخي وجانب العقيدة والسياسة الشرعية، فقد تم اختيار المنهج الاستقرائي الناقص منهجًا لإعداد هذه الدراسة العلمية عن الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي، وهذا المنهج

"تدرس فيه بعض الجزئيات أو أجزاء الشيء الذي هو موضوع البحث، وتعتبر فيه النماذج المدروسة أساسًا تقاس عليه بقية الأجزاء أو الجزئيات"(١).

وذلك بالرجوع للكتاب العزيز والسنة النبوية باعتبارهما الأساس في دراسة الحسبة على الزنادقة، والرجوع لكتب التاريخ والتراجم وغيرها باعتبارها الوعاء الذي تؤخذ منه القصص والمواقف التي يستنبط منها أعلام زنادقة العصر العباسي، والوقوف على شيء من سيرتهم وما ارتكبوه من المنكرات، ويستنبط منها أبرز أعلام الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي بمختلف مواقع مسؤولياتهم في الحسبة، والدرجات التي استخدموها في الحسبة على الزنادقة، مع بيان التأصيل الشرعي لتلك الدرجات وضوابطها إن وجدت.

تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

أهداف الدراسة.

التعريف بمفردات الموضوع.

تساؤلات الدراسة.

الدراسات السابقة.

منهج البحث.

الفصل التمهيدي: تطور الحسبة في العصر العباسي.

المبحث الأول: التعريف بعصر الدولة العباسية.

المبحث الثاني: الاعتناء بالحسبة في العصر العباسي وتطويرها.

الفصل الأول: الزنادقة في العصر العباسي ومجالات الحسبة عليهم.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، ط٤ (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ)، ص١٩٣.

المبحث الأول: عوامل ظهور الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثاني: أبرز أعلام الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثالث: مجالات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

الفصل الثاني: أصناف القائمين بالحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الأول: المحتسبون من خلفاء الدولة العباسية.

المبحث الثاني: المحتسبون من أمراء البلدان والجيوش في الدولة العباسية.

المبحث الثالث: المحتسبون الذين عينهم خلفاء الدولة العباسية على الحسبة.

المبحث الرابع: المحتسبون من العلماء والدعاة.

الفصل الثالث: مقاصد الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وغاياتها.

المبحث الأول: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالدين.

المبحث الثاني: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالنفس.

المبحث الثالث: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعقل.

المبحث الرابع: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعرض.

المبحث الخامس: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالمال.

الفصل الرابع: درجات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الأول: درجة التعريف.

المبحث الثاني: درجة التوبيخ والزجر.

المبحث الثالث: درجة التشهير.

المبحث الرابع: درجة التغيير باليد.

المبحث الخامس: درجة الضرب.

المبحث السادس: درجة الحبس.

المبحث السابع: درجة القتل.

الفصل الخامس: آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وأوجه الاستفادة منها.

المبحث الأول: آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثاني: أوجه الاستفادة من الحسبة على الزنادقة.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي:

تطور الحسبة في العصر العباسي

المبحث الأول: التعريف بعصر الدولة العباسية.

المبحث الثاني: الاعتناء بالحسبة في العصر العباسي وتطويرها

المبحث الأول:

التعريف بعصر الدولة العباسية

مرت الأمة الإسلامية بعصور متتابعة متفاوتة في الأفضلية بينها الذي لا ينطق عن الهوى رسول الله ﷺ بقوله: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»(١) فكان أولها وأفضلها العصر النبوي الذي امتد ثلاثة وعشرين عامًا، ثم تلاه عصر الخلفاء الراشدين في ثلاثين عامًا، ثم عصر الدولة الأموية الذي استمر حوالي تسعين عامًا، وبعد سقوطها قامت الدولة العباسية عام ١٣٢هـ(٢)، وظلت قائمة حوالي أربع وعشرين وخمسمائة عام إلى أن سقطت بغداد عاصمة الخلافة في يد هولاكو ودخلها التتار سنة٦٥٦هـ(٣) بتدبير من الوزير الخبيث الرافضي ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء الدولة العباسية. وترجع تسمية الدولة العباسية بهذا الاسم نسبة إلى العباس بن عبدالمطلب ﵁ عم الرسول ﷺ(٤)، وبنو العباس من آل البيت، كما دلت عليه نصوص السنة، منها قول زيد بن أرقم ﵁: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبا بماء يدعى خما(٥) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين**(٦)**، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي،**

---

(١) الصحيح الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الشهير بصحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق ومراجعة: محب الدين الخطيب وآخرين، ط١ (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ)، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٦٥١)، ٦/٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٤٤/١٠.

(٣) ينظر: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، د. فتحي زغروت، ط١ (القاهرة: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ)، ص٤٠.

(٤) ينظر: الدولة العباسية، د. أسامة أبو طالب، ط١ (عمان: دار البداية، ١٤٣٥هـ)، ص٣١.

(٥) اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)١٥/١٧٩.

(٦) قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل: لثقل العمل بها. المرجع سابق، ١٥/١٧٩

أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم(١).

وتعاقب على دفة الحكم في العصر العباسي سبعة وثلاثون خليفة، كان ترتيبهم في تولي دفة الحكم على النحو التالي:

١/ أبو العباس السفاح (١٣٢ -١٣٦هـ).

٢/ أبو جعفر المنصور (١٣٦ -١٥٨هـ).

٣/ محمد المهدي (١٥٨ -١٦٩هـ).

٤/ موسى الهادي (١٦٩ -١٧٠هـ).

٥/ هارون الرشيد (١٧٠ -١٩٣هـ).

٦/ محمد الأمين (١٩٣ -١٩٦هـ).

٧/ عبدالله المأمون (١٩٦ -٢١٨هـ).

٨/ محمد المعتصم بالله (٢١٨ -٢٢٧هـ).

٩/ هارون الواثق بالله (٢٢٧ -٢٣٢هـ).

١٠/ جعفر المتوكل على الله (٢٣٢ -٢٤٧هـ).

١١/ محمد المنتصر بالله (٢٤٧ -٢٤٨هـ).

١٢/ أحمد المستعين بالله (٢٤٨ -٢٥٢هـ).

١٣/ محمد المعتز بالله (٢٥٢ -٢٥٥هـ).

١٤/ محمد المهتدي بالله (٢٥٥ -٢٥٦هـ).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم الحديث (٢٤٠٨)، ص١٢٦٩.

١٥/ أحمد المعتمد على الله (٢٥٦ -٢٧٩هـ).

١٦/ أحمد المعتضد بالله (٢٧٩ -٢٨٩هـ).

١٧/ علي المكتفي بالله (٢٨٩ -٢٩٥هـ).

١٨/ جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ -٣٢٠هـ).

١٩/ محمد القاهر بالله (٣٢٠ -٣٢٢هـ).

٢٠/ أحمد الراضي بالله (٣٢٢ -٣٢٩هـ).

٢١/ إبراهيم المتقي لله (٣٢٩ -٣٣٣هـ).

٢٢/ عبدالله المستكفي بالله (٣٣٣ -٣٣٤هـ).

٢٣/ الفضل المطيع لله (٣٣٤ -٣٦٣هـ).

٢٤/ عبدالكريم الطائع لله (٣٦٣ -٣٨١هـ).

٢٥/ أحمد القادر بأمر الله (٣٨١ -٤٢٢هـ).

٢٦/ عبدالله القائم بأمر الله (٤٢٢ -٤٦٧هـ).

٢٧/ عبدالله المقتدي بأمر الله (٤٦٧ -٤٨٧هـ).

٢٨/ أحمد المستظهر بالله (٤٨٧ -٥١٢هـ).

٢٩/ الفضل المسترشد بالله (٥١٢ -٥٢٩هـ).

٣٠/ المنصور الراشد بالله (٥٢٩ -٥٣٠هـ).

٣١/ المقتفي لأمر الله (٥٣٠ -٥٥٥هـ).

٣٢/ يوسف المستنجد بالله (٥٥٥ -٥٦٦هـ).

٣٣/ الحسن المستضيء بأمر الله (٥٦٦ -٥٧٥هـ).

٣٤/ أحمد الناصر لدين الله (٥٧٥ -٦٢٢هـ).

٣٥/ محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٢ -٦٢٣هـ).

٣٦/ المنصور المستنصر بالله (٦٢٣ -٦٤٠هـ).

٣٧/ عبدالله المستعصم بالله (٦٤٠ -٦٥٦هـ).

ومن خلال استقراء مجموعة من النصوص التاريخية التي تحدثت عن العصر العباسي يمكن إجمال أبرز السمات العامة لذلك العصر في النقاط التالية:

١/ طول عمر الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ)؛ حيث امتد إلى ما يقرب من خمسة قرون وربع القرن(١)، ولم تكن على نمط واحد من ناحية قوة سلطة الخلفاء؛ فكان هناك تفاوت واضح في سلطتهم(٢)؛ ونتيجة لذلك دأب الباحثون على تقسيم هذا العصر الممتد إلى عصور(٣) تنوعت اتجاهات المؤرخين في تقسيمه، وعلة هذا التقسيم(٤)، إلا أنها تتفق على اعتبار السنوات الأولى من عمر الدولة العباسية -والتي امتدت إلى مائة عام أو تزيد عليها بقليل(٥)- أكثر سنوات العصر العباسي قوة؛ حيث كان للخليفة العباسي تمام السلطان والسيطرة على أركان الدولة وأمصارها، ثم أعقب ذلك سنوات أقل منها قوة، وبعضها عُدت من سنوات ضعف الدولة العباسية؛ حيث كانت السلطة فعليًّا في أيدي بعض الأمراء أو الوزراء.

٢/ ضعف سلطة الخلفاء العباسيين على المغرب العربي؛ مما أدى إلى قيام دويلات انفصلت عن جسد الخلافة العباسية واستقلت بإدارة شؤونها(٦)؛ حيث قامت دولة بني أمية في أقصى المغرب ببلاد الأندلس سنة ١٣٧هـ، وسرعان ما نشأت بعد ذلك دويلات في شمال إفريقية، ثم في أجزاء أخرى من الدولة العباسية.

وكان انفصال بعض الدول انفصالًا تامًّا كالدولة الأموية في الأندلس، بينما ظل بعضها على

---

(١) ينظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط٦ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢١هـ)، ص٧.

(٢) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، ط٨ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٥م)، ٢٠/٣.

(٣) ينظر: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٧.

(٤) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ٢١/٣.

(٥) ينظر: العباسيون الأوائل، أ.د. فاروق عمر فوزي، ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ١٤٢٤هـ)، ٦٥١/٢.

(٦) ينظر: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، د. أمينة البيطار، ط١ (الرياض: مكتبة دار القلم والكتاب، ١٤١٨هـ)، ص٧٠.

علاقة اسمية بالدولة العباسية، كدولة بني الأغلب في شمال إفريقيا؛ حيث زعموا لأنفسهم الحق في تعيين من دونهم من العمال، وأصبحوا أصحاب السيادة في ولاياتهم(١).

وكانت علاقة الولايات التي ارتبطت بدار الخلافة العباسية اسمية لا تتعدى الاعتراف بسلطة الخليفة، ويتمثل هذا الاعتراف في أن يعهد الخليفة إلى الوارث بالإمارة دعمًا لشرعية حكمه، وفي دعاء الوالي للخليفة في خطبة الجمعة والعيدين، وضرب اسمه على السكة، وأن يرسل الأمير إلى بيت المال مبلغًا يتفق عليه، أو بعض الهدايا سنويًّا(٢).

ونشأت دويلات شيعية، سلكت مسلكًا بعيدًا عن هدي النبي ﷺ، ومن تلك الدويلات: القرامطة الذين سيطروا على الجزيرة العربية باستثناء منطقة عسير، ووصلوا إلى الشام، وطرقوا أبواب مصر. والحمدانيون الذين أخضعوا شمال بلاد الشام لسلطتهم. والدولة العبيدية (الفاطمية) في شمالي إفريقية ومصر التي جعلوها قاعدة ملكهم(٣).

٣/ كان أكثر خلفاء الدولة العباسية ملتزمون بعقيدة السلف الصالح، ولهم جهود في نشرها والدفاع عنها؛ فعلى طول عصر الدولة العباسية لم يكن للبدعة ظهور قوي وانتشار باستثناء فترات قليلة منها: زمن خلافة المأمون والمعتصم والواثق والناصر الذين أيدوا بدعة الاعتزال والتشيع وتسببوا في نشرها بدافع اقتناعهم بها عن جهل منهم بحقيقتها(٤)، ففي سنة ٢١١هـ أظهر المأمون التشيع، وأمر بأن يقال خير الخلق بعد النبي ﷺ علي رضي الله عنه، وأمر بالنداء أن برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير"(٥).

وكان منشأ تأثر المأمون بالتشيع أحمد بن أبي دُؤاد فقد كان معظمًا عنده، ويصغي إلى كلامه، فدس له القول بخلق القرآن، وحسنه وصيره يعتقده حقًّا مبينًا حتى أجمع رأيه في سنة ٢١٨هـ على

---

(١) ينظر: الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٥٣.

(٢) ينظر: معالم الحضارة العربية الإسلامية في القرن الثالث الهجري، أحمد عبدالباقي، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م)، ص٣٥.

(٣) ينظر: التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ٥/٥٧.

(٤) ينظر: أثر خلفاء بني العباس في العقيدة، مرجع سابق، ص٥٣٢-٥٣٤.

(٥) دول الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: حسن مروة، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م)، ١/١٨٣.

الدعاء إليه[١]، وأظهر المأمون قول المعتزلة في القرآن الكريم؛ فقال بخلق القرآن، ثم امتحن العلماء بالقول بخلق القرآن، وكتب إلى نوابه، وتهدد على ذلك، واشتد الخطب، وعظمت الرزية في الدين، فأجاب أكثر الناس مكرهين يتقون شر المأمون[٢]، وكان من شدة حرص المأمون على قرب المعتزلة وعلو منزلتهم في دار الخلافة أنه أوصى أخاه المعتصم قبيل وفاته قائلًا: وأبو عبد الله بن أبي دُؤاد فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع لذلك منه[٣]، فاستمرت المحنة على حالها إلى عهد الواثق، فكان للمعتزلة في عهد هؤلاء الثلاثة الكلمة المسموعة، والسلطة الدينية المطاعة، ثم إن الله ﷻ كشف الغمة عن الأمة في ولاية المتوكل على الله؛ حيث أمر برفع المحنة، وإظهار الكتاب والسنة[٤].

ومن الفترات التي انتشرت فيها بدعة التشيع ما كان بسبب ضعف أمر الخليفة دون اعتناق الخليفة لها، كما حدث في عصر المستكفي والمطيع لله والطائع لله؛ ففي بداية القرن الرابع الهجري استطاع بنو بويه تأسيس دول انفصالية في شرق إيران، وكان وضع الخلافة العباسية آنذاك حرجًا بحكم ثورات الزنج والقرامطة، ونمو الحركات الانفصالية، فدعا الخليفة المستكفي أحمد بن بويه وكان شيعيًّا[٥] إلى دخول بغداد عام ٣٣٢هـ لوضع حد للحالة المتردية، فدخلها عام ٣٣٤هـ، وكان يخفي بين جنبيه روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين له في المذهب، وخلع عليه الخليفة وعينه أميرًا للأمراء، ولقبه معز الدولة[٦]، وامتدت سيطرة البويهيين لمدة مائة وثلاثة عشر عامًا (٣٣٤-٤٤٧هـ)، تعاقب في هذه المرحلة أربعة خلفاء: المطيع لله، ثم الطائع لله، ثم القادر بالله، ثم القائم بأمر الله[٧]، وكان هؤلاء الخلفاء الأربعة على درجة طيبة من الاستقامة والتدين، لكن

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي و د. عبدالفتاح الحلو، ط٢ (القاهرة: دار هجر، ١٤١٣هـ)، ٣٨/٢.

(٢) ينظر: دول الإسلام، مرجع سابق، ١٨٤/١، ١٨٨.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الإمام محمد بن جرير الطبري، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ١٩٦/٥.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ)، ٤٧٩/١١.

(٥) ينظر: دول الإسلام، مرجع سابق، ٣٠٦/١.

(٦) ينظر: التاريخ الإسلامي الوجيز، د. محمد سهيل طقوش، ط٥ (بيروت: دار النفائس، ١٤٣٢هـ)، ص١٨٨.

(٧) ينظر: التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ١٤١/٦.

من حيث القوة في إدارة الدولة ومواجهة البدعة كان المطيع لله والطائع لله مغلوبين على أمرهما، وكان زمام إدارة الدولة العباسية بيد البويهيين الذين صدرت منهم في تلك الفترة أعمال منكرة منها: إلزام معز الدولة البويهي الناس يوم عاشوراء من عام ٣٥٢هـ بغلق الأسواق، ونصبوا القباب[١] في الأسواق، وعلقوا عليها المسوح[٢]، وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين ﷺ، وهذا أول يوم نيح عليه فيه ببغداد، واستمرت هذه البدعة سنين، وفي نفس العام يوم الثاني عشر من ذي الحجة عمل عيد غدير خم[٣] [٤].

واستمرت البدع في الظهور إلى أن تولى الخليفة القادر بالله رحمه الله الحكم سنة ٣٨١هـ[٥] الذي كان نسيج وحده بين الخلفاء العباسيين في قوة نصرته للسنة والقضاء على مظاهر البدع في بغداد، وأقواهم في التخلص من سيطرة البويهيين[٦]، وحارب البدعة فكبتها، وأقام السنة وأعز أهلها، وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة[٧]، وكتب الاعتقاد القادري الذي كان عامته من نظم الشيخ أبي أحمد الكرجي[٨]، وجمع الناس عليه، وأمر باستتابة من خرج عنه من معتزلي ورافضي وخارجي[٩]، وقرئ في المساجد والجوامع، وعندما تولى ابنه الخليفة القائم بأمر الله الخلافة

(١) القُبة: بناء مستدير مقوس مجوف يُعقد بالآجر ونحوه، ويطلق على الخيمة الصغيرة أعلاها مستدير، والجمع قِباب وقُبب. ينظر: المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ)، ص٧٠٩

(٢) المسوح جمع مفردها مسح: وهي الكساء من شَعر وثوب الراهب. ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص٨٦٨

(٣) جعل الشيعة الثامن عشر من ذي الحجة عيداً وموسماً من المواسم التي يحتفل الناس بها، ويخصُّونها بشيء من القرب كالإعتاق والذبح ونحو ذلك، وهو بدعة باطلة، وأساسها الذي اعتمدت عليه أمرٌ باطل لا شك في بطلانه، وهو زعمهم أن النبي ﷺ في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة عشرة للهجرة، وهو قافلٌ ﷺ من حجة الوداع، أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب ﷺ بمكان يسمى غدير خم. والشيعة يفضلونه على عيدي الفطر والأضحى ويسمونه بالعيد الأكبر. ينظر: البدع الحولية، عبدالله بن عبدالعزيز التويجري، ط١(الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ)، ص٣٧٩.

(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن محمد السيوطي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ)، ص٣١٧.

(٥) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين الخطيب، ط١ (بيروت: دار البشائر، ١٤١٣هـ)، ٣٢٥/١.

(٦) ينظر: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، عبدالمجيد البدوي، ط٢ (المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ)، ص٦٤.

(٧) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق،١٢/ ٢٦.

(٨) ينظر: الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ)، ٢/ ١٦٢.

(٩) ينظر: العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عبدالله البراك، ط١

بعد موته احتفى بهذا الاعتقاد احتفاءً كبيرًا، حتى إن ابن الجوزي رحمه الله كان يسميه "الاعتقاد القادري القائمي"(١).

"واستمرت نصرة خلفاء الدولة العباسية من بعده لعقيدة السلف الصالح إلى عصر الخليفة الناصر (٥٧٥-٦٢٢هـ)"(٢) الذي أظهر التشيع، وكان السبب في تشيعه تأثير ابن الصاحب عليه(٣)، "الذي كان رافضيًّا سبابًا، تمكن وأحيا شعار الإمامية، وعمل كل قبيح إلى أن طُلب إلى الديوان فقتل"(٤).

٤/ "اتسم العصر العباسي بحراك علمي وثراء معرفي في كثير من العلوم والمعارف؛ ففي العصر الأموي كانت هناك مجاميع كثيرة من الكتب يعرفها الناس إلا أنها غير مرتبة، ولم تصنف على أسلوب دقيق"(٥)، فلما جاء العصر العباسي وبخاصة في خلافة أبي جعفر المنصور بدأ الحراك العلمي واستمر في النمو والازدياد(٦)؛ حيث مُيزت العلوم، وجمعت مسائل كل علم على حدة، ووضعت المسائل المتشابهة تحت باب واحد(٧)، وقام هذا الحراك العلمي على دعائم عدة منها:

(أ) مكانة العلم ورفعة قدر أهله، فالمتدبر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يقف على كثير من النصوص التي تبين رفعة العلم والعلماء؛ قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ

(الرياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ)، ٢/١٣٠٣.

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد ومصطفى ابني عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ)، ١٦/١٠٦.

(٢) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، محمد الخضري بك، تحقيق: محمد العثماني، ط١ (بيروت: دار القلم، ١٤٠٦هـ)، ص٥٣٢.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالرحمن تدمري، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ)، ٤٥/٨٥.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد ابن العماد العكري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ)، ٦/٤٥٨.

(٥) محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، د. يوسف العش، حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق، ١٣٩٦هـ، ص٢١٦.

(٦) ينظر: العصر الذهبي للدولة العباسية، د. محمد السيد الوكيل، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ)، ص٩١.

(٧) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت)، ٢/١١.

لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

(ب) أمر الله بالاستزادة من العلم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

(ج) وجود ثلة مباركة من علماء السلف الصالح من طبقة أتباع التابعين، هذه الطبقة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»(١)، نالت هذه الطبقة أصحاب القرن الثالث في هذا الحديث حظًّا وافرًا من هذه الخيرية التي شملت خيرية العلم والفهم والتدين، وكان من علماء العصر العباسي من لهجت بمدحهم وذكرهم الألسنة، وانكب طلبة العلم إلى زماننا على كتبهم التي لا غنى لطلاب العلم عنها.

(د) دعم بعض خلفاء الدولة العباسية وأصحاب الولايات لأهل العلم؛ حيث أظهروا لهم الإجلال والرفعة والإكرام، ووصلوهم بالعطايا الوافرة، وجعلوهم أهل الشورى(٢).

(هـ) كان لازدهار صناعة الورق التي أدخلها الفضل بين يحيى في بغداد أيام هارون الرشيد(٣) أثرها الإيجابي في دفع عجلة حركة تصنيف الكتب ونسخها(٤)، وبانتشار صناعة الوِراقة أصبح الحصول على الورق سهلًا وبأسعار زهيدة(٥)؛ فجد الوراقون في نسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وبيعها(٦).

---

(١) سبق تخريجه ص١٤.

(٢) ينظر: أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر ابن عاشور، ط١ (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٧هـ)، ص٣١.

(٣) ينظر: المقدمة، مرجع سابق، ١٢٨/٢.

(٤) ينظر: الوراقون والنساخون ودورهم في الحضارة العربية الإسلامية، د. سيد أحمد الناصري، مجلة الدرة، العدد الرابع، ١٤٠٩هـ، ص١٨٣.

(٥) ينظر: أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية، نضال عبد العال أمين، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٤٠٧هـ، ص١٢٦.

(٦) ينظر: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ٢٤/٢.

وعلى رأس العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي العلوم الشرعية؛ فإنه لما بعُد النقل عن زمن رسول الله ﷺ احتيج إلى وضع التفاسير لآيات القرآن الكريم، والتوسع في تدوين الحديث النبوي مخافة ضياعه، ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من الكتاب والسنة(١)، وفي علم التفسير لم تظهر الطريقة المرتبة وفق ترتيب سور القرآن إلا في العصر العباسي؛ حيث كانت كتب التفسير قبلها تشتمل على تفسير آيات من القرآن دون التزام بترتيبها بحسب ترتيب المصحف لسور القرآن الكريم، باستثناء تفسير ابن عباس رضي الله عنه، وبرز كثير من المفسرين في العصر العباسي منهم(٢): الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) رأس المفسرين على الإطلاق، صاحب تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، وهو أجل التفاسير، ولم يؤلف مثله بشهادة العلماء، وأحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله (٤٢٧هـ) صاحب "الكشف والبيان"، والحسين بن مسعود البغوي رحمه الله (٥١٦هـ) صاحب "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، وقد كان إمامًا في التفسير، وعبدالرحمن ابن علي ابن الجوزي رحمه الله (٥٩٧هـ) صاحب كتاب "زاد المسير في علم التفسير".

وأما علم الحديث النبوي فصنفت المسانيد المعتمدة في الملة، وأمهات الكتب الحديثية وأصولها(٣)، وفي مقدمتها "الموطأ" للإمام مالك بن أنس رحمه الله (١٦٩هـ)، الذي قيل إنه أول كتاب صنف في الإسلام(٤)، ثم أعقبها كتب الصحاح والسنن والمسانيد التي من أشهرها(٥): مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (٢٤٤هـ)، ثم صنف محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (٢٥٦هـ) إمام المحدثين في عصره كتاب "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله (٢٦٣هـ) فصنف "المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ"، ثم سنن محمد بن يزيد ابن ماجه

---

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، د.ط (بيروت: دار العلوم الحديثة، د.ت)، ٤١/١.

(٢) ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١ (د.م: مطبعة الحضارة العربية، ١٣٩٦م)، ٢٨-٩٦.

(٣) ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، ط٥ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٤هـ)، ص١٠-١٢.

(٤) ينظر: أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، مرجع سابق، ص٢٩.

(٥) ينظر: المقدمة، مرجع سابق، ١٧٩/٢-١٨٠.

رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٧٣هـ)، ثم سنن أبي داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨٠هـ)، وسنن أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨٠هـ)، ثم سنن أحمد بن شعيب النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٠٣هـ)، وكان لبعض خلفاء الدولة العباسية أحاديث مسندة للرسول ﷺ[١].

أما علم الفقه[٢] فظهرت المذاهب الفقهية الأربعة التي يسميها الفقهاء "مذاهب الأمصار"، أي أنها انتشرت في الأمصار الإسلامية، ولا يخلو مصر منها[٣]، وأول هذه المذاهب ظهورًا مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٠هـ)، ثم ظهر مذهب الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧٩هـ)، ثم مذهب الإمام الشافعي محمد بن إدريس رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٤هـ)، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤٤هـ).

وفي علم أصول الفقه "يعتبر الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٤هـ) بكتابه "الرسالة" هو المبتكر لهذا العلم بلا نزاع، وأول من صنف فيه بالإجماع"[٤].

أما علم السيرة النبوية فكان سبب بدء التصنيف فيه "أن محمد بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥١هـ) دخل على الخليفة المنصور رَحِمَهُ اللَّهُ وبين يديه ابنه المهدي فقال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين، قال: اذهب، فصنف له كتابًا منذ خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يومك هذا، فلما جاء به إليه قال له الخليفة: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره، فاختصره، وهو كتاب السيرة الذي شاع بين الناس، أما الكتاب الكبير فوضعه في خزانة الخليفة"[٥]، وحرص فيه على جرد الأحاديث المتعلقة بالسيرة، وزاد عليها غيرها من أشعار قيلت

---

(١) ينظر: أثر خلفاء بني العباس في العقيدة، مرجع سابق، ص١١٥-١٢٣.

(٢) ينظر: المقدمة، مرجع سابق، ٢/١٨٥-١٩٦.

(٣) ينظر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة، أحمد تيمور باشا، ط١ (بيروت: دار القادري، ١٤١١هـ)، ص٣١.

(٤) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ)، ص٤٥.

(٥) تاريخ بغداد وذيوله، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ١/٢٣٦-٢٣٧.

وأخبار رويت، وكوّن من ذلك كله "السيرة النبوية"[1]، والذي وصلنا مختصرًا في "سيرة ابن هشام" رحمه الله (٢١٣هـ)، ومن المصنفين في السيرة والذين أذاعوا هذا العلم وتركوا بعدهم أثرًا، محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) بكتابه "المغازي"[2].

وفي علم التاريخ[3] برز من المؤرخين: الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) الذي كان إمامًا في التاريخ والتفسير، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، وأبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله (٦٣٠هـ) صاحب التاريخ المسمى بـ "الكامل في التاريخ"، وعبدالرحمن ابن أبي الحسن المعروف بابن الجوزي رحمه الله (٥٩٧هـ) في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم".

وفي القرن الثاني والثالث من العصر العباسي نشأت علوم اللغة العربية[4]؛ فوضعت القوانين النحوية نتيجة لفشو فساد اللسان في ذلك العصر[5]، ومن أشهر أعلام اللغة في العصر العباسي: الخليل واضع علم النحو (١٧٩هـ)، وسيبويه (١٨٠هـ)، وإمام العربية في بغداد المبرد صاحب كتاب "الكامل" (٢٨٥هـ)[6].

كما برز في باقي فنون العربية كالشعر أبو تمام الطائي (٢٣١هـ)، وأبو الطيب أحمد المتنبي (٣٥٤هـ). أما التصنيف في الأدب فبرز فيه الأصمعي (٢١٦هـ)، ويونس بن حبيب الضبي شيخ سيبويه (١٨٢هـ)، ثم تلاهم الجاحظ (٢٥٥هـ)، أما علم البلاغة فلم يدون ويفرد بالتسمية والتأليف إلا في القرن الخامس؛ لأنه كان مندرجًا في جملة علم الأدب، وأول من دون فيه عبدالقاهر

(١) ينظر: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ١٣٧/٢.

(٢) ينظر: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د. فاروق حمادة، ط٣ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ)، ص٩٤.

(٣) ينظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠٧هـ)، ٩٠/٣-٩٢.

(٤) ينظر: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، ناصر محمد رمضان، د.ط (القاهرة: دار غريب، د.ت)، ص٤٦.

(٥) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، ٤١/١.

(٦) ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ)، ٢٦٧٨/٦.

الجرجاني (٤٧١هـ)[١].

ومن العلوم والمعارف التي شملتها حركة التصنيف والتأليف علم الجغرافيا الذي برز فيه اليعقوبي (٢٩٥هـ) بكتابه الذائع الصيت "البلدان" الذي يعدُّ من أقدم مصنفات الجغرافيا العربية. كما حظيت العلوم الطبية بنصيب وافر من العناية والدراسة؛ فبرز في الطب أبو بكر الرازي (٣٢٠هـ) الذي يعدُّ أبا الطب العربي، وله مؤلفات قيمة في الطب أعظمها وأجلها كتاب "الحاوي"[٢].

وظهرت أول مؤسسة علمية من نوعها في العصر العباسي التي أسسها هارون الرشيد، وسماها "دار الحكمة"، جمع فيها كثيرًا من المؤلفين والمترجمين والنساخ، واتسع نطاق الترجمة في عصر المأمون، وأشتهر من المترجمين حنين بن إسحاق الذي كان يتقاضى وزن ما يترجمه إلى العربية من الكتب ذهبًا[٣].

كما أنشئت المدارس العلمية، وكان من أشهرها المدرسة المستنصرية التي "شرع في بنائها المستنصر بالله سنة ٦٢٥هـ وتكامل بناؤها في سنة٦٣١هـ، فنقل إليها كتبًا بلغت مائة وستين حملًا، وعدة فقهائها مائتان وثمانية وأربعون فقيهًا من المذاهب الفقهية الأربعة، وأربعة مدرسين وشيخ حديث، وشيخ نحو، وشيخ طب، وشيخ فرائض، ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم، وكانت لها أوقاف تخصها"[٤].

إن كل ما سبق ذكره لا يعدو كونه ضرب مثال لعلوم وأعلام برزت في الحراك العلمي الذي كان في العصر العباسي، والأمر يطول لمن أراد الحصر.

٥/ تميز العصر العباسي بتطور المؤسسات الإدارية ونشأة بعض الأنظمة الإدارية، من ذلك: استحداث نظام الوزارة، وهي وإن كانت موجودة قبل العصر العباسي إلا أن سلطة الوزير ودائرة

---

(١) ينظر: أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، مرجع سابق، ص٣٠.

(٢) ينظر: علماء العرب وما أعطوه للحضارة، قدري حافظ طوقان، د.ط (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت)، ص١٣٤-١٣٧.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٣١/٢.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، ٤٦/٦.

نفوذه لم تكن واضحة.

ويصح اعتبار العصر العباسي بداية وضع حجر الأساس لنظام الوزارة منذ أن أسندت الوزارة لأبي سلمة الخلال ثم نمت وتدرجت حتى صار لها كيانها الواضح ونظامها المحدد مع مرور الوقت(١)، وكانت سلطة الوزير تتأثر بدرجة قوة الخلفاء وضعفهم(٢).

وتطورت ولاية القضاء واتسعت سلطة القاضي فأضيف لبعضهم الشرطة والمظالم والحسبة ودار الضرب وبيت المال(٣)، كما استحدث في العصر العباسي منصب قاضي القضاة(٤)، وأول من تلقب بهذا اللقب هو يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة(٥).

أما الدواوين فعند قيام الدولة العباسية أبقى الخلفاء العباسيون على الدواوين القائمة في العصر الأموي، ونقلها أبو جعفر المنصور إلى مدينة بغداد عند تأسيسها وهي: ديوان الرسائل، ديوان

---

(١) ينظر: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، د. عبدالعزيز الدوري، ط٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م)، ص٧٢.

(٢) ينظر: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، أنور الرفاعي، ط٣ (دمشق: دار الفكر، ١٤١٧هـ)، ص١٠٧

(٣) ينظر: النظم الإسلامية، د. حسن إبراهيم حسن، د. علي إبراهيم حسن، د.ط (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت)، ص٢٨١.

(٤) سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: عن حكم التسمي بقاضي القضاة؟ فأجاب: قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله عز وجل فمن تسمى بذلك فقد جعل نفسه شريكًا لله عز وجل فيما لا يستحقه إلا الله عز وجل، وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز، لكن الأفضل أن لا يفعل؛ لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد، فلا يكون فيه مشاركة لله عز وجل وذلك مثل قاضي قضاة العراق، أو قاضي قضاة الشام، أو قاضي قضاة عصره.
وأما إن قيد بفن من الفنون فبمقتضى التقييد يكون جائزًا، لكن إن قيد بالفقه بأن قيل: عالم العلماء في الفقه سواء قلنا بأن الفقه يشمل أصول الدين وفروعه على حد قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» أو قلنا بأن الفقه معرفة الأحكام الشرعية العملية كما هو المعروف عند الأصوليين صار فيه عموم واسع مقتضاه أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه فأنا أشك في جوازه والأولى التنزه عنه. وكذلك إن قيد بقبيلة فهو جائز ولكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف حتى لا يغتر ويعجب بنفسه، ولهذا «قال النبي ﷺ للمادح: " قطعت عنق صاحبك» .ينظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، د.ط(الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ) ١٢٣/٣-١٢٤.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٢٤٥/١٤.

الخراج، ديوان الخاتم، ديوان الجند، ديوان الحوائج، ديوان الأحشام، ديوان الصدقات(١). ثم تطورت وأضيفت لها دواوين تم إنشاؤها تلبية لحاجات إدارية وتنظيمية كدواوين الأزمة، وهي دواوين صغيرة للإشراف على دواوين الدولة(٢)، و"أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي؛ وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان، فاتخذ دواوين الأزمة، وولى كل ديوان رجلًا، وولى المهدي علي بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع"(٣)، وأفردوا للمظالم ديوانًا منظمًا(٤)، وأنشؤوا ديوانًا خاصًّا للبريد لشدة اعتمادهم عليه في إدارة شؤون الدولة(٥). كما استحدثوا ولاية الحسبة بمعالمها وأنظمتها الدقيقة، ووفق هيكلة إدارية واضحة.

٦/ عند الحديث عن الحضارة المادية في الإسلام لابد أن تبرز الدولة العباسية التي تحققت فيها نهضة حضارية مادية في كثير من المجالات؛ فعلى سبيل المثال في المجال المعماري: نشاهد روائع العمارة الإسلامية في مدينة بغداد التي أمر ببنائها الخليفة أبو جعفر المنصور، وأحضر لبنائها المهندسين والصناع، واستمر بناؤها من سنة ١٤٥ إلى سنة١٤٩هـ(٦)، ومدينة سر من رأى التي أمر ببنائها الخليفة المعتصم(٧).

وفي المجال الاقتصادي نجد أن أول ركائز النهضة الاقتصادية في العصر العباسي تلك النهضة الزراعية التي قامت على أراضٍ شاسعة من الدولة العباسية تتسم بالخصوبة لإنتاج شتى المحاصيل؛ فأقامت المدارس الزراعية التي عملت على نشر الوعي الزراعي الصحيح؛ فتعددت المحاصيل

---

(١) ينظر: البلدان، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ص٣٣.

(٢) ينظر: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، مرجع سابق، ص١٣١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، الإمام محمد بن جرير الطبري، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (بيروت: دار سويدان، د.ت)، ١٠/١٠١.

(٤) ينظر: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص١٤٣.

(٦) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١/١٠.

(٧) ينظر: البلدان، مرجع سابق، ص٥٢.

وأدخلت أنواع جديدة منها، وارتبط بذلك إعادة تطوير نظام الري[١].

وكان للصناعة في العصر العباسي حظ كبير من عناية الخلفاء والسلاطين الذين اهتموا باستخدام موارد الثروة على اختلافها؛ فازدهرت صناعة النسيج والقطن والورق وغيرها[٢].

كما كان هناك عناية بتسهيل سبل التجارة؛ فأقاموا الآبار والاستراحات في طريق القوافل، وبنوا المنائر في الثغور، وأعدوا الأساطيل لحماية السواحل من غارات لصوص البحار، وكان لذلك أكبر الأثر في نشاط التجارة، حتى احتلت التجارة الإسلامية المكانة الأولى في التجارة العالمية في ذلك العصر[٣].

---

(١) ينظر: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، مرجع سابق، ص٢٨٥.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ط٨ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م)، ٣٢٣/٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٣٢٦/٣.

المبحث الثاني:

الاعتناء بالحسبة في العصر العباسي وتطويرها

قبل البدء في بيان نشأة ولاية الحسبة وعناية خلفاء الدولة العباسية بها ينبغي تحديد المقصود بالحسبة؛ لكثرة ما يقع الخلط بين مفهوم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكلمة الحسبة لم ترد في القرآن الكريم والسنة النبوية ولا أحد اشتقاقاتها بمعنى تغيير المنكر أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنها جاءت بمعانٍ أخرى منها:

الظن: في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣].

طلب الأجر: في قول النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاء ذكرهما في نصوص عديدة في القرآن الكريم والسنة النبوية، منها قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]، وقول النبي ﷺ: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه(٢) في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! قال: كنت آمركم**

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، رقم الحديث (٣٨)، ٢٩/١.

(٢) أي تنصب أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره والاندلاق: الخروج بالسرعة، والأقتاب جمع قتب بالكسر وهي الأمعاء. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد الغيتابي العيني، د.ط(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ١٦٦/١٥.

بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1].

وكانت بداية شهرة استخدام كلمة الحسبة بمعنى الإنكار عندما أطلقت على ولاية رسمية من ولايات السياسية الشرعية، وهي من أعظم الخطط الدينية تجمع بين النظر الشرعي والزجر السلطاني[2]، وهي "أحد تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3]، يُعيِّن لها القائم على أمور المسلمين من يراه أهلًا لها، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها[4]. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاء الأمر به وبيان بعض أحكامه في نصوص الكتاب والسنة، يقول النووي رحمه الله: "تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي من الدين"[5].

واختلفت آراء بعض المؤرخين والمصنفين في تحديد بداية نشأة الحسبة باعتبارها من ولايات الدولة الإسلامية على أربعة آراء، وفيما يلي عرض لهذه الآراء ثم الترجيح:

الرأي الأول: أن نشأتها كانت في عهد الرسول ﷺ:

استدل القائلون بهذا الرأي بنصوص الوحي التي جاء فيه الأمر بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومباشرة الرسول ﷺ لها؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ مر على صُبْرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال ﷺ: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني**»[6]، فباشرها

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم الحديث (٣٢٦٧)، ٢/٤٣٦.

(٢) ينظر: التيسير في أحكام التسعير، أحمد بن سعيد المجيلدي، تحقيق: موسى لقبال، د.ط (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٠م)، ص٤٢.

(٣) أصول الحسبة في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة، د. محمد كمال الدين إمام، ط١ (القاهرة: دار الهداية، ١٤٠٦هـ)، ص٩.

(٤) ينظر: المقدمة، مرجع سابق، ١/٤٠٧.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ٢/٢٢.

(٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، رقم الحديث (١٠٢)، ص٦٩.

الرسول ﷺ واستعمل غيره عليها(١). وممن قال بهذا الرأي من المتقدمين الماوردي رحمه الله بقوله: "الحسبة من قواعد الأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم"(٢).

ومن المتأخرين: الكتاني رحمه الله(٣)؛ حيث جعل من أبواب كتابه "نظام الحكومة النبوية" المسمى "التراتيب الإدارية": "باب الحسبة" أدرج تحته فصولًا أولها "فصل فيما جاء عن رسول الله ﷺ في الحسبة"، ذكر فيه قصة صُبرة الطعام المشهورة، وأعقبه "فصل فيمن ولاه رسول الله ﷺ أمر السوق"، ذكر فيه بعض النصوص الدالة على أن رسول الله ﷺ كان يبعث للأسواق من ينظر في أحوال السوق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ونقل عن ابن عبد البر رحمه الله(٤) قوله: استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما بعد الفتح على سوق مكة، وعد فيه أسماء بعض من استعملهم على الأسواق(٥)، واستدل بما جاء في "السيرة الحلبية" في ذكر من ولي السوق في زمنه ﷺ وأن "هذه الولاية تُعرف بالحسبة وموَلّاها بالمحتسب"(٦).

وبرجوع الباحثة لكتاب "السيرة الحلبية" وجدت أن العبارة كانت: "تُعرف الآن بالحسبة ومتوليها بالمحتسب"، فالحلبي بين المصطلح المعاصر لهذه الولاية ولم يقصد أنها كانت تُعرف في العصر النبوي بالحسبة.

ومن المتأخرين أيضاً عبدالعزيز ابن مرشد حيث قال: الحسبة كانت موجودة بوصفها ولاية من الولايات في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على وجه ظاهر لا يقبل المناقشة والجدل، إلا أنها كسائر الولايات كانت في أول أمرها محدودة ثم اتسعت بعد ذلك حتى وصلت

---

(١) ينظر: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، السيد محمد عبد الحي الكتاني، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط٢ (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، تخريج وتعليق: خالد عبداللطيف العلمي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص٤١٣.

(٣) للاستزادة ينظر: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، مرجع سابق، ٢٤١/١-٢٣٩.

(٤) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ٦٢١/٢.

(٥) ينظر: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، مرجع سابق، ٢٤١/١.

(٦) السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم الحلبي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ) ٤٥٩/٣.

إلى درجة عظيمة في عهود العباسيين والفاطميين(١).

ومن المعاصرين: محمد كمال الدين إمام حيث قال: "ولاية الحسبة يرتبط نشوؤها بقيام دولة الإسلام في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، فهو لم يول أحدًا أمر السوق إلا بعد نشوء الدولة، فأصبح سعيد ابن العاص -وكان قد أسلم قبل الفتح بقليل- واليًا على سوق مكة، وجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة، وهما بذلك أوائل الموظفين المحتسبين الموظفين في الإسلام"(٢).

الرأي الثاني: أن نشأة ولاية الحسبة ترجع إلى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ويخص القائلون بهذا الرأي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالذكر(٣):

ممن قال بهذا الرأي من المتقدمين: عمر السنامي؛ حيث أفرد الباب الخمسين من كتابه "نصاب الاحتساب"(٤) لهذا الرأي تحت عنوان: "في بيان سبب انتساب الاحتساب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه" في حدود ثلاث صفحات خصصها لذكر خمس نقاط عدها براهين على نشأة ولاية الحسبة في عهد الفاروق رضي الله عنه.

والقلقشندي في كتابه "صبح الأعشى"؛ حيث قال: المحتسب: وهو عبارة عمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحدث في أمر المكاييل والموازين ونحوهما...، وأول من قام بهذا الأمر وصنع الدرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته(٥).

ومن المتأخرين الدكتور أحمد شلبي الذي قال في حديثه عن أعمال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:

---

(١) ينظر: نظام الحسبة في الإسلام: دراسة مقارنة، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، طبعة الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإدارة العامة للتوعية والتوجيه، ص٢٢.

(٢) أصول الحسبة في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة، مرجع سابق، ص٢٤.

(٣) ينظر: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، سهام مصطفى أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤٨.

(٤) ينظر: نصاب الاحتساب، عمر بن محمد السّنامي، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٤هـ)، ص٣٢٥-٣٢٧.

(٥) ينظر: صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ٥/٤٢٥-٤٢٤.

"وعين الولاة والقضاة، ورتب البريد، وأنشأ نظام الحسبة"[١].

والدكتور عبدالكريم حتاملة الذي قال: "إن عمر بن الخطاب ﵁ الذي يعتبره البعض المؤصل أو المنظر الحقيقي لهذا النظام، فقد ولى عبدالله بن عقبة النظر في الأسواق، والتفتيش على المكاييل والموازين"[٢].

وحسن إبراهيم حسن بقوله: "عمر بن الخطاب ﵁ هو أول من وضع نظام الحسبة، وإن لفظ محتسب لم يستعمل إلا في عهد المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ)"[٣].

الرأي الثالث: أن نشأة الحسبة تعود إلى بداية العصر الأموي:

ممن أشار إلى هذا الرأي من المتقدمين: الطبري ﵀؛ حيث ذكر في سيرة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ) أن "داود وعيسى ابني علي بن عبدالله بن عباس (وهما لأم) كانا في أعوان السوق بالعراق لخالد بن عبدالله القسري"[٤].

ووكيع[٥]؛ فقد أشار إلى أن مهدي بن عبدالرحمن كانت له ولاية سوق واسط زمن واليها عمر بن هبيرة ثم وليها بعده إياس بن معاوية.

ومن المتأخرين: الدكتور صالح العلي حيث ذكر أن مشكلات السوق واجهت حكومة الأمويين؛ ولذلك أنشؤوا وظيفة المحتسب[٦].

وسهام أبو زيد تقول: "الحسبة هي إحدى الوظائف التي وجدت منذ أواخر العصر الأموي

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ٦٠٩/١.

(٢) البنية الإدارية للدولة العباسية، د. عبدالكريم بن عبده حتاملة، ط١ (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ)، ص١٦١.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مرجع سابق، ٤٨٩/١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك وصلة تاريخ الطبري، مرجع سابق، ٢٠٢/٧.

(٥) ينظر: أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان الملقب بوكيع، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ٣٥٣/١.

(٦) ينظر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المحتسب، تحقيق: حسام الدين السامرائي، د.ط (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٨م)، ص٢٦-٢٧.

في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك من عام ١٠٥-١٢٥هـ على وجه التحديد"[١].

الرأي الرابع: أن نشأة الحسبة كانت في العصر العباسي:

لم تجد الباحثة بحسب ما بذلته من جهد وتقصٍّ من قال بهذا الرأي من المتقدمين، أما المتأخرون فمن القائلين بهذا الرأي الدكتور حسام السامرائي؛ حيث قال: إن أول إشارة إلى الحسبة والمحتسب في مصادرنا التاريخية ترد عند ابن سعد في ترجمته لعاصم بن سليمان الأحول والذي كان يتولى الولايات فكان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأرزاق[٢]، وكان قاضيًا بالمدائن في خلافة أبي جعفر، ومن المحتمل أن يكون توليه لهذا المنصب (المحتسب) قد جرى في خلافة أبي العباس السفاح، واستنتج مما سبق أن وظيفة المحتسب ظهرت منذ بدايات العصر العباسي[٣].

وعند مطالعة كتب التاريخ العباسي يُلحظ كثرة من جاء في ترجمته أنه كان محتسبًا وتولى الحسبة، فعلى سبيل المثال: جاء في بعض كتب التاريخ أن أبا جعفر المنصور "عين عاصم بن سليمان الأحول محتسبًا يراقب الموازين والمكاييل"[٤]، وولى أبا زكريا يحيى بن عبدالله على حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة[٥]، وجاء في أحداث سنة ثلاث وستين ومائة أن الخليفة المهدي بعث عبدالجبار المحتسب لجلب الزنادقة من ناحية حلب[٦]، وفي سنة ثمان وستين ومائة مات عمر الكلواذيّ المحتسب على الزنادقة والمشهور بصاحب الزنادقة، وولي مكانه حمدَوَيّه[٧].

---

(١) الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، مرجع سابق، ص٤١. وأحالت لمخطوطة أنساب الأشراف للبلاذري، طبعة ليدن، ١٨٦٦م، ج٨، ورقة٢٩٠.

(٢) قال ابن سعد في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول: كان قاضيًا بالمدائن في خلافة أبي جعفر، وكان على الكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ١٩٠/٧.

(٣) ينظر: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، حسام الدين السامرائي، ط١ (د.م: دار الفكر العربي، د.ت)، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٤) تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٢٤١/١٢.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٨٠/٤.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ٥٦٨/٤.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ٥٨٢/٤.

وعند النظر في الآراء السابقة يترجح -والله أعلم- الرأي القائل بأن نشأة ولاية الحسبة وفق هيكل إداري واضح المعالم ومهام معلومة كان في العصر العباسي، وجاء قيامها نتيجة متوقعة لتطور مبدئها الذي قامت عليه وهو قيام الرسول ﷺ بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكليف غيره بها في بعض الفترات، وهذه الشعيرة هي مقصود كل الولايات كما قال ابن تيمية رحمه الله: "جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل نيابة السلطة، والصغرى مثل ولاية الشرطة، أو ولاية الحكم، أو ولاية الدواوين المالية، أو ولاية الحسبة"(١).

واستمر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حاله في عصر الخلافة الراشدة مع وجود بعض التطورات اليسيرة كاتخاذ القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدرة، ثم بدأ استخدام مُسمى محتسب لمن يباشر مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق في العصر الأموي، إلا أن هذه التطبيقات لم تأخذ صورة الولاية الرسمية، ولم تكن بكل الاختصاصات التي تبلورت وعرفت فيما بعد بولاية الحسبة، وإنما بما يلبي احتياجات المجتمع الإسلامي في ذلك الحين(٢)، من خلال الإشراف على مراقبة السوق والموازين والمكاييل، والتجول في السوق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون أن يكون لها ولاية خاصة في الدولة متكاملة الأركان من حيث وضوح خطتها وهيكلها وإجراءاتها ومصروفاتها.

واستمر الأمر كما هو إلى بداية العصر العباسي حيث أصبحت ولاية من ضمن ولايات الدولة الإسلامية، لها نظام إداري خاص سُمي ولاية الحسبة، وأصبح لها هيكل إداري محدد، يقوم عليه موظف مختص يطلق عليه المحتسب، يقوم بمهام ذات توصيف معلوم، ويعمل تحت يده عدد من الموظفين، وخُصص لمصروفات هذه الولاية وأجور العاملين فيها مخصصات مالية من بيت مال المسلمين.

ومن بغداد خرجت ولاية الحسبة ونظامها إلى الحواضر الإسلامية الأخرى باستثناء دول

---

(١) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٢٨/٦٦.

(٢) ينظر: نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون: نشأته وتطوره، رشاد عباس معتوق، ط١ (جدة: مطابع دار البلاد، ١٤٠٢هـ)، ص٨٠.

الأندلس التي هي امتداد لدولة بني أمية فأبقوا على مصطلح "العامل على السوق"(١).

وجاءت نشأة ولاية الحسبة في العصر الذي اشتدت فيه العناية بالنظم والولايات الإدارية(٢)؛ نتيجة نمو المجتمع المسلم واتساع رقعته(٣)، كما أن ظهور المنكرات وظهور الفساد وإفساد الناس على يد الفرق الضالة، وطغيان حب المال على بعض أرباب الأسواق، مع نشاط الحركة التجارية في العصر العباسي(٤) وظُهور الحاجة إلى مراقبة التجار والمعاملات في الأسواق(٥)، كل ذلك أوجد حاجة لتفرغ بعض الولاة لمراقبة السلوك والأخلاق في الأسواق والأماكن العامة، وتفرغ طائفة لهذه المهمة، فكانت نشأة ولاية الحسبة.

ومما قالته سهام أبو زيد في هذا الصدد: "والحقيقة أن هؤلاء المؤرخين الذين عرضوا للحديث عن الحسبة في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﵃ قد اختلط عليهم الأمر؛ فلم يميزوا بين الحسبة (كاصطلاح) يطلق على وظيفة إدارية، وبين الحسبة من حيث أعمالها ومظاهرها؛ بحيث إنهم نسبوا هذه الوظيفة إلى عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ﵃ .... فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الإسلام، ولكن ليس كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصبح محتسبًا؛ فالحسبة وظيفة مكلف بها شخص معين له وظيفة معينة"(٦).

أما اختيار كلمة الحسبة دون غيرها لإطلاقها على الولاية الرسمية التي يقوم المكلفون بها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعل من أسباب هذا الاختيار:

١/ الرغبة في اختصار مسمى الولاية؛ فاختصار المصطلحات والمسميات أجود في العربية من

---

(١) ينظر: دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، د.ط(بغداد: مطبعة العمال المركزية، د.ت) ص١٢.

(٢) ينظر: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، مرجع سابق، ص٦٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٤٥.

(٤) ينظر: دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، بحث الهيكل التنظيمي لجهاز الحسبة العربية بين المهام والتطبيق، د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي، مرجع سابق، ص١١٩.

(٥) ينظر: النظم الإسلامية، د. عفاف صبرة ومصطفى الحناوي، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٢٥هـ)، ١/١٩٦.

(٦) الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، مرجع سابق، ص٤٩.

الإطالة، ومسمى ولاية الحسبة أقصر من مسمى ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢/ أن الحسبة في اللغة العربية باشتقاقاتها تأتي بعدة معانٍ منها: الإنكار، التدبر، طلب الأجر، العدد، الاختبار، الظن[١]، وهي معانٍ تتناسب مع طبيعة عمل المحتسب؛ فالدائرة الأكبر لأعماله تدور حول إنكار المنكرات، كما أنه يتولى تدبير كثير من أمور السوق الدينية والدنيوية، والأصل في قصد المحتسب في كل أعماله طلب الأجر من الله ﷻ، وللمحتسب المعين من الوالي أن يأخذ أجرًا من بيت مال المسلمين على عمله في الحسبة، ويحتاج المحتسب للعد والعدد لضبط الموازين والمكاييل ومنع الغش فيها، ويختبر بعض ما يعرض في الأسواق للتأكد من سلامته وعدم الغش فيه، ومبدأ عمل المحتسب الظن، فهو يبحث ويفحص عن المنكرات لظنه أنها قد تكون موجودة، كما فعل النبي ﷺ عندما مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال ﷺ: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؛ من غش فليس مني**»[٢].

ومن أبرز معالم ولاية الحسبة في العصر العباسي ما يلي:

أولاً: الكتابة في علم الحسبة

كانت بداية الكتابة في علم الحسبة في العصر العباسي، ولعظم شأن هذا العلم الذي يعدُّ من أدق العلوم، ولا يدركه إلا من له فهم ثاقب وحدس صائب[٣]، جاءت مواضيع الحسبة أول الأمر ضمن أمهات الكتب الفقهية، ثم أفردت لها مؤلفات مستقلة، فجاءت الكتابة في الحسبة على قسمين[٤]:

١/ المؤلفات التي جاء فيها ذكر إشارات أو مسائل عن الحسبة ضمن مباحث وأبواب فنون أخرى، فجاءت في بعض الكتب ضمن ما كتبه العلماء في الكتب الفقهية وعلى شكل فقرات

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ص٧٤. لسان العرب، مرجع سابق، ٣١٧/١. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ١٧١/١.

(٢) سبق تخريجه ص: ٣١.

(٣) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، ١٥/١.

(٤) ينظر: التصنيف في علم الحسبة في الدولة الإسلامية: نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، د. حسام الدين السامرائي، مجلة الدرعية، العددان: الرابع والخامس والأربعون، ١٤٣٠هـ، ص٥٧٤-٥٨٤.

متداخلة أو فصول مفردة من بداية العصر العباسي في القرن الثاني الهجري، ومن أشهر الكتب الفقهية التي تناولت بعض موضوعات الحسبة "الموطأ" و"المدونة" في الفقه المالكي، و"الأم" في الفقه الشافعي، كما كتب بعض المصنفين عن بعض موضوعات الحسبة ضمن كتبهم غير المتخصصة في علم الحسبة منهم: القاضي أبو عبدالله محمد بن سماعة رحمه الله (٢٣٣هـ) في كتابه "أدب القاضي"، ومحمد بن خلف المشهور بوكيع القاضي رحمه الله (٣٠٦هـ) في كتابه "أخبار القضاة"، وعقد أبو الحسن علي بن محمد الماوردي رحمه الله (٤٥٠هـ) فصلًا عن الحسبة في كتابه "الأحكام السلطانية"، كما جاء بنفس العنوان كتاب أبي يعلى الفراء الحنبلي رحمه الله (٤٥٨هـ)، أما أبو حامد الغزالي رحمه الله (٥٠٥هـ) فخصص بابًا كاملًا في كتابه "إحياء علوم الدين" عن فقه الحسبة تحت اسم "باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وإلى جانب الفقهاء أسهم المؤرخون بشكل كبير في تناول تاريخ تطور الحسبة والترجمة لبعض المحتسبين، وكان ابن سعد رحمه الله (٢٣٠هـ) أول من اهتم بهذا الموضوع، فقد ضمن كتابه "الطبقات الكبرى" كثيرًا من المعلومات والتراجم لبعض المحتسبين، أما أسلم بن سهل الرازي الشهير ببحشل رحمه الله (٢٩٢هـ) فقد تعرض في كتابه "تاريخ واسط" بتركيز إلى ذكر دور والي السوق، وأورد الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) في "تاريخ الأمم والملوك" معلومات متنوعة عن الحسبة والاحتساب ودور المحتسبين في الإدارة الإسلامية، وأورد أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه الله (٤٦٣هـ) تفصيلات عن الحسبة وقدم ترجمة لعدد من المحتسبين في كتابه "تاريخ بغداد".

٢/ المؤلفات المتخصصة في الحسبة والتي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري؛ حيث بدأت المؤلفات عن هذا الموضوع تظهر مستقلة عن مباحث الفقه العامة، وسارت في طريق التطور الطبيعي، فكان من أوائل مصنفات الحسبة كتاب "الحسبة على الأمراض" لعبدالملك بن حبيب المرداس السلمي رحمه الله (٢٣٨هـ)، وكتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للفقيه ابن أبي الدنيا رحمه الله (٢٨١هـ)، الذي سار كثير من الفقهاء بعده في التأليف على منواله، ومؤلفاتهم تحمل نفس العنوان أو ما يقاربه أمثال: أحمد بن محمد الخلال رحمه الله (٣١١هـ)، وعمر بن الربيع الخشاب رحمه الله (٣٤٠هـ)، والدارقطني رحمه الله (٣٨٥هـ)، وأبي يعلى الفراء الحنبلي رحمه الله (٤٥٨هـ).

ومن المؤلفات المتخصصة في الحسبة كتاب "غش الصناعات والحسبة الصغير" و "الأغشاش

وصناعة الحسبة الكبير" لأبي العباس أحمد بن مروان السرخسي رحمه الله (٢٨٦هـ)، ثم تتابعت المؤلفات في هذا العلم.

وظهرت كتب تناولت فقه الحسبة من القرن الرابع الهجري، فبينت شروط المحتسب، وواجباته، وأعوانه، وإجراءاته، وحدود سلطاته، وولايته، منها: كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي رحمه الله (٤٥٠هـ).

وألف جلال الدين بن عبد الرحمن بن نصر الشيزري (٥٨٩هـ) كتابه "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" الذي جمع فيه مناهج الحسبة، وأحكامها، وتطبيقاتها العملية، ودورها في تنظيم مرافق الحياة المختلفة في المدينة الإسلامية، وقد سار على نهجه مؤلفو كتب الحسبة العملية والتعليمية الذين جاؤوا من بعده.

ثانيًا: صلة ولاية الحسبة بالخليفة العباسي

كان الخليفة يكتب للمحتسب تقليدًا مدونًا هو عبارة عن تكليف ووصايا يقدمها الخليفة للمحتسب، وكان المحتسب من جملة أصحاب المخاطبات المعروفة للكتاب(١).

وأولت دار الخلافة العباسية عناية كبرى بمتابعة عمل المحتسب وتوجيهه، ومما ورد في هذا الشأن أن الخليفة هارون الرشيد كان يؤكد على المحتسب مراقبة الموازين والمكاييل، ومراعاة الأسعار، ومنع الغش والتدليس(٢).

ثالثًا: اختيار المحتسب

كان المحتسب في بعض عصور الدولة العباسية يختار من بين علماء الدين والفقهاء الملمين بأحكام الشريعة والأشداء في الحق وذوي الثقة والأمانة، ومن ذلك أن أبا الحسين النوري الذي

---

(١) ينظر: الوزراء، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، د.ط (د.م: مكتبة الأعيان، د.ت)، ص١٥٨.

(٢) ينظر: النظام القضائي في الدولة الإسلامية، أ.د. أحمد إسماعيل الجبوري، ط١ (عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون، ١٤٣٤هـ)، ص١٠٣.

كان صاحب علم وشدة وأمانة في الحق، جاء في الآثار أنه حطم دنان خمر[1] كانت مرسلة إلى الخليفة المعتضد، وعندما أوقف بين يديه سأله: من أنت؟ فقال: محتسب، فقال المعتضد: من ولاك الحسبة؟ قال: الذي ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين، فأطرق الخليفة قليلًا ثم قال: اذهب فقد أطلقنا يدك فغير ما أحببت أن تغير من المنكر[2].

رابعًا: مهام المحتسب

قام خلفاء الدولة العباسية بتنظيم الحسبة، ووضع قواعدها، وتحديد اختصاصاتها، وبيان سلطة متوليها[3]، ولأن لكل اختصاص بدايات وأوليات يقوم عليها، فيبدأ بنطاق ضيق ثم يتسع ويتطور تبعًا للظروف والأحوال، جاءت اختصاصات المحتسب في البداية بسيطة ومحدودة[4]، تتركز في الحسبة على منكرات الأسواق، ثم توسعت لتشمل مراقبة النظام العام، مثل: مراقبة الأخلاق والسلوك العام، والتصدي للمخالفات الدينية، وأسندت إليه عملية معاقبة المخالفين بعقوبات التعزير مثل: كسر آلات الطرب وإراقة الخمر، وأصبح له أعوان من الموظفين يعملون تحت إمرته[5]، ولم تكن مهام المحتسب ثابتة بل قد تزيد عن أصلها وقد تنقص، وذلك راجع إلى نظر الحاكم فيمن يريد أن يوليه أمرًا من الأمور، فقد يضم إلى بعضهم أمرًا ليس من اختصاصه أصالة؛ لما يتميز به من ذكاء وفطنة وعلم[6]؛ ففي عصر الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) توسعت صلاحيات المحتسب بشكل كبير حتى إنه قال لأحدهم: اذهب فقد اطلقنا يدك، غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر[7].

وترجع مهام المحتسب أيضًا لحاجة المجتمع من أعمال الحسبة؛ فمهام المحتسب في أواخر

---

(١) دنان: برميل؛ وعاء ضخم للخمر والخلّ ونحوهما. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط١(بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ) ١/٧٧٤.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢/١٥١٨.

(٣) ينظر: الحسبة في الإسلام، د. إبراهيم دسوقي الشهاوي، د.ط (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨٢هـ)، ص١٠٥.

(٤) ينظر: علم الحسبة بين النظرية والتطبيق، دراسة وتحقيق: د. أحمد محمد المنبجي، ط١ (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٥هـ)، ١/١٠٦.

(٥) ينظر: النظم الإسلامية، د. عفاف صبرة ومصطفى الحناوي، مرجع سابق، ١/١٩٦.

(٦) ينظر: الحسبة في الإسلام، مرجع سابق، ص٨٣.

(٧) ينظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢/١٥١٨.

العصر العباسي كانت أكثر وأوسع من مهامه في أوائل العصر العباسي، فمن نظر في كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي (٤٥٠هـ) يلحظ أن مهام المحتسب التي ذكرها كانت محدودة، أما كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" للشيزري (٥٨٩هـ) فاشتمل على أربعين بابًا تحدد مهام إضافية للمحتسب هي أكثر بكثير مما ذكره الماوردي، وهذا أمر طبيعي؛ إذ ليس من المنتظر أن يبقى هذا المجتمع سائرًا على نسق واحد في مختلف شؤونه[١].

خامسًا: مقر ولاية الحسبة:

معلوم أن الأصل في عمل المحتسب هو النزول لأسواق الناس وأماكن تواجدهم، وعلى هذا جرت أعمال المحتسبين في كل العصور، إلا أنه منذ عصر الدولة العباسية ظهرت حاجة لإيجاد مقر عمل لولاية الحسبة بالإضافة لاستمرار العمل الميداني للمحتسبين؛ وكان الهدف من إيجاد مقر عمل لولاية الحسبة اجتماع القائم على الولاية بأعوانه والوقوف على أعمالهم في الحسبة وتوجيههم، والاجتماع بالبائعين في السوق تحقيقاً لمصلحة منع وقوع المنكر، حيث كان المحتسب يطلب من جميع الباعة الحضور إلى هذه الدار في أوقات معينة، ومعهم موازينهم ومكاييلهم فيعايرها، فإن وجد فيها خللًا صادرها، وألزم صاحبها بشراء غيرها أو أمره بإصلاحها[٢].

سادسًا: الهيكل الإداري لولاية الحسبة

كان على رأس ولاية الحسبة محتسب، وكان يولي عنه نوابًا في سائر المدن والأقاليم التابعة له[٣]، وكان لكل سوق عامل[٤] يسمى "عريف"[٥] ويكون العريف[٦] من صالح أهلها، خبيرًا

---

(١) ينظر: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٣١٦.

(٢) ينظر: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص٣٦١.

(٣) ينظر: دراسات في الحضارة الإسلامية، د. حسن الباشا، د.ط (القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٥م)، ص٧٥.

(٤) ينظر: الوزراء، مرجع سابق، ص١٧٦.

(٥) ينظر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، قام على نشره: السيد الباز العريني، د.ط (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٥هـ)، ص١٢، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٦) العريف: القيّم بأمرِ قومٍ عرّفَ عليهم، سُمّي به لأنّه عُرِفَ بذلك الاسم. ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط١ (الكويت: مطابع الرسالة، ١٤٠٠هـ)، ١٢١/٢. وقال المنبجي:

بصناعتهم، بصيرًا بغشوشهم وتدليساتهم، مشهورًا بالثقة والأمانة، وكان يباشر العمل في الأسواق وينقل للمحتسب أخبار السوق(١)، ويستعين العريف بأرباب أهل الرأي لمعرفة ما يخفى عليه من أسرار المهن والصنائع ووسائل الغش فيها(٢)، وجرت العادة أن يتخذ رجالاً يكونون له عونًا بعد الله عند مواجهة المخالفين، وليكون له من الهيبة في قلوب العامة ما يزجرهم ويمنعهم من إظهار منكراتهم، كما يتخذ له مراقبين في الأسواق يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوق(٣).

سابعًا: عدة المحتسب

كان للمحتسب في العصر العباسي سجل خاص به قوائم أسماء أهل الحرف والصناعات وأسماء التجار، وبإزاء كل اسم إشارة إلى موقع الحانوت حتى يتيسر له قصده عند الضرورة(٤)، وله أدوات مخصصة للعقاب مثل: السوط(٥) والدرة(٦) والطرطور(٧)، وكانت هذه الأدوات توضع على دكة المحتسب المرتفعة ليشاهدها الناس، فتكون عبرة لمن تحدثه نفسه بفعل المنكرات، وتستخدم الدواب ليُركب عليها من أصر على التدليس والغش، ويطاف به في المدينة وأمامه من يقرع الجرس للتنبيه عليه ووصفه بالتاجر الغاش(٨).

ثامنًا: الميزانية المالية لولاية الحسبة

كانت المخصصات المالية لولاية الحسبة في بعض الفترات تفوق كثيرًا من ولايات الدولة، وهذا دليل على أهميتها وعناية خلفاء الدولة العباسية بها، وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله أن نفقات العاملين في ولاية الحسبة بلغت في عهد الخليفة المقتدر بالله رحمه الله أربعمائة وثلاثين ألفًا وأربعمائة

هو من يعرف مهنة السوق، فمثلاً عريف سوق اللحم هو من يلم بأنواع اللحوم، ويعرف جميع الأحكام المتعلقة باللحم. ينظر: علم الحسبة بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ١/١١١.

(١) ينظر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، مرجع سابق، ص١٢.

(٢) ينظر: دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، مرجع سابق، ص١٠٨.

(٣) ينظر: دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، مرجع سابق، ص١٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٠٨.

(٥) ما يُضرب به من جلد سواء أكان مضفورًا أم لم يكن. ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ١/٤٦٣.

(٦) أداة يضرب بها. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ٤/٢٨٢.

(٧) القلنسوة الطويلة الدقيقة الرأس. ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ١/٣٩٣.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ١/١٠٩.

وتسعة وثلاثين دينارًا، في حين كانت تجري على القضاة في الأقاليم ستة وخمسون ألفا وخمسمائة وتسعة وستون دينارًا[١].

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٣/٦٤.

الفصل الأول:

الزنادقة في العصر العباسي ومجالات الحسبة عليهم

المبحث الأول: عوامل ظهور الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثاني: أبرز أعلام الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثالث: مجالات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الأول:

عوامل ظهور الزنادقة في العصر العباسي

لم تكن الزندقة وليدة العصر العباسي؛ فقد سبقته في الوجود، إلا أن الزندقة باعتبارها ظاهرة تؤثر على مكونات المجتمع المسلم واستقرار الدولة الإسلامية كان ظهورها في العصر العباسي؛ حيث كانت هناك مؤثرات وأسباب نتج عنها ظهور الزنادقة في العصر العباسي بأعلامهم وأعمالهم ظهورًا مؤثرًا على المجتمع المسلم.

وباستقراء نصوص الكتاب والسنة وتاريخ العصر العباسي يتبين أن أبرز العوامل التي نتج عنها ظهور الزنادقة في العصر العباسي هي:

أولاً: الخلل في مصادر التلقي

إن القاعدة المتينة التي يبني عليها المسلم دينه وبها تثبت قدمه على الحق فلا تزل في مزالق الضلال والفساد هي الاستمساك بمصادر تلقي الدين الإسلامي، ويقصد بالتلقي: تلقي الدين جملة وتفصيلًا، وذلك لا يكون إلا عن الله ﷻ وما أمر به من التلقي عن رسوله ﷺ(1)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥٩]، فمن استمسك بالكتاب والسنة هُدي للحق، ومن حاد عنهما سار على غير هدى ونور، وقاده تركه للكتاب والسنة إلى الابتداع الذي يسوقه في دروب الضلال حتى يصل به إلى الكفر والزندقة، ومن أراد الاستقامة ولزوم الحق وجب عليه الأخذ بمنهج السلف الصالح في التلقي الذي قام على أصلين راسخين: كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ(2)، من لزمهما هدي، ومن تركهما ضل لا محالة، عن مالك رحمه الله أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم**

---

(١) ينظر: إسلامية لا وهابية، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٢٥هـ)، ص٩٨.

(٢) ينظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ.د. ناصر عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: دار أشبيليا، ١٤١٨هـ)، ص٣٩٥.

بهما: كتاب الله وسنة نبيه»(١).

وما درجات تلقي الدين إلا كما قال الزهري رحمه الله: من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم(٢).

وكان المسلمون في القرن الأول مستمسكين بالكتاب والسنة إلى أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وخالطوا أهل الديانات الأخرى في البلاد المفتوحة فمال فئام منهم عن الاستمساك بالكتاب والسنة وتفرقت بهم السبل؛ حيث جعلوا من مصادر الدين العقليات والأوهام والظنون، وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، كما أخذوا عن الفلسفة التي قامت على أفكار الملاحدة والمشركين، وعقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل: كتب الديانات الجاهلية، والوضع والكذب، وتجرأ الزنادقة ورؤوس أهل البدع على الكذب على النبي ﷺ وعلى الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله وأئمة الهدى وسائر الناس، وأخذوا بالرؤى والأحلام والكشف والذوق، واعتمدوا على آراء الرجال دون عرضها على الشرع(٣).

ثانيًا: اتباع الهوى

الهوى: هو ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية(٤).

وقال الشعبي: "إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار"(٥).

---

(١) الموطأ، مالك بن أنس المدني، رواية يحيى بن يحيى الليثي، حققه وخرج أحاديثه: د. بشار عواد معروف، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٦هـ)، كتاب القدر، باب النهى عن القول بالقدر، رقم الحديث (٢٦١٨)، ٢/٤٨٠. قال الألباني رحمه الله: رواه مالك بلاغًا، والحاكم موصولًا بإسناد حسن. ينظر: منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط٢ (الكويت: الدار السلفية، ١٣٩٧هـ)، ص١٨.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته﴾، ٤/٤١٢.

(٣) ينظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، مرجع سابق، ص٣٩٦.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص ٥٤٨.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الحافظ هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، ط٣ (الرياض: دار طيبة،١٤١٥هـ)، ١/١٤٧.

"واتباع الهوى: ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة على ما يدعو إليه الحق والرشد"(١).

وجاء التحذير من الهوى وبيان أن عاقبته الضلال لا محالة في نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

ومن تدبر كتاب الله ﷻ وتتبع ذكر الهوى فيه وصل إلى ما وصل إليه طاووس رحمه الله حيث قال: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه"(٢)، فهو فتنة لمتبعه، يسوقه إلى الزندقة بما يسوغه له من الآراء الباطلة، ويسوقه من الأدلة الباطلة، ويلبس عليه بالشبه الصارفة عن الحق، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، فإنما أصل كل ضلالة بتقديم الهوى على اتباع أمر الله جل جلاله(٣).

ومن نصوص السنة النبوية في التحذير من الهوى ما جاء عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قام في الناس فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**»، زاد ابن يحيى وعمرو في حديثهما: «**وإنه سيخرج من أمتي**

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، د.ط (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت)، ١٧٧/٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مرجع سابق، ١٤٧/١.

(٣) ينظر: العبودية، الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط٣ (الإسماعيلية: دار الأصالة، ١٤١٩هـ)، ص٤٨.

أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه([1])، -وقال عمرو الكلب بصاحبه- لا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله»([2]).

ومن نظر في كتاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله" وقف على شواهد كثيرة لأثر الأهواء في الزنادقة.

ثالثًا: الجهل

"الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغةً وعرفًا وشرعًا وحقيقةً"([3]).

وللجهل أثره في ميل فئام من الناس عن الهدى وظهور الفرق الضالة وقتالهم لأهل الحق؛ جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟

فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلِمنا فيمَ نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمَ نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال الشاطبي رحمه الله: وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيمَ أنزلت احتمل النظر فيها أوجهًا، فذهب كل إنسان مذهبًا لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات، فلم يكن بد

---

(١) معناه: يجري بينهم ويسري إلى قلوبهم جري الكلب في العروق إلى أعماق البدن، وهو داء يعتري الإنسان من عضة الكلب المجنون، وهو مرض مخوف تصل نكايته إلى جميع البدن. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، د.ط(الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣هـ) ١٤١/١.

(٢) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم الحديث (٤٥٩٦)، ص٩٤٠. قال الألباني رحمه الله: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ١١٥/٣.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط٢ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ)، ٦٦/٢.

من الأخذ ببادئ الرأي أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني من الحق شيئًا؛ إذ لا دليل عليه من الشريعة، فضلوا وأضلوا(١).

وهذا العامل نجده في عامة أتباع رؤوس الزناقة الذين وصفهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بقوله: "فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعودُ قولهم إلى ضلالة وكفر"(٢).

وعند مطالعة ما كتب عن الزنادقة في كتب التاريخ والتراجم يتبين أثر الجهل بنوعيه في ظهور الزندقة؛ فرؤوس الزنادقة ليس منهم من عُرف بالعلم، ومن علم الحق منهم لم يعمل بموجبه ومقتضاه، وكانوا يقصدون الأعراب والسواد؛ لغلبة الجهل على أهلها وبعدهم عن حواضر العلم التي فيها التصانيف الشرعية وتكثر فيها حلق العلم، من ذلك قصة الزنديق الحلاج التي جاء فيها: وكان الحلاج هذا رجلًا غويًّا خبيثًا يتنقل في البلدان ويموّه على الجهال، ويُري قومًا أنه يدعو إلى الرضا من آل محمد، ويظهر أنه سني لمن كان من أهل السنة، وشيعي لمن كان مذهبه التشيع، ومعتزلي لمن كان مذهبه الاعتزال، وكان مع ذلك خفيف الحركات شعوذيًّا، قد حاول الطب وجرب الكيميا، فلم يزل يستعمل المخاريق حتى استهوى بها من لا تحصيل عنده، ثم ادعى الربوبية، وقال بالحلول، وعظم افتراؤه على الله عز وجل ورسُله عليهم السلام، ووجدت له كتب فيها حماقات وكلام مقلوب وكفر عظيم، ويزعم بعض الجهلة المتبعين له بأنه كان يغيب عنهم ثم ينزل عليهم من الهواء، وقال محمد بن يحيى الصولي: أنا رأيت هذا الرجل مرات وخاطبته فرأيته جاهلًا يتعاقل، وعييًّا يتفصح، وفاجرًا يظهر التنسك، ونوظر فأسقط في لفظه، ولم يُحسن من القرآن شيئًا ولا من الفقه ولا من الحديث ولا من الشعر ولا من اللغة(٣).

وكان للجهل باللغة العربية التي هي لغة الكتاب العزيز والنبي الخاتم ﷺ أثره في ظهور الزندقة عند من خاض في كتاب الله جل جلاله وسنة نبيه ﷺ؛ فكل من خاض في دين الله جل جلاله دون علم

---

(١) ينظر: الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق ودراسة: د. هشام بن إسماعيل الصيني، ط٢ (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ)، ٣/١١١-١١٣.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، ط١ (الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ص٢١٢.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك وصلة تاريخ الطبري، مرجع سابق، ١١/٧٩-٩١.

باللغة العربية أهلك نفسه وأضلها، وصدق فيهم قول الحسن رحمه الله: "أهلكتهم العجمة"(١)، وقال الشافعي رحمه الله: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاليس"(٢)، "فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره جهل وضل ولم يصب القصد"(٣).

وجاء في "الحيدة" في بيان أثر الجهل باللغة في ظهور الزندقة قول عبدالعزيز الكناني رحمه الله للخليفة المأمون في شأن الزنديق بشر المريسي: "وإنما دخل الجهل على بِشر ومن قال بقوله يا أمير المؤمنين؛ لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها؛ فأولوا القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضًا، لا ينتقدون ذلك من أنفسهم، ولا ينتقده عليهم غيرهم لكثرته"(٤).

ومما قاله أيضًا عبدالعزيز الكناني رحمه الله في أثر الجهل باللغة العربية في ظهور الزندقة: "فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، أطال الله بقاك، إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أفهم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها، وبِشر رجل من أبناء الأعاجم يتأول كتاب الله عز وجل على غير ما عناه الله ويحرِّفه عن مواضعه ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب ولا تعرفه في كلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بلغة قومك، وإنما يُكفِّر بِشر الناس ويبيح دماءهم بتأويل التنزيل"(٥).

رابعًا: الترجمة

نشطت حركة الترجمة في العصر العباسي وتنوعت اللغات التي شملتها، ومن طالع كتاب

---

(١) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، ط١ (الرياض: دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ)، ١٣٦/١.

(٢) صون المنطق والكلام عن فنّي المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي النشار وسعاد بنت علي، ط٢ (القاهرة: الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، ١٣٨٩هـ)، ٤٨/١.

(٣) المرجع السابق، ٤٨/١.

(٤) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبدالعزيز بن يحيى الكناني، تحقيق: د. جميل صليبا، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ)، ص١٠٥.

(٥) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، مرجع سابق، ص٨٣.

"الفهرست" لابن النديم وقف على التوسع والتنوع في الترجمة في العصر العباسي على وجه الخصوص؛ حيث ذكر ابن النديم مجموعة كبيرة من النقلة من اليونانية والسريانية والفارسية ومن الهند والنبط، ولم يكونوا أفرادًا فقط بل منهم أُسر مثل: أسرة آل نوبخت؛ حيث ذكر أن أكثرهم نقلة من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي(١)، وعند مطالعة أسماء العشرات من المشتغلين بالترجمة يتأكد للمرء أن هناك حرصًا على مطالعة كتب الأمم الأخرى، وأن له أثره على الحراك الفكري لا محالة، ولو أن هذا الحرص توجه لنسخ العلوم الإسلامية لكان أنفع وأحفظ للأمة من تلك الضلالات والاضطرابات التي نتجت من ترجمة كتب الضلال والزندقة.

إن مظاهر الضلال والزندقة التي برزت في العصر العباسي لم تكن ناتجة من ذات الترجمة لكنها من نوعية الكتب المترجمة؛ فلو أنها قصدت كتب العلوم المباحة والنافعة كالعلوم التجريبية التطبيقية كالطب والعمارة مع مراعاة الضوابط الإسلامية لكان الأمر مقبولًا، لكنها تناولت كتب الأسمار والخرافات التي أقبل الناس كُتابًا وقُراء عليها، وكان أصل هذه الكتب من الفرس(٢)، حملت بين طياتها ثقافة فارس وضلالتها، فكان مما قصدته الترجمة من الفارسية كتب ماني الثانوي وابن ديصان الثانوي وغيرهما من زنادقة الفرس وفشت كتبهم في الناس(٣)، كما توسعت وتناولت الكتب النظرية الفلسفية الجدلية، وهي حركة حرفت بعض المشتغلين بها والمتابعين لها إلى الزندقة(٤)، وهو ما تفطن له العلماء وحذروا منه، من ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله: "آخر صاحب الكلام إلى الزندقة"(٥)، وما نقله الإمام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا قال أحد الأئمة: قَلّ أحد نظر في الكلام إلا تزندق، وكان في قلبه غل على أهل الإسلام، بل قالوا: علماء الكلام

(١) ينظر: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد، د.ط (طهران، د.د، ١٣٩١هـ)، ١/٣٠٥-٣٠٤.

(٢) ينظر: وراقو بغداد في العصر العباسي، د. خير الله سعيد، ط١ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ)، ص٣١٢.

(٣) ينظر: مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر لليعقوبي تحقيق: د. مضيوف الفرا، العدد الخامس، عام١٤١٤هـ، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤) ينظر: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، د.ط (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤م)، ص١٨.

(٥) الحجة في بيان المحجة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ط١ (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ)، ١/٢٠٨.

زنادقة"(١).

ولا أدل على عظم ما في بعض ما ترجم من شر من أن ملاكها كانوا شديدي الحرص على إخفائها عن عامة الناس خوفًا عليهم وعلى بلادهم من شرها، من ذلك ما ذكره السيوطي رحمه الله عن بداية نشاط الترجمة على يد يحيى بن خالد البرمكي في العصر العباسي حيث قال: "كان ملك الروم خاف على الروم إن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم، فجمع الكتب في موضع، وبنى عليها بناء مطمسة بالحجر والجص حتى لا يوصل إليها، فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد، وكان زنديقًا بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة، فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد أكثر علي من هداياه، ولا يطلب مني حاجة، وما أراه إلا يلتمس حاجة وأخاف أن تكون حاجته تشق علي، وقد شغل بالي، فلما جاءه رسول يحيى قال له: قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى رده إليه وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء يرسلها إلي أُخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه، فلما قرأ الرومي كتابه استطر فرحًا، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان، وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة وقد أفصح بحاجته وهي أخف الحوائج علي، وقد رأيت رأيًا فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشارونا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: ما هو؟ قال: حاجته الكتب اليونانية يستخرج منها ما أحب ويردها، قالوا: فما رأيك؟ قال: قد علمت أنه ما بنى عليها من كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرؤوها كان سببًا لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أنه لا يردها، يبتلون بها ونسلم نحن من شرها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم، فقالوا: نعم الرأي رأيت أيها الملك فأمضه، فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف"(٢).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ)، ٢/٢٠٦.

(٢) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، مرجع سابق، ١/٣٩-٤٠.

وهكذا "نجد أن ترجمة كتب الأديان والفلسفات والنحل قد أسهم بشكل كبير في انتشار الزندقة، وكانت رافدًا قويًّا لها، ومصدرًا مهمًّا من مصادرها"(١).

خامسًا: مكر بعض أهل البلاد المفتوحة

كان من بعض أهل البلاد المفتوحة من لم تصدق نيته في الدخول في الإسلام؛ فقد غاظهم انتشار الإسلام، وتمكن أهله من التغلب على سائر الأديان، وفضحه أكاذيبهم، فغلت قلوبهم من الحنق والغيظ على الإسلام والمسلمين(٢)، وكان من أشدهم حنقًا الفرس؛ فإنهم كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي المسلمين، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام، ورأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام(٣) ليسهل عليهم استمالة بعض الناس، ثم أثاروا لهم بعض الشبه وألقوا عليهم بعض الشكوك، فانخدع بهم فئام من الناس، وخرجوا ببعض المسلمين من معتقد أهل السنة إلى البدعة والضلال، والشواهد على ذلك كثيرة منها: ما قام به الأفشين حيث أظهر الإسلام، واستطاع بمكره أن يكون من أبرز القادة في الجيش العباسي مظهرًا الشجاعة في محاربة بعض الخارجين والمعادين للدولة العباسية كبابك الخرمي الذي استعصى على كثير من قادة الجيش، ومن خلال بعض ما حققه من مكاسب للعباسيين علا شأنه وكثر مطيعوه وأصبح قائد جيوش المعتصم، فحاول قلب المملكة العباسية الإسلامية، ومحو الخلافة، ومحو الدين الإسلامي، وإعادة المملكة العجمية كما كانت بلغتها ودينها وسلطانها(٤)، لكن الله ﷻ هتك ستره ورد كيده إلى نحره، وصدق الله ﷻ وعده ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٨].

---

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، مرجع سابق، ص٣٨١.

(٢) ينظر، شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ط٢ (الرياض: دار المسير، ١٤٢٠هـ)، ص٧-٨.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد المعروف بابن حزم، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ)، ٣٧٢/١.

(٤) ينظر: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص١٤٤.

المبحث الثاني:

أبرز أعلام الزنادقة في العصر العباسي

القارئ فيما كُتب عن العصر العباسي يلحظ أن أخبار الزنادقة فيه مستفيضة، والموصوفين بالزندقة كُثر، ولم تكن الزندقة محصورة في فرقة أو أشخاص معلومين، فالزندقة صفة تُنزل على مجموعة من الاعتقادات والسلوكيات؛ فتطلق تارة على فرق كاملة كالقرامطة والإسماعيلية والشيعة الإمامية، وأخرى على أفراد بينهم شيء من التباين والاختلاف في فروع الاعتقاد لكن تجمعهم مخالفة أصول اعتقاد المسلمين، وبالبحث عن أصل كلمة زنديق يتبين أنها فارسية الأصل؛ فإن الفرس حين أتاهم زرادشت بن أسبيمان بكتابهم المعروف بـ "البستاه"، وعمل تفسيرًا له وهو "الزند"، وعمل لهذا التفسير شرحًا سماه "البازند"، وكان من أورد في شريعتهم شيئًا بخلاف "البستاه" وعدل إلى التأويل الذي هو "الزند" قالوا عنه: هذا زندي، وأخذ العرب هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق(١).

وجاء إطلاق وصف زنديق عند المسلمين على أربعة أوجه:

١/ "أطلق على من يعتقد بعقيدة الثانوية، وهم القائلون بالأصلين: النور والظلمة"(٢)، قال ابن حجر رحمه الله: أصل الزندقة أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك، وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور، وجاء الإسلام والزنديق يطلق على من يعتقد مقالتهم(٣)، وقال الخوارزمي: "الزنادقة هم المانوية، وكان المزدكية يسمون بذلك"(٤)، وهذا هو المعنى الأصلي

---

(١) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، شرحه: د. مفيد قميحة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ)، ١/٢٥٩.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، د.ط (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ١/٩٢٩.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر، ط٣ (دمشق: مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ)، ١٢/٣٣٨-٣٣٩.

(٤) ينظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ)، ص٥٦.

لإطلاق كلمة زنديق، وهم أتباع ديصان وماني ومزدك(١).

٢/ الملحد الذي لا ينتحل دينًا وينكر الشرائع، قال النووي رحمه الله: "الزنديق وهو الذي يُنكر الشَّرْعَ جُمْلة"(٢)، وقال ابن حجر رحمه الله: "الزنديق من لا يعتقد ملة وينكر الشرائع، ويطلق على المنافق"(٣).

٣/ المنافق؛ فقد وردت تسمية المنافق بالزنديق في بعض كتب العلماء وبخاصة الفقهاء عند كلامهم في أحكام توبة الزنديق، والمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر(٤)، وجاء عن جمع من علماء السلف الصالح ما يدل على هذه التسمية منها:

قال الإمام مالك رحمه الله: "النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم"(٥).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "الزنادقة الذين ينتحلون الإسلام وهم على دين غير ذلك"(٦).

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله: "الزنديق هو الذي يُسر الكفر ويظهر الإيمان"(٧).

وقال ابن تيمية رحمه الله: فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مشركًا أو وثنيًّا، وسواء كان معطلًا للصانع وللنبوة أو

---

(١) ينظر: الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، د. سعد بن فلاح العريفي، ط١ (الرياض: دار التوحيد، ١٤٣٤هـ)، ١/٤٥.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ١/٢٠٧.

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر، ط٣ (دمشق: مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ)، ص١٩٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ١/١٣٩، ٨/١٣٢. أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)، كتاب الردة، باب أحكام الزنادقة، ص٤٥٩-٤٦٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١/١٤٠.

(٦) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، كتاب الردة، باب أحكام الزنادقة، ص٤٦٠.

(٧) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ١/٢١.

للنبوة فقط أو لنبوة نبينا محمد ﷺ فقط، فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين(١).

ومن العلماء من لم يجعل كل منافق زنديقًا؛ حيث خصه بمن ظهر منه ما يدل على كفره كأن يطعن في الإسلام أو يمتدح بعض ملل الكفر أو غير ذلك مما تتبين به حقيقة حاله، سواء كان ذلك شعرًا أو نثرًا أو كتابة أو غير ذلك، وفي هذا الإطلاق تدخل بعض الفرق الضالة كالسبئية والجهمية والقرامطة(٢)، أما من لم يظهر ما يدل على كفره فهو منافق في حكم الله ﷻ ولا يطلق عليه وصف زنديق.

٤/ التهتك والمجون مع تبجح في القول يصل أحيانًا إلى ما يمس الدين لكن قائله لم يقله عن نظر وإنما قاله عن خلاعة ومجون(٣)، كحال إبراهيم بن سيابة الشاعر الذي كان يرمى بالزندقة، ولم يعرف عنه قول في الدين، إنما كان يعرف عنه أنه كان خليعًا ماجنًا، طيب النادرة، يحب الغلمان، ويحبه المجان(٤). وكانت الزندقة بهذا الإطلاق تأخذ بصاحبها في بعض الأحيان إلى زندقة الاعتقاد فيؤول حاله إلى الإلحاد أو يعتنق في سره دينًا غير الإسلام.

والإطلاق الثالث (المنافق الذي ظهر ما يدل على ما يبطنه من الكفر) هو الذي التزمت به في جمع ودراسة المادة العلمية في هذا البحث؛ فذكرت ترجمة لأبرز أعلام الزنادقة من المنافقين في العصر العباسي، وأمسكت عن الزنادقة من الثانوية والملحدين وأهل التهتك والمجون التزامًا بالضابط الذي حددته في خطة البحث، وفي ظل كثرة من وصفوا بالزندقة في العصر العباسي حرصت على أن لا أسود الصفحات بوصف أحد من عباد الله بالزندقة لمجرد وصفه في بعض الكتب بالزندقة مصدرة بفعل (قِيل) أو (أُتهم) و (مُتهم) كما جاء في اتهام حماد بن عجرد(٥)

---

(١) ينظر: بغية المُرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، مرجع سابق، ص٣٣٨.

(٢) ينظر: الزنادقة: عقائدهم وفرهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ١/٦٠، التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ)، ٢/٨٠.

(٣) ينظر: ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص١٥٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٤٦، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، د.ط (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ١٢/١٠٨-١١٢.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٩٣.

وبشار بن برد[1] وعبدالله بن المقفع[2] ومحمد بن سعيد المصلوب[3] بالزندقة؛ فالتهمة لا تثبت إلا بدليل معتبر، وليس في (قِيل) (أُتهم) (مُتهم) ما تبرأ به الذمة عند الله ﷻ في اتهام بعض عباده في دينهم، وبخاصة مع إمساك بعض الأعلام الكبار من المؤرخين الثقات كالطبري وابن كثير عن وصفهم بالزندقة، كسكوت الطبري عن ابن المقفع، أو ذكرها بصيغة التمريض كما فعل ابن كثير في حديثه عن ابن المقفع، أو نفيهم تهمة الزندقة عنهم كما نفاها الذهبي عن محمد بن سعيد المصلوب.

لما سبق جعلت لذكر أعلام الزنادقة في هذا البحث ثلاثة ضوابط هي:

أولًا: ذكر شاهد يدل على زندقته، أو شهادة صريحة من علماء المسلمين الثقات بزندقته، عملًا بقول الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

ثانيًا: أن يأتي ذكر صريح وبيِّن لشيء من سيرته في بعض كتابات علماء العصر العباسي[4].

ثالثًا: أن يرد ذكر بعض أعمال الحسبة عليهم في العصر العباسي.

وكففت قلمي عن من عرف بالزندقة في نفســــه من غير وجود دلائل على أثره في المجتمع العباسي، أو من ذكر اسمه موصوفًا بالزندقة دون وجود ترجمة تبين طرفًا من سيرته، ومن نظر في كتاب "الفهرست" لابن النديم وجد فيه العشرات ممن وصفهم بالزندقة دون تحديد نوع زندقتهم ولا ذكر شواهد على زندقتهم، مثل قوله: ومن الشعراء: بشار بن يرد، إسحاق بن خلف، ابن

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، ٥/٦٨.

(٢) ينظر: الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م)، ١٠٣-١٠٩، البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٧٨.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص٥٦١-٥٦٣.

(٤) تركت الباحثة ما كان حديث بعض العلماء عنه بصيغة التمريض كذُكر وقِيل، مثل تحديد شخص قرمط.

نباتة، سلم الخاسر، على بن الخليل، على بن ثابت، ومن تشهر أخيرًا أبو عيسى الوراق، وأبو الناشي، والجبهان بن محمد بن أحمد، وقال أيضًا: من كان يُرمى بالزندقة من الملوك والرؤساء: قيل إن البرامكة بأسرها -إلا محمد بن خالد بن برمك- كانت زنادقة، وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك، وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقًا، واعترف بذلك، فقتله الخليفة المهدي(١)، ولم يكن ابن النديم ملتزمًا بذكر شواهد على زندقتهم، ولم تجد الباحثة ترجمة وشواهد على زندقة كثير ممن ذكرهم؛ لذلك لم تذكرهم ضمن أعلام زنادقة العصر العباسي.

وفيما يلي ذكر نبذة مختصرة عن أبرز زنادقة العصر العباسي ممن وجدت لهم الباحثة ترجمة وشواهد تثبت زندقتهم:

الحسين بن أبي منصور العجلي:

زعيم الفرقة المنصورية بعد مقتل أبيه أبي منصور العجلي مؤسس الفرقة، كان أبو منصور عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر في الأول، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام، وتظاهر بذلك(٢)، وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، ويقول: من خالفكم فهو كافر مشرك، فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي(٣)، كان من إفكه وزندقته زعمه أنه هو الكِسْف الساقط من السماء، وأنه عُرج به إلى السماء فمسح معبودُه رأسه بيده، وقال: يا بني، انزل فبلغ عني، ثم أهبطه إلى الأرض، وأن الرسل لا تنقطع أبدًا، وأن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام، وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله ﷻ -تعالى الله عن قوله علوًّا كبيرًا- بمعاداتهم، وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم، واستحلال نسائهم(٤)، وقد وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبدالملك على قصته وخبث دعوته، فأخذه

(١) ينظر: الفهرست، مرجع سابق، ١/٤٠١.

(٢) ينظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/١٨١-١٨٢.

(٣) ينظر: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، د. فتحي محمد الزغبي، ط١ (طنطا: مطابع غباش، ١٤٠٩هـ)، ص٣٠٨.

(٤) ينظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/١٨١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ)، ١/٧٥.

وصلبه[١]، ثم قام من بعده ابنه الحسين بن أبي منصور فتنبأ، وادعى مرتبة أبيه، فأخذ وأتى به إلى المهدي العباسي، فأقر أمامه بما نسب إليه، فقتله وصلبه، وأخذ منه مالًا عظيمًا، وطلب أصحابه فأخذ منهم جماعة فقتلهم وصلبهم[٢].

عبدالكريم بن أبي العوجاء:

هو خال معن بين زائدة الشيباني، جمع بين أربعة أنواع من الضلالة:

أحدها: أنه كان يرى في السر دين المانوية من الثانوية.

الثاني: قوله بالتناسخ.

الثالث: ميله إلى الرافضة في الإمامة.

الرابع: قوله بالقدر في أبواب التعديل والتجوير[٣].

حُبس في عهد الخليفة المنصور، وأرسل إلى محمد بن سليمان بن علي عامل المنصور على الكوفة يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف، لكنه أمر بضرب عنقه على الزندقة، فلما أيقن أنه مقتول قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرم فيها الحلال، وأُحلّ فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم، وصلب بالكُناسة سنة خمس وخمسين ومائة[٤].

والأحاديث التي وضعها كانت بأسانيد يغتر بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل، كلها ضلالات في التشبيه والتعطيل، وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة[٥]، "واستطاع أن يغرر بهذه الأحاديث الروافض، ووضع لهم حسابًا يغيرون به رؤوس الشهور، ونسب ذلك إلى جعفر بن

---

(١) ينظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١٨٢/١.

(٢) ينظر: كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مرجع سابق، ٧٤/١-٧٥.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٠٨/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٨/٥-٣٩.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣٧.

محمد بن جعفر الصادق"[1].

جاء في ترجمته عند الحافظ ابن حجر رحمه الله: "عبدالكريم بن أبي العوجاء زنديق، ذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب "الأغاني" أنه وصالح بن عبدالقدوس صححا الثنوية، وكان يفسد الأحداث، فتهدده عمرو بن عبيد فلحق بالكوفة، فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه وذلك في زمن المهدي بعد الستين ومائة، فيه يقول بشار بن برد:

قل لعبد الكريم يا ابن أبي العو ... جاء بعت الإسلام بالكفر موقا"[2]

صالح بن عبدالقدوس:

يكنى بأبي الفضل البصري مولى الأسد، صاحب الفلسفة، اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة، فأمر بحمله إليه وأحضره بين يديه، فلما خاطبه أُعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته، فأمر بتخلية سبيله، فلما ولى ردّه وقال له: ألست القائل:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يُسقى الماء في غرْسِه

حتى تراه مُورقًا ناضرًا ... من بعد ما أَبصرتَ من يُبْسِه

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يُوارى في ثرى رَمْسه

إذا ارعوى عاد إلى جَهْله ... كذى الضَّنَا عاد إلى نُكسِه

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: ونحن نحكم في نفسك بحكمك.

فأمر به فقتل، وصلب على الجسر[3].

وقيل إنه قتل في عصر الرشيد؛ فقد كتب عنه صاحب "طبقات الشعراء": "أُنهي إلى الرشيد عنه هذه الأبيات يعرض فيها بالنبي ﷺ:

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٢) لسان الميزان، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، ط١ (بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ)، ٢/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٩/ ٣٠٤. لسان الميزان، مرجع سابق، ٢/ ٢٩١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مرجع سابق، ٢/ ٢٩٧.

غصب المسكين زوجته	فجرت عيناه من دره
ما قضى المسكين من وطر	لا ولا المعشار من وطره
غذت باله اللطيف بنا	أن يكون الحور من قدره

عليه لعنة الله إن كان قالها، فقال الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات؟

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، تسفك دمي على الشُّبهة فقد قال النبي ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم**»(١) وأخذ يرقق قلبه ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه، ويتلو القرآن حتى رق له، وأمر بتخلية سبيله، فلما أراد أن يخرج من بين يديه قال: أنشدني قصيدتك السنية، فأنشده حتى إذا بلغ قوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه	حتى يوارى في ثرى رمسه

قال: يا شيخ، هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشعر -يعني الأبيات التي نُسبت إليه- ونحن نتمثل وصيتك، ثم أمر فضربت عنقه، وصلب على الجسر"(٢).

قال عنه المرزباني في "معجم الشعراء": كان حكيم الشعراء زنديقًا متكلمًا يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم، وقال الخطيب: يقال إنه كان مشهورًا بالزندقة، وله مع أبي الهذيل علاف مناظرات(٣)، وذكر أنه اجتمع قوم من أهل الأدب في مجلس فيهم صالح بن عبدالقدوس يتناشدون الأشعار إلى أن حانت الصلاة، فقام القوم إلى ذلك، وقام صالح فتوضأ وأحسن ثم صلى أتم صلاة وأحسنها، فقال بعضهم: أتصلي هذه الصلاة ومذهبك ما تذكر؟ قال: إنما هو رسم البلد،

---

(١) يقصد حديث: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»، حدثنا هناد حدثنا وكيع عن يزيد بن زياد نحو حديث محمد بن ربيعة ولم يرفعه. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ط٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ)، كتاب الحدود عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في درء الحدود، رقم الحديث (١٤٤٧)، ٤٣٨/٢. قال الألباني رحمه الله: ضعيف. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الألباني، ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ)، رقم الحديث (١٤٢٤)، ص١٥٧.

(٢) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ط٣ (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص٨٩-٩٠.

(٣) ينظر: لسان الميزان، مرجع سابق،٢/ ٢٩١-٢٩٢.

وعادة الجسد. والله أعلم بتحقيق ذلك(١).

الأفشين:

حيدر بن كاوس المشهور بالأفشين، كان من أبرز قادة الجيش في عصر المأمون، وشارك في القضاء على بعض الثورات ضد العباسيين، حوكم على زندقته حيث وجهت له التهم التالية:

١/ اتهم أنه عمد إلى رجلين كانا قد وَجَدا بيتًا فيه أصنام -في أشروسنة- فأخرجا الأصنام منه، وحولاه مسجدًا، وصار أحدهما إمامًا للمسجد والآخر مؤذنًا، فضربهما الأفشين ألف سوط حتى عريت ظهورهما من اللحم.

وقد دافع عن نفسه بأنه كان بينه وبين ملوك السند عهد أن يترك كل قوم على دينهم، فكان عمل الإمام والمؤذن تعديًا على ما التزمه من حرية الأديان.

٢/ أنه عُثر في بيته على كتاب قد زين بالذهب والجواهر والديباج فيه كفر بالله ﷻ.

وكان رده على هذه التهمة الإقرار بها، وذكر أنه ورث الكتاب عن آبائه، والكتاب فيه أدب من آداب العجم، وفيه كفر، فانتفع بما فيه من أدب وترك ما فيه من كفر، ولم يكن بحاجة إلى مال حتى يجرد الكتاب من حلته، وزعم أن هذا الكتاب كشأن كتاب "كليلة ودمنة" وكتاب "مزدك"، وهما في منازل القضاة، لم يعترض عليهما معترض.

٣/ أنه كان يأكل المخنوقة، ويزعم أنها أرطب لحمًا من المذبوحة، وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء، يضرب وسطها بالسيف، ثم يمشي بين نصفيها ويأكل لحمها.

ورد على هذا بأن من شهد عليه بهذه الشهادة يعترف خصومه بأنه ليس ثقة ولا مُعدلًا، وليس بين منزل الشاهد ومنزل الأفشين باب أو كوة يطلع عليه منها ويتعرف أخباره.

٤/ واتهم بأن أهل مملكته كانوا يكتبون إليه باللغة الأشروسنية بما تفسيره بالعربية إلى إله الآلهة من عبدِه فلان بن فلان.

وأجاب عن هذه التهمة بأن هؤلاء القوم كانوا يكتبون لأبي وجدي كذلك ولي قبل أن أدخل في الإسلام، فكرهت أن أضع نفسي دونهم، فتفسد عليّ طاعتهم.

---

(١) ينظر: طبقات الشعراء، مرجع سابق، ص٩٠.

٥/ أنه كتب إلى "قوهيار" أنه ليس من ينصر هذا الدين الأبيض (يريد المجوسية) إلا أنا وأنت وبابك (يقصد بابك الخرمي) فأما بابك فقد قتل نفسه بحمقه، فإن خالفتَ لم يكن للقوم من يرمونك به غيري، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب والمغاربة والأتراك، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كِسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب (يعني المغاربة) إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين (يعني الأتراك) فإنما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول عليهم الخيل جولة، فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم.

وخلاصة هذه التهمة العظمى محاولته قلب المملكة الإسلامية، ومحو الخلافة، ومحو الدين الإسلامي، وإعادة المملكة العجمية كما كانت بلغتها ودينها وسلطانها.

وقد أنكر أنه كتب إلى "قوهيار" هذا الكتاب، وقال: ولو صح لكانت هذه حيلة مني أريد أن أستميله حتى يثق بي ثم آتي به إلى الخليفة لأحظى به عنده.

٦/ ترك الاختتان.

فقال إنه خاف أن يقطع ذلك من جسده فيموت.

وبعد انتهاء محاكمته رد إلى الحبس، ومُنع عنه الطعام والشراب إلى أن مات، ثم صلب وأحرق بالنار[(١)].

وبالنظر إلى التهم والردود يتبين شدة ذكائه وسرعة بديهته، واجتماع هذه التهم مع ضعف رده على بعضها، وكون الحكم عليه كان في محاكمة يرجح -والله أعلم- أنه كان زنديقًا.

بشر المريسي:

هو بشر بن غياث، ابن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون، كان في أول أمره ينظر في شيء من الفقه، وأخذه عن القاضي أبي يوسف، وروى الحديث عنه وعن: حماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، وغيرهم، ثم غلب عليه علم الكلام، وقد

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٢٠٧- ٢٦٨. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥/٢٣٤- ٢٦٢. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥/٢٤. ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٤.

نهاه الشافعي عن تعلمه وتعاطيه فلم يقبل منه إلى أن صار حاله إلى الزندقة، وصار له حظوة عند المأمون وتقدم في حضرته(١).

قال عنه ابن خلكان: جدد القول بخلق القرآن وحُكي عنه أقوال شنيعة، وكان مرجئيًّا وإليه تنسب المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، وإنما هو علامة للكفر، وكان لا يحسن النحو، وكان يلحن لحنًا فاحشًا، ويقال: إن أباه كان يهوديًّا صبّاغًا بالكوفة، وكان يسكن درب المريسي ببغداد، والمريس عندهم هو: الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر، قال: ومريس ناحية ببلاد النوبة تهب عليها في الشتاء ريح باردة(٢).

قال الشافعي رحمه الله: "دخلت بغداد فنزلت على بشر المريسي، فأنزلني في غرفة له، فقالت لي أمه: لم جئت إلى هذا؟ قلت: أسمع منه العلم. فقالت: هذا زنديق!"(٣).

مما جاء في ترجمته عند ابن حجر رحمه الله: مبتدعٌ ضال، لا ينبغي أن يُروى عنه ولا كرامة له، تفقه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان إنما أخذ مقالته واحتج بها ودعا إليها، وسمع من حمّاد بن سلمة وغيره.

وقال قتيبة بن سعيد: بشر المريسي كافر، وصفه أبو زرعة الرازي بقوله: بشر المريسي زنديق، وأخبر عنه العجلي قائلًا: رأيته مرةً واحدةً شيخًا قصيرًا دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود، وقال الأزدي: زائغ صاحب رأي، لا يقبل له قول، ولا يخرج حديثه ولا كرامة؛ إذ كان عندنا على غير طريقة الإسلام، وأفتى فيه يزيد بن هارون بقوله: بشر كافر حلال الدم(٤)، كانت وفاته في ذي الحجة سنة مائتين وتسعة عشر(٥).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٢٣٦.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ)، ١/٢٧٧.

(٣) تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٧/٦٣.

(٤) ينظر: لسان الميزان، مرجع سابق، ٢/٥٧.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٢٣٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١/٢٧٧

صاحب الزنج:

علي بن محمد بن عبدالرحمن العبدي من عبدالقيس، من ساكني قرية من قرى الري يقال لها وَرْزَنين، بها مولده ومنشؤه(١)، خرج سنة خمس وخمسين ومئتين في فرات البصرة زاعمًا أنه من آل بيت النبي ﷺ، وأن اسمه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٢)، لقبه المسلمون بالخبيث، وشهرته "صاحب الزنج"؛ لأنه جمع إليه الزنج وهم أكثر أتباعه، كان مُنجمًا طرقيًّا ذكيًّا، حروريًّا ماكرًا، داهيةً منحلًّا، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالانتماء إليهم وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق، ظهر بالبصرة، زعم أنه تكلم في المهد صيح به: يا علي! فقال: لبيك.

وكان يجمع اليهود والنصارى يسألهم عما في التوراة والإنجيل من ذكره وهم يسخرون منه، ويقرؤون له فصولًا فيدعي أنها فيه، واستغوى عبيد الناس وأوباشهم بحيله وشعوذته حتى كثروا فشد بهم على أهل البصرة وتم له ذلك، واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، انتدب لحربهم عسكر الخليفة العباسي المعتمد، وكان النصر للزنديق واستفحل بلاؤه، وكان من أمره أن أنشأ مدينة سماها "المختارة" في غاية الحصانة(٣)، اتخذ فيها منبرًا يصعد عليه ويسب عثمان وعليًّا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم(٤)، واستمرت فتنته حوالي خمس عشرة سنة، حملت في طياتها أحداثًا عظامًا، أعمل فيها وأتباعه سيوفهم في المسلمين، وتسلطوا عليهم، وكان القتال فيها بين جيشه وجيش الخليفة سجالًا، ولكثرتها قال الذهبي رحمه الله: "لو أفردت أخباره ووقائعه لبلغت مجلدًا"(٥)، وصف الطبري رحمه الله وقائع صاحب الزنج بقوله: "وكان لصاحب الزنج بعد ذلك أمور من عيثه(٦) هو وأصحابه في تلك الناحية تركنا ذكرها إذ لم تكن عظيمة؛ وإن كان كل أموره كانت

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٤١/٥-٤٤٢.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٤٦/٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ)، ١٢٩/١٣-١٣٠.

(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٥) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣٠/١٣.

(٦) العيث: الإفساد. القاموس المحيط، مرجع سابق، ص١٧٣

عظيمة"[1]، وقيل في عدد من قتلهم من المسلمين في تلك الوقائع أنه بلغ ألف ألف وخمسمائة ألف آدمي، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف[2]، كتب إليه الأمير الموفق -أخو الخليفة المعتمد- يدعوه إلى التوبة من ادعاء مخاطبة الملائكة، ومن تحريفه القرآن وضلالته، فما أجاب بشيء[3]، فعزم الموفق رحمه الله على حصار مدينته (المختارة) فحاصرها قريبًا من سنتين إلى أن تم له فتحها فقتل من كان بها من الرجال، وسبى النساء والأطفال، وهرب الزنديق مع بعض خاصته فتبعته السرايا والجيوش إلى أن قتل في إحدى المعارك، وحمل رأسه إلى الموفق، فلما تحقق من رأسه خر ساجدًا لله تعالى وذلك سنة سبعين ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة[4].

أبو سعيد الجنابي:

الحسن بن بهرام الجنابي، كنيته أبو سعيد[5]، كان ظهوره سنة ست وثمانين ومائتين في البحرين، وهو من القرامطة الذين عرفوا بإنكار المعاد والأحكام الشرعية كلها، ويوجبون قتل من يعمل بها[6]، ويدعون إلى إمام من أهل البيت[7]، وكان في أول أمره كيالًا يبيع الناس الطعام، يظهر العبادة والزهد والتقشف، ويدعو إلى إمام من أهل البيت، وأقام على ذلك مدة، فاستجاب له خلق كثير من الأعراب والزنج، فتزندقوا[8]، غزا أبو سعيد بأتباعه القرى، وقوي أمرهم حتى قربوا من نواحي البصرة، فجهز الخليفة المقتدر بالله جيشًا بقيادة العباس بن عمرو الغنوي، فتواقعوا وقعةً شديدةً، وانهزم أصحاب العباس وأسروا كلهم، فقام أبو سعيد بحرق جميع الأسرى واستبقى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٤٩/٥.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/ ١٣٠-١٣٥.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٤١/٥ -٥٨٧. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/٦- ٥٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٣٧/١١.

(٥) ينظر: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٣١٤/١١.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٩٢/٦. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٣١٤/١١.

(٧) ينظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م)، ٥٩/٢.

(٨) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٩٢/٦. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٧٦/١٣. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٣١٤/١١.

العباس ثم أطلقه بعد أيام، وقال له: امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت، فلما حضر بين يدي المقتدر خلع عليه، ثم إنهم دخلوا بلاد الشام سنة تسع وثمانين ومائتين، وجرت وقعات عدة بين جيش الخليفة والقرامطة إلى أن قتل أبو سعيد على يدي خادمه الصقلبي في الحمام(١)، حيث أراده أبو سعيد على الفاحشة فقتله وخرج فدعا رجلًا من رؤساء أصحابه وقال له: السيد يستدعيك، فلما دخل قتله، وما زال يفعل ذلك بواحد بعد واحد حتى قتل أربعة من الأعيان، ثم دعا الخامس، فلما رأى القتلى صاح فصاح النساء، واجتمعوا على الغلام فقتلوه، وكان علي بن عيسى الوزير قد كاتبه وأعذر إليه وحضه على الطاعة، ووبخه على ما يحكى عنه وعن أصحابه من ترك الصلوات والزكاة واستباحة المحرمات، ثم توعده وهدده، فبلغ الرسول مقتله وهم بالبصرة(٢).

أحمد بن الطيب:

أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، شهرته أحمد بن الطيب، ويكنى بأبي العباس السرخسي، كان متفننًا في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب، بليغ اللسان، وكان مؤدبًا للمعتضد، ثم أصبح نادمه وصاحب سره ومشورته، وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف، كان له تصانيف في الفلسفة، حاول خداع الخليفة المعتضد فادعى أنه أتلفها، ذكر يحيى بن علي النديم أنه حضر مجلس الخليفة المعتضد وبه أحمد بن الطيب، فقال أحمد: قد بعت دفاتري التي في النجوم والفلسفة والكلام والشعر، وتركت ما فيها من الحديث، وما همي في هذا الوقت إلا الفقه والحديث، فلما خرج قال المعتضد: أنا أعلم أنه زنديق، وأن هذا الذي فعله كله رياء(٣).

قتله الخليفة المعتضد بعد ذلك، فلما بلغ الناس ذلك أنكروه على الخليفة؛ لمكانته من الخليفة ولما كان يظهره الطيب من الإيمان بالله، وحدثه في هذا الشأن أحد خواصه عندما دخل عليه، حيث قال له المعتضد: إني أعرف أن في نفسك كلامًا فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وأنا آمن؟ قال: نعم، فقال: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء، فقال المعتضد: والله ما سفكت دمًا حرامًا منذ وُليت الخلافة إلا بحقه، فقال: فعلام قتلت أحمد بن الطيب، وقد كان

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/٩٢-١٠٠.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ١١/٣١٤.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، ٢١/٣٤٢.

خادمك، ولم تظهر له خيانة؟ فقال المعتضد: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه، فلما دعاني إلى ذلك قلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا منتصب في منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته، فقتلته على الكفر والزندقة(١).

أبو الخطاب ابن أبي زينب:

"محمد بن مقلاص أبو زينب الأسدي الكوفي الأجدع الزراد البزاز، يكنى تارة أبا الخطاب، وأخرى أبا الظبيان، وثالثة أبا إسماعيل"(٢)، وهو مولى بني أسد إليه تنسب الخطابية وهي فرقة من الروافض، عزا نفسه إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق رحمه الله، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول في ذلك، وبالغ في التبري منه واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه، وزعم أن الأئمة أنبياء ثم زعم أنهم آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد، وإلهية آبائه، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة(٣).

قال ابن الأثير في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين: "فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل، والطعن عليه، فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب "الميزان في نصرة الزندقة" وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطنًا، وأن الله تبارك وتعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الأئمة والأبواب صلاةً ولا زكاةً ولا غير ذلك، ولا حرم عليهم شيئًا، وأباح لهم زواج الأمهات والأخوات، وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرق أصحابه في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٧٢-٧٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٢/٣٠٧. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، ط٧ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م)، ٢/٢٣١.

(٣) ينظر: الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ١/١٨٣. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد الخشت، د.ط (القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت)، ص٢٠٣.

لكي يغروا الناس بذلك وهم على خلافه"(١).

وأباح لأتباعه شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم، ثم إن أبا الخطاب نصب خيمة في كناسة الكوفة، ودعا فيها أتباعه إلى عبادة جعفر(٢)، و"كثر عددهم بالكوفة حتى تجاوزوا الألوف"(٣)، "وعندما أعلن أبو الخطاب الخروج على والي الكوفة في أيام المنصور بعث عسكرًا إليه فأسروه، وأمر بصلبه في كناسة الكوفة"(٤).

ومما ذكر عن مواجهته لعسكر الخليفة أن أصحابه قالوا له: إننا نخاف الجند، فقال لهم: إن أسلحتهم لا تعمل فيكم، فلما ابتدؤوا في ضرب أعناقهم قال له أصحابه: ألم تقل إن سيوفهم لا تعمل فينا؟ فقال: إذا كان قد بدا لله فما حيلتي، وتفرقت هذه الطائفة في البلاد بعد قتله إلى خمس فرق(٥).

الحلاج(٦):

الحسين بن منصور بن محمد الحلاج أبو مغيث، ويقال: أبو عبد الله، إليه تنسب الفرق الحلاجية، كان جده مجوسيًّا من أهل فارس، دخل الحلاج بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام، ولا يأكل إلا بعض قرص، ويشرب قليلًا من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة.

قال عمرو بن عثمان المكي: كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة، وكنت أقرأ القرآن

---

(١) الكامل في التاريخ، مرجع السابق، ٦/١٢٥-١٢٦.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، ٣/١٢١.

(٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر الإسفراييني، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)، ص١١٣.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/١٢٦.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/١١٢-١٢٠. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٤/٣١٤- ٣٥٤. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٨/١١٢.

فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته.

قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة في فعله، وإلى الزندقة في عقيدته وعقده.

كان في عبارته حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية، وكان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يمكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان، فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، كان يتردد إلى البلدان يظهر للناس التنسك، ويتلوّن في ديانته بحسب ديانتهم، وقد جال بخراسان وما وراء النهر والهند، وزرع في كل ناحية زندقة، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد الترك بالمقيت، لبعد الديار عن الإيمان، وأما البلاد القريبة، فكانوا يكاتبونه من خراسان بأبي عبد الله الزاهد، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار، وسماه أشياعه ببغداد المصطلم، وبالبصرة المجير.

قال الصولي: جالست الحلاج فرأيت جاهلًا يتغافل، وفاجرًا يتزهد، وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل البلد يرون الاعتزال اعتزل أو التشيع تشيع أو التسنن تسنن، وكان من عظيم فتنته أنه استمال جماعة من حاشية الخليفة.

وعندما تبينت حقيقته لعمرو بن عثمان رحمه الله أخذ في كتابة كتب كثيرة يحذر الناس منه وأرسلها إلى الآفاق، فشرد الحلاج في البلاد وعاث يمينًا وشمالًا، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل، وتهجم على القرآن العظيم، وأراد معارضته في البلد الحرام، فاستحق وعيد الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [سورة الحج: ٢٥]، وكان الوزير حامد بن العباس قد وجد له كتبًا فيها: إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر، وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء وأفطر عليها أغناه عن صوم رمضان، وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنته عن الصلاة بعد ذلك، وإذا تصدق في يوم واحد بجميع ما ملكه في ذلك اليوم أغناه عن الزكاة، وإذا بنى بيتًا وصام أيامًا ثم طاف حوله عريانًا مرارًا أغناه عن الحج، وإذا صار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على شيء يسير من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن

العبادة باقي عمره، فجيء به في حضرة القضاة والعلماء والفقهاء والوزير حامد، وقيل له: أتعرف هذا الكتاب؟ فقال: هذا كتاب السنن للحسن البصري، فقال له الوزير حامد: ألست تدين بما في هذا الكتاب، فقال: بلى، هذا كتاب أدين الله بما فيه، فقال له القاضي أبو عمر: هذا نقض شرائع الإسلام، ثم جاراه في كلام إلى أن قال له القاضي أبو عمر: يا حلال الدم، وكتب بإحلال دمه وتبعه الفقهاء وأفتوا بقتله، وكُتب إلى الخليفة المقتدر: إن أمر الحلاج قد اشتهر، ولم يختلف فيه اثنان، وقد افتتن كثير من الناس به، فجاء الجواب: إذا كانت القضاة قد أفتوا بقتله، وأباحوا دمه، فليحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، وليضربه ألف سوط، فإن تلف وإلا ضربت عنقه، فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة ضرب ألف سوط، ثم قطعت يده، ثم رجله، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وألقي رماده في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر.

ومما قاله ابن تيمية ﵀ عن الحلاج: الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره، وبغير إقراره، والأمر الذي ثبت عليه بما يوجب القتل باتفاق المسلمين، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو إما منافق ملحد، وإما جاهل ضال، والذي قتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر، وبعضه يوجب قتله، فضلًا عن جميعه، والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة، وقدموا به إلى بغداد راكبًا على جمل ينادى عليه: هذا داعي القرامطة! وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة به، كان يطوف بالبيت ويتصدق على ثلاثين يتيمًا بصدقة ذكرها، وقد أجزأه ذلك عن الحج، فقالوا له: أنت قلت هذا؟ قال: نعم، فقالوا له: من أين لك هذا؟ قال: ذكره الحسن البصري في كتاب الصلاة، فقال له القاضي أبو عمر: تكذب يا زنديق! أنا قرأت هذا الكتاب وليس هذا فيه، فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوه، ويفتوا بما يجب عليه، فاتفقوا على وجوب قتله(١).

زكرويه بن مهرويه:

زكرويه بن مهرويه الدنداني، داعية القرامطة في العراق(٢)، كان ذكيًّا فطنًا من قرية بسواد الكوفة(٣)، سعى في استغواء من بسواد الكوفة من الأعراب، ودعاهم إلى معتقده الفاسد،

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)، ٣/٤٨٠-٤٨١.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٦٧.

(٣) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مرجع سابق، ١/١٥٥.

فاستجاب له جماعة قليلة، وكانت جيوش المعتضد بالله متتابعة إلى من بسواد الكوفة من القرامطة حتى أبادهم القتل، فسعى إلى استغواء من قرب من الكوفة من الأعراب، وأرسل أولاده (صاحب الشامة والشيخ) إلى بلاد الشام للدعوة هناك، فتبعهم خلق كثير، ودارت بينهم وبين جيش الخلافة حروب انتهت بقتلهم، فظهر مرة أخرى ببغداد، وادعى أن مما أوحي إليه أن ابنيه: صاحب الشامة والشيخ يقتلان، وأن إمامه سيظهر بعدهما ويظفر، ثم أخذ يرسل الدعاة والجيوش لإغواء الناس وإشاعة الفساد في الأرض قتلًا ونهبًا وسبيًا، وهو مختف بين ظهراني قوم من القرامطة، ودارت بين جيش الخليفة المكتفي وجيوش زكرويه معارك كثيرة، كان النصر في بعضها لجيش الخلافة وبعضها لأتباع زكرويه، وكان زكرويه متخفيًا بين قوم من القرامطة، وكان إذا علم بأن هناك من يطلبه من الخليفة نزل جُبًّا في الأرض بقرية الدَّرِيَّة، وكان على الجب باب حديد، فكان إذا خاف الطلب جعل تنورًا على باب الجب، وقامت امرأة تسجره، فلا يُفطن إليه، وكان يتفنن في اتخاذ مخابئ أخرى، فلما استخرجه القرامطة حملوه على أيديهم وسموه ولي الله، وسجدوا له، فأخبرهم بأنهم إن امتثلوا أمره أنجز موعدهم الذي ذكره الله ﷻ في شأن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [سورة طه: ٥٩]، فأمرهم أن يسيروا حتى يصبحوا الكوفة يوم النحر من سنة ثلاث وتسعين ومائتين، فامتثلوا رأيه ووافوا باب الكوفة وقد انصرف الناس من مصلاهم، وحدثت مواجهات بين الطرفين انتهت بهزيمة جيش القرمطي نحو القادسية[(١)]، وكان من زندقته قصده قوافل الحجاج وهم قافلون من مكة المكرمة سنة أربع وتسعين ومئتين، وقتل منهم نحوًا من عشرين ألفًا، وأخذ أموالهم، وسبى من النساء من أراد، ولما بلغ الخليفة المكتفي رحمه الله ما فعله بالحجاج عظم ذلك عليه وجهز الجيوش وأمرهم بقتاله ومن معه، فحدثت مقتلة عظيمة بينهما انتهت بانتصار جيش الخلافة، واستطاع أحد الجند ضرب زكرويه على رأسه، وأُخذ أسيرًا، وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات، فسيرت جيفته والأسرى إلى بغداد، وكان من الأسرى جماعة من خواصه وأقربائه وكاتبه، وحمل رأسه إلى خرسان لئلا ينقطع الحجاج[(٢)].

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٤٢-٦٤٣. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/١١٢-١١٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٨٤-٨٥.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٦٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٣/٤٩-٥٠. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٨٥.

يحيى بن زكرويه:

يحي بن زكرويه بن مهرويه القرمطي، يكنى بأبي القاسم ويلقب بالشيخ، أرسله أبوه مع باقي أولاده إلى الشام، فقام بالدعوة إلى رأي القرامطة هناك، فبايعه بعضهم ولقبوه بالشيخ، وقد زعم لهم أنه حسيني من آل البيت، وأن له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا، وتكهن لهم، وأظهر عضدًا له ناقصة، وذكر أنها آية، فقصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد بالله بناحية الرصافة، فقتلوه، وحرقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قريه يمرون بها، وحاربه طُغج بن جُف متولي دمشق أكثر من مرة حتى حاصرها يحي بن زكرويه، فأنفذ المصريون إليه بدرًا الكبير غلام ابن طولون، فاجتمع مع طُغج على محاربته، فأمكن الله لهم وقتل الزنديق يحي بن زكرويه(١).

أبو طاهر الجنابي:

سليمان بن حسن القرمطي الجنابي، يكنى بأبي طاهر، قام مقام والده أبي سعيد الجنابي بعد قتله، وصفه الذهبي رحمه الله بقوله: عدو الله، ملك البحرين، الأعرابي، الزنديق، افتتنت القرامطة به(٢).

كان أبوه قد أطلعه وحده على كنوز دفنها، فلما قام مقام والده كان يقول للناس: هنا كنز، فيحفرون فإذا هم بالمال، وعاث في البلاد بالفساد قتلًا وسبيًا وتحريقًا ونهبًا(٣)، شرع لأتباعه اللواط ووطء الأخت وقتل من امتنع، وكان من أقبح أفعاله سيره إلى مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة في سبعمائة فارس، فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، فقتل في سكك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفًا، وسبى الذرية، وأقام بالحرم ستة أيام، بذل السيف في سابع ذي الحجة، ولم يقف في عرفات أحد تلك السنة، وردم زمزم بالقتلى، وصعد على عتبة الكعبة يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقتل أمير مكة ابن محارب، وأخذ باب الكعبة والحجر الأسود، ورجع إلى بلاد هجر

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٦٥-٦٦٧. المنتظم في أخبار الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٣/١٤-١٥. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/١١٣-١١٤.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/٣٢٠.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/ ١٣٣.

بالأحساء وبقي عنده الحجر الأسود نيفًا وعشرين سنة، جرت فيها حروب ومراسلات بينه وبين المسلمين لرد الحجر فكان يرفض إلى أن هلك بالجدري سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بهجر(١)، ورُد الحجر الأسود بعد موته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة(٢).

الشلمغاني:

محمد بن علي الشلمغاني المكنى بأبي العذافر، وإليه تنسب فرقة العذافرة(٣)، كان أول أمره على عقيدة الإمامية، وكان من الكتاب فصنف كتبًا منها: "ماهية العصمة" "البدء والمشيئة"(٤)، ثم أحدث لهم مذهبًا غاليًا في التشيع، كان من ضلالاته القول بأن الله يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل، وأن الإلهية قد حلت فيه، وادعى تناسخ الأرواح(٥)، وكثر أتباعه (٦)، وكان منهم أناس من أعيان دولة المقتدر العباسي(٧)، طلبه الخليفة العباسي فهرب إلى الموصل وأقام سنتين، ثم انحدر إلى بغداد، واتصل ببعض كبار دار الخلافة كابن الحسين بن القاسم بن عبيد الله وزير المقتدر بالله، ومن أتباعه ابنا بسطام، وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون من أعيان الكتاب(٨) وغيرهم، فقبض عليه ابن مقلة، ووجد في داره رقاعًا وكتبًا ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضًا، وأمر ابن مقلة بحبسه، ثم عرض عليه تلك الخطوط فأقر أنها خطوطهم، وأنكر مذهبه، وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه(٩)، ثم أحضره عند الخليفة الراضي بالله فسمع

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠٤/٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٠٤/٦. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/ ٣٢٠-٣٢٥.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٨٧/١١. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٣٥/٦.

(٣) ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٤٧/١١.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٥١/١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١٥٦/٢.

(٦) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مرجع سابق، ١١٢/٤

(٧) ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٢٧٣/٦.

(٨) ينظر: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ١٥٦/٢.

(٩) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١٥٦/٢.

كلامه وأنكر الإلهية، وقال: إن لم تنزل العقوبة بعد بضعة أيام وإلا فدمي حلال[1]، وأحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة، فأمر بصفعه فامتنعا، فلما أكرههما مد ابن عبدوس يده فصفعه، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه، وارتعدت يده وقبل لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال: إلهي وسيدي ورازقي، فقال له الخليفة الراضي بالله: قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية فما هذا؟ فقال: وما علي من قول ابن أبي عون والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط، فقال ابن عبدوس: إنه لم يدع إلهية، إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر، ثم أُحضِروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة والكتاب والقواد، وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فضربت عنقه في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة[2]، وعاش ثمانيًا وسبعين سنة[3].

ابن عطاش:

أحمد بن عبدالملك بن عطاش الباطني[4]، كان والده داعية المذهب الإسماعيلي في العراق، فأُخذ في أيام طغرلبك لأجل مذهبه وأراد قتله فأظهر التوبة، ومضى إلى الري وصاحب أبا علي النيسابوري وهو من رؤوس الإسماعيلية فصاهره، وصنف رسالة في الدعاء إلى مذهبه الإسماعيلي سماها "العقيقة"[5]، وبعد وفاته ألبس الباطنية ابنه أحمد تاجًا، وجمعوا له الأموال، وقدموه عليهم رغم جهله لمكانة أبيه عندهم، وكان له أتباع كثير، وبأس شديد، واستطاع بعد فترة الاستيلاء على قلعة أصبهان، واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال، وقتل من قدروا على قتله، فقتلوا خلقًا كثيرًا لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى حتى تعذر على الناس الانتفاع بأملاكهم[6]،

---

(١) ينظر: المنتظم في أخبار الأمم والملوك، مرجع سابق، ٣٤٢/١٣. العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ١٤/٢.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٢/٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١٥٦/٢.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٢/٦. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٤٧/١١.

(٤) ينظر: المنتظم في أخبار الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٠٢/١٧. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠١/٨.

(٥) ينظر: المنتظم في أخبار الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٠٢/١٧.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠١/٨.

"وكان الناس يقولون عن هذه القلعة: كان دليلها كلبًا، والمشير بها كافرًا، والمتحصن بها زنديقاً"[(١)].

كان السلطان محمد قد عزم على التصدي للباطنية والقضاء عليهم، وسيَّر الجيوش وحاصر كثيرًا من قلاعهم واضطرهم لتسليمها والإذعان لأمره، ثم توجه إلى حصار ابن عطاش الذي قل عدد من عنده ممن يمنع ويقاتل بعد تلك المواجهات العسكرية، فظهر منه الصبر والشجاعة على محاصرة السلطان له، إلا أن أحد أعيانهم غدر بابن عطاش واتصل بالسلطان، فدله على مسلك يمكنه به دخول القلعة والإمساك بابن عطاش، فتجهز الجيش وهجم على القلعة ففتحها، وقتل أكثر من كان فيها من الباطنية، وأخذ ابن عطاش أسيرًا، فترك أسبوعًا ثم أمر به فشُهر به في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات بعد أن استمرت البلوى به اثنتي عشرة سنة[(٢)].

الحسن بن الصَّبَّاحِ:

المروزي الكاتب، والملقب بالكِيَا، باطني الاعتقاد[(٣)]، "من كبار الزنادقة، أصله من مرو، كان كاتبًا للأمير عبدالرزاق بن بهرام إذ كان صبيًّا"[(٤)]، عرف أصول الدعوة الإسماعيلية من عبدالملك بن عطاش داعية المذهب في العراق، قدم إلى مصر في زي تاجر في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، واتصل بالمستنصر واختص به، والتزم أن يقيم له الدعوة في بلاد خراسان وغيرها من بلاد المشرق، وسأله ابن الصباح عن عدة مسائل من مسائل الإسماعيلية فأجاب عنها بخطه، قيل له: يا أمير المؤمنين، من الإمام من بعدك، فأجاب: ولدي نزار[(٥)]، ثم سار من مصر فلما وصل إلى بلاده نشر بها دعوة المستنصر وبثها في تلك الأقطار[(٦)]، وكان لا يدعو إلا غبيًّا، لا يفرق بين شماله ويمينه، ومن لا يعرف أمور الدنيا، ويطعمه الجوز والعسل والشونيز[(٧)]، حتى يتبسط دماغه، ثم

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٤٨/١٢.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٢/٨-٢٤٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٣/١٧.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٥٢/١٩.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٣/١٧.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١١/٨.

(٦) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. محمد حلمي محمد ود. جمال الدين الشيال، ط٢ (القاهرة، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤١٦هـ)، ٣٢٣/٢.

(٧) الشونيز: الحبة السوداء، وهي المعروفة بحبة البركة. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٥٠١/١.

يذكر له حينئذ كذبًا وبهتانًا ما تم على أهل بيت المصطفى ﷺ من الظلم والعدوان، حتى يستقر ذلك في نفسه، ثم يقول له: إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في القتال مع بني أمية، فما سبب تخلفك بنفسك في نصرة إمامك؟ فيتركه بهذه المقالة طعمة للسباع(١).

وأخذ ابن الصباح أصحابه بجمع الأسلحة ومواعدتهم، حتى اجتمعوا له، ووثب بهم فأخذ قلعة ألموت(٢)، وتحصن بها وأصحابه، فإنه من أول أمره كان حريصًا على أن يحصن نفسه وأتباعه في قلاع، كما اعتمد أسلوبه على العنف والاغتيال وبث الرعب في نفوس الناس، وكان أول ضحاياه الوزير السلجوقي نظام الملك الذي شدد على الدعوة النزارية وحاربها(٣).

وكان ملكشاه قد أنفذ إليه يدعوه إلى الطاعة، ويتهدده إن خالف، ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال في جواب الرسالة والرسول حاضر: الجواب ما ترى، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه: أريد أن أنفذكم إلى مولاكم في قضاء حاجة، فمن ينهض لها؟ فاشرأب كل واحد منهم لذلك، وظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأومأ إلى شاب منهم، فقال له: اقتل نفسك، فقتل نفسه، وقال لآخر: ارم نفسك من القلعة، فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال: أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفًا هذا حد طاعتهم لي، وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه، فأخبره بما رأى، فعجب من ذلك وترك كلامهم، وصار بأيديهم قلاع كثيرة(٤)، و"كانت أيامه قد طالت، وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستًّا وعشرين سنة، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم وقتله، وأسر رجالهم، وسبي نسائهم"(٥)، مات سنة ثماني عشرة وخمسمائة(٦).

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٤/١٧.

(٢) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مرجع سابق، ٣٢٣/٢.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠٢/٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ١٢٢/٤.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٤/١٧.

(٥) الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٧٨/٨.

(٦) ينظر: لسان الميزان، مرجع سابق، ٥٩/٣.

ابن عربي:

"محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي"(١)، "اشتهر بابن عربي بالتنكير تمييزاً له عن القاضي ابن العربي المالكي رحمه الله"(٢)، منافق زنديق وإمام الاتحادية القائلين بوحدة الوجود(٣)، كان ذكيًا كثير المعرفة، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، سافر وطاف البلاد، فسكن الروم مدة، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى "الفتوحات المكية" في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وكتابه المسمى "فصوص الحكم" فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، قال عنه بعض العلماء: فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر. وقال عنه ابن تيمية رحمه الله: ما تضمنه كتاب "فصوص الحكم " وما شاكله من الكلام فإنه كفر باطناً وظاهراً، وباطنه أقبح من ظاهره، وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد، وابن عربي يقول بأن الوجود واحد، وأن وجود المخلوق هو وجود الخالق لا يثبت موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقول: الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، وأن وجود الأصنام هو وجود الله، وأن عباد الأصنام ما عبدوا شيئًا إلا الله، وأن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم(٤).

ولابن عربي كتاب "العبادلة" وديوان شعر، وله مصنفات أخرى كثيرةً جدًّا، حكى ابن دقيق العيد رحمه الله أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله يقول عن ابن عربي: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجًا.

أقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وعظمه جماعة من الناس، كانت وفاته في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٣/ ٤٨.

(٢) عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، تقي الدين الفاسي، ضبطه وعلق عليه: علي حسن علي عبد الحميد، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٠٨هـ) ص٩.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق: د. عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، د.ط (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ٦٢٥/١.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٣٦٤/٢-٣٦٥.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٥/١٣. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٣/ ٤٩.

المبحث الثالث:

مجالات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي

يقصد بمجالات الحسبة: كل نطاق أو موضع افتقد إلى المعروف، أو طرأ عليه منكر؛ تحقيقًا للعدل والفضيلة، وتطبيقًا للمبادئ المقررة في الشرع الإسلامي(١).

ومجالات الحسبة تتسع وتشمل كثيرًا من موضوعات العقيدة والشريعة والأخلاق(٢)، وتتنوع تقسيمات مجالات الحسبة بحسب الزاوية التي ينظر منها المصنف أو المحتسب، وهي في حقيقتها تقسيمات نظرية، فعلى أرض الواقع لا يستطيع المرء فصل مجال من مجالات الحسبة عن الآخر، فكل واحد منها مرتبط بالآخر، لكنه تقسيم للبيان العلمي لمجالات الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي، والذي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مجالات رئيسة: العقيدة، الشريعة، الأخلاق، وفيما يلي بيان مختصر لهذه المجالات الثلاثة.

الحسبة على الزنادقة في مجال العقيدة:

العقيدة لغة: "من عقد، والعَقْد نقيض الحَلِّ"(٣)، والعقيدة هي "الحُكْمُ الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله ﷻ وبعثة الرسل عليهم السلام، والجمع عقائد"(٤).

العقيدة اصطلاحًا: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله

---

(١) ينظر: الحسبة في النظام الإسلامي: أصولها الشرعية وتطبيقاتها العملية، رسالة ماجستير للأستاذ: إدريس محمد عثمان، منشورة في الشبكة العنكبوتية بصيغة ملف نصي (word)، ص١١٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١١١.

(٣) لسان العرب، مرجع سابق، ٣/٢٩٦.

(٤) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٢/٦١٤.

تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع"(١).

وتمتاز العقيدة الإسلامية بربانية المصدر والمقصد، ووسطية المسلك؛ فلا غلو فيها ولا جفاء، كما أنها متوائمة مع الفطرة؛ قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

ولأجل إقرارها في النفوس كانت بعثة الله ﷻ للأنبياء والرسل عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، فأمروا بتوحيد الله الذي هو أعظم معروف، ونهوا عن الكفر الذي هو أقبح منكر، وما استمرار نزول الآيات الآمرة بالتوحيد والناهية عن الشرك ثلاثًا وعشرين سنة، وكثرة ورودها في حديث رسول الله ﷺ ووصاياه، إلا بعض شواهد على هذه الأهمية والأولوية.

"قالت طائفة من أهل العلم: إن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي"(٢)، وعند التحقيق يتبين أن القصص والأمر والنهي من مقتضيات التوحيد وأدلته؛ فيصح أن يقال إن القرآن كله جاء بالتوحيد، قال ابن القيم رحمه الله: "إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطَّلَبي. وإما أمر أو نهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النَّكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد؛

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٢هـ)، ص٥.

(٢) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٢٠٧/١٧.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[1].

وجاءت سيرة النبي ﷺ شاهدة على أهمية الاحتساب في مجال العقيدة؛ حيث كانت هي القضية الكبرى التي عاش النبي ﷺ آمرًا بها، ناهيًا عن ضدها، كانت همه الأكبر ومقصده الأولى والأسمى، قضى ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يسعى بين الناس آمرًا بها ناهيًا عن كل ما يخالفها من ملل الكفر، بلسان فصيح وحجة دامغة ومعجزة ناطقة بالحق، ملتزمًا بدرجتي التعريف والوعظ والتوبيخ في أمره ونهيه، وأكمل مسيرة أمره ونهيه في المدينة المنورة عشر سنوات لذات الهم والمقصد، لم يغفل عنها حتى في لحظات عمره الأخيرة وهو يعاني سكرات الموت كان ينطق ناهيًا عن بعض ما يخالفها، عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب**»[2].

وما هذه العناية والأولوية للأمر بالتوحيد إلا دليل على أهمية شأن العقيدة وخطورة المساس بها على صعيد الفرد والمجتمع، فلا يقبل من المرء عمل بلا توحيد، ولا يجمع الناس وتستقيم حياتهم، وتغشاهم الرحمة إلا بالاجتماع على عقيدة التوحيد؛ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩].

والعقيدة الإسلامية هي المكون الأول لقوة الدولة الإسلامية وترابط أفراد مجتمعها، وهي المنطلق في بناء حضارة إسلامية متينة وشاملة في قلوب العباد والبلاد التي اختارها الله معاشًا لهم.

وكان من قدر الله سبحانه وتعالى أن سيكون في أمة محمد ﷺ من يتأثر بعقائد الأمم الأخرى ومنها الفرس منشأ الزندقة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**»، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: «**ومن**

(١) مدارج السالكين، محمد ابن القيم الجوزية، مرجع سابق، ٤/٤٤٢.

(٢) الموطأ، مرجع سابق، كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة، رقم الحديث (٢٦٠٦)، ٢/٤٧٠. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، رقم الحديث (٦-٧).

الناس إلا أولئك»[1]، وهذا الأخذ بعقائد فارس والروم اتسع وعظم شره في العصر العباسي على أيدي أعلام الزناقة بما أثاروه من شبهات حول القرآن والسنة، وترجموه من كتب ضمت بين دفتيها الضلال والشكوك، وكتبوا ودعوا إلى عقائد فاسدة مع زعمهم أنهم على عقيدة المسلمين، ومعلوم بالاستقراء والتتبع وبمقارنة العقائد والمقالات أن كثيرًا من عقائد الزنادقة التي سعى بعضهم لنشرها كالباطنية والرافضة إنما هي امتداد لمقالات الفرس المجوس والزنادقة من سائر الأمم الهالكة، وكذلك الأمر بالنسبة لأصول الجهمية؛ فهي من الفلسفة التي دخلت على المسلمين من باب الترجمة[2]، إلا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وصدق رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[3].

قال ابن القيم رحمه الله: "واشتد نكيرُ السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد"[4].

وبفضل الله وعونه لأهل السنة في دفاعهم عن الملة والرد على أعدائها من الملاحدة والباطنية والقرامطة والاتحادية والرافضة وغيرهم، دحر الله كيد الزنادقة الذين ما فتئوا يلقون بصريف أقلامهم وكلامهم الكفر والضلال، ويثيرون الشبهات والشهوات، وقد بلغ جهد الخلفاء والأمراء والعلماء والمحتسبين في هذا الشأن مبلغًا عظيمًا[5]؛ حرصًا على بقاء الإسلام قوي البِنية على ميراث النبوة نقيًّا صافيًا، وللمسلمين هديًا قاصدًا، وهذا هو لباب نصاب الاحتساب؛ لضرب كل بنان يريد

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، رقم الحديث (٧٣١٩)، ٤/٣٦٧.

(٢) ينظر: حراسة العقيدة، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ)، ص١٠٥.

(٣) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، رقم الحديث (١٠٣٧)، ص١٠٢٧.

(٤) مدارج السالكين، مرجع سابق، ١/٦٤٦.

(٥) ينظر الفصل الثاني، ص ٩١-١٥١.

أن يخُط في وحدة صف الأمة سطور الفرقة والاختلاف، ومزاحمة الإسلام في أصله وصفاته[1].

الحسبة على الزنادقة في مجال الشريعة:

الشريعة لغة: "هي ما سنَّ الله ﷻ من الدِّين، وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البرِّ"[2]، وقيل: "ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام والطريقة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٨]"[3].

الشريعة اصطلاحًا: للشريعة إطلاقان: عام وخاص[4]؛ "فالشريعة بمعناها العام: هو ما شرع الله لعباده من الدين، أي سَنَّه لهم وافترضه عليهم"[5].

أما "الشريعة بمعناها الخاص: هي الأحكام العملية، أي المتعلقة بكيفية عمل مما تضمنه الكتاب والسنة دون الأحكام الاعتقادية والأخلاقية"[6].

والشريعة بمعناها الخاص هي المجال المقصود هنا؛ فأخذ العبد بالأحكام العملية معروف يجب عمله شرعًا، وهو دليل على صدق إيمان العبد بربه وصحة عقيدته، وتسليمه لأمره ونهيه، يرجو ثوابه ويخاف عقابه، أما من أظهر ترك المعروف الواجب عن علم أو جهل، أو سعى في العبث بالعبادات المقررة شرعًا بإسقاطها أو تغيير صورها فإنه يحتسب عليه ولا يترك وشأنه؛ فإن القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة لا غنى عنها لبقاء العمل بشعائر الإسلام ومنعًا من ظهور المنكرات وفشوها بين العباد، ودفعًا لغضب الله ﷻ وعقوبته التي تعم البلاد إذا ظهرت فيها المنكرات ولم يوجد من يحتسب عليها، ومن تأمل حديث السفينة وقف على أهمية هذه

(١) ينظر: الردود، بكر بن عبدالله أبو زيد، ط١ (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ)، ص١٤-١٥.

(٢) لسان العرب، مرجع سابق، ٨/١٧٦.

(٣) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ١/٤٧٩.

(٤) ينظر: المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، أ.د. عمر بن سليمان الأشقر، ط١ (عمان: دار النفائس، ١٤٢٥هـ)، ص١٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ)، ص٤٧٤.

(٦) المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص١٥.

الشعيرة واتساع دائرة ضرر إهمالها أو التقصير فيها؛ فعن النعمان بن بشير ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»(١).

وكان للمحتسبين على الزنادقة في العصر العباسي جهود في مجال الشريعة وإن كانت قليلة بسبب عنايتهم بأولوية العقيدة أمرًا ونهيًا، فكيف للصورة الظاهرية أن تستقيم والقلب قد رانت عليه الزندقة، ومن صور احتسابهم في مجال الشريعة إنكار عبث رؤوس الزنادقة بالأحكام الشرعية الذين يصدق فيهم قول الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٢١].

لقد شرع رؤوس الزنادقة لأتباعهم ما لم يأذن به الله ﷻ، وجعلوا المعروف ما ألفوه ورغبوا فيه، والمنكر ما كرهوه ورغبوا عنه، معرضين عن نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية التي يُحتكم إليها في معرفة المعروف والمنكر، وصدق فيهم قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٦].

قال ابن تيمية ﵀ عن بعض زنادقة الصوفية: "يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم، أو حل بعض المحرمات لهم، فمنهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة وحضور، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناء عنها بما هو فيه من التوجه والحضور، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه؛ لأن الكعبة تطوف به، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية، ومنهم من يستحل الفطر في رمضان بغير عذر شرعي زعمًا منه استغناءه عن الصيام، ومنهم من يستحل الخمر زعمًا منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوها تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء، ويزعمون أنها تحرم

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث (٢٤٩٣)، ٢/٢٠٦.

على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة، فأما أهل النفوس الزكية والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة"(١).

كما قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ عنهم: "وقالوا: من بلغ الغاية القصوى في الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنى والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم"(٢).

وقال الإسفراييني عن زنادقة الرافضة: "واستحلوا الخمر والميتة والزنى واللواط وسائر المحرمات، وأسقطوا وجوب العبادات، وتأولوا العبادات على أنها كنايات عمن تجب موالاتهم من أهل بيت علي س، وقالوا في المحرمات المذكورة في القرآن: إنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم"(٣)، على هؤلاء الزنادقة وأمثالهم ما يستحقونه من غضب الله عَزَّ وَجَلَّ وعقابه.

الحسبة على الزنادقة في مجال الأخلاق:

تعرف الأخلاق لغة بأنها: "الخُلُقُ بضم اللام وسكونها، وهو الدِّين والطبْع والسجية"(٤).

أما في الاصطلاح فهي: "هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فِكْر ورَوِيَّة"(٥).

"والأخلاق الإسلامية التزام بما ورد في القرآن والسنة من إلزامات وتوجيهات إلهية تقتضي رفعة الإنسان والسمو به إلى آفاق علوية، وتحقيق إنسانية الإنسان بما هو على فطرته"(٦)، ومن مقاصد بعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ إتمام مكارم الأخلاق؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول

(١) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٤٠٣/١١.

(٢) الفصل في الملل والنحل، مرجع سابق، ١٧٠/٤.

(٣) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٤٦.

(٤) لسان العرب، مرجع سابق، ٨٦/١٠.

(٥) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، د.ط (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت)، ص٨٩.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ث، إعداد مجموعة من المختصين، ط١ (جدة: دار الوسيلة للنشر والتويع، ١٤١٨هـ)، ٦٥/١.

الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "الدين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين"(٢).

والأخلاق لها صلة وثيقة بعقيدة الأمة ومبادئها؛ فهي عنوان التمسك بالعقيدة، ودليل الالتزام بالمبادئ والمثل، والحكم على مقدار الفضل وحسن السيرة راجع إلى الخُلُق العالي(٣)؛ فإن لزوم الخلق الحسن هو لزوم بما جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية من الأخلاق الحسنة تصريحًا أو ضمنًا، ومن استقام خلقه مع الله جل جلاله ورسوله محمد ﷺ استقام خلقه مع الناس أجمعين، مثال ذلك خلق الحياء الذي قال عنه الرسول ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»(٤).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي حتى كأنه يقول قد أضر بك، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه؛ فإن الحياء من الإيمان**»(٥).

إن خلق الحياء من الله عز وجل يمنع صاحبه من الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، يستحي أن يلقى الله على رؤوس الأشهاد بإثم الجرأة على القول في الدين بلا دليل وإفساد عقيدة المسلمين وتشكيكهم في صحة الدين.

وخلق الصدق الذي جاءت فيه آيات عدة منها ما كان للأمر به كقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

وبيان حسن عاقبة المتحلين به؛ قال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ

---

(١) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ)، مسند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، رقم الحديث (٨٩٥٢)، ٥١٣/١٤، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان؛ فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث.

(٢) مدارج السالكين، مرجع سابق، ٧٣/٣.

(٣) ينظر: توجيهات وذكرى، د. صالح بن عبدالله بن حميد، ط٣ (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١٤١٩هـ)، المجموعة الأولى ص١٦١.

(٤) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم الحديث (٩)، ٢٠/١.

(٥) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم الحديث (٦١١٨)، ١١٣/٤.

جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩].

وجاء بما يشير إلى أن ترك هذا الخلق يؤدي بصاحبه إلى النفاق الذي هو من صور الزندقة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤]، فمن لم يصدق مع الله والناس في الحديث عما يعتقده ويدين به يعد منافقًا يلبس لباس الإيمان على قلب كفور، وجاء في السنة النبوية الحديث عن خلق الصدق، ومنه ما يشير إلى أن خلع لباس الصدق يلبس صاحبه لباس الكذاب الفاجر ويسلك به سبيل الفجور لينتهي به إلى النار؛ عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

وما ذكر سابقًا هو بعض أمثلة على أثر الخلق الحسن والسيئ على عقيدة ودين المرء، وعظم أثر الأخلاق على عقيدة وسلوك الإنسان جعل الاحتساب في مجال الأخلاق من مجالات الحسبة على الزنادقة؛ فالزندقة فساد خلقي، يظهر في سوء قولهم وفعلهم. وما سبق ذكره من حال الزنادقة في العقيدة والشريعة دليل على فساد خلقهم مع الله ﷻ والرسول ﷺ، وجرأتهم على فعل القبيح من الأقوال والأعمال، والسعي بالفساد في الأرض، والعدوان على الآخرين في دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. وبفساد أخلاق الفرد تفسد بنية المجتمع وينخر في لحمة وحدته، فيسهل اختراقه، ويعبث في تدينه وأمنه، وتكثر الشرور والفتن التي تتخطف الناس وتشتت قلوبهم، وتفرق شملهم، فإن الناس وإن اختلفت عقائدهم التي يعلنونها إلا أن الأخلاق الحسنة هي الحد الأدنى الذي يقبل من غير المسلم في بلاد المسلمين، وبها يتعايشون، فالجميع يألف صاحب الخلق الحسن ويقبل على مجالسته ومعاملته. ولقبح أخلاق الزنادقة التي هي مرآة فساد عقيدتهم وخبثها تصدى كثير من المحتسبين في العصر العباسي للزنادقة محتسبين على سوء أخلاقهم وفجورهم الذي كان

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وما ينهى عن الكذب، رقم الحديث (٦٠٩٤)، ٤/١٠٩.

أقبحه الكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ، وكان الحسد والكراهية هو المحرك لكثير من معاملاتهم مع المسلمين، فاستهانوا بحرماتهم واعتدوا على ممتلكاتهم.

وللقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال الأخلاق أثره على أخلاق الفرد وقوة تماسك المجتمع؛ فبهما تظهر محاسن الأخلاق وتسود، وتتقوى القيم، وتؤدى الحقوق وتحفظ الحرمات التي جاء الشرع بحفظها ورعايتها، كما أن التخلق بمحاسن الأخلاق مطلب شرعي وإنساني؛ لما في ذلك من المصالح العالية من استتباب الأمن وقيام مصالح الناس، وشعورهم بالأمان النفسي والاجتماعي، ولا صلاح للحياة إذا تنافرت النفوس واختلفت القلوب، ولا شك أن التآلف والتآخي والتواد والتحاب لا يحصل إلا حين يسود المعروف ويفشو، ويتلاشى المنكر ويقل[1]، وبفضل الله ﷻ قيض من المحتسبين من يتصدى للزنادقة في العصر العباسي بمختلف الدرجات وبحسب الصلاحيات التي مُنحت لهم.

---

(١) ينظر: بحث تأصيل الحسبة في الكتاب والسنة، د. صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، بحث قدم لندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها، عام ١٤٣١هـ، نظمتها الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٨٦/١-٨٧.

الفصل الثاني:

أصناف القائمين بالحسبة على الزنادقة في العصر العباسي

المبحث الأول: المحتسبون من خلفاء الدولة العباسية.

المبحث الثاني: المحتسبون من أمراء البلدان والجيوش في الدولة العباسية.

المبحث الثالث: المحتسبون الذين عينهم خلفاء الدولة العباسية على الحسبة.

المبحث الرابع: المحتسبون من العلماء والدعاة.

المبحث الأول:

المحتسبون من خلفاء الدولة العباسية

إن حقيقة الخلافة أن يكون من يتولاها خليفة الله في حفظ الدين بمقتضى التكليف الشرعي الذي هو مأمور بتبليغه، وحمل الناس عليه(١)، وجعل الله ﷻ من أهم واجبات من أسندت له إمامة الأمة وأنعم عليه بالتمكين في الأرض أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: ٤١].

ومن نظر في كتب التاريخ وغيرها وقف على شواهد كثيرة لمواقف احتسابية تصدى فيها الخلفاء للمنكرات في مختلف مجالاتها، وأهم تلك المجالات الاحتسابية ما تعلق بجانب حفظ الدين عقيدة وشريعة، وحيث إن من أعظم نوازل العصر العباسي استطالة الزنادقة وتعدد رؤوسهم وكثرة أتباع بعضهم، فإننا نجد كثيرًا من أعمال الحسبة على الزنادقة قامت في دار الخلافة وباشرها الخليفة بنفسه أو أمر بها، إلا أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا سواء في أعمال الحسبة على الزنادقة، فمنهم المكثر ومنهم المقل ومنهم من لم يسطر عنه المصنفون شيئًا يذكر في هذا المجال.

وقد جعلت الباحثة ضوابط لذكر الخليفة العباسي في قائمة المحتسبين على الزنادقة، هي: مباشرته بنفسه الحسبة على الزندقة، أو أمره الصريح بالحسبة عليها، أو أن يبلغه شيء من أعمال الحسبة على الزنادقة فيقرها، أو ذكر بعض المصنفين شيئًا من أعمال الحسبة على الزنادقة في عصره دون ذكر صريح لمن باشرها.

وفيما يلي بيان لأبرز المحتسبين على الزنادقة من خلفاء الدولة العباسية:

الخليفة أبو جعفر المنصور:

عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، يكنى بأبي جعفر المنصور، ولد سنة خمس وتسعين أو نحوها، وبويع له بالخلافة سنة ست وثلاثين ومائة، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة

---

(١) ينظر: المقدمة، مرجع سابق، ١/٤٠٠.

إلا أيامًا[1]، كان رحمه الله فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيًا وحكمًا، ودهاء وجبروتًا، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتَصَوُّن وصلاة وخير[2]، كان في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، ومنها تصديه لمنكرات الزنادقة بقوة يد السلطان، وكان من أبرز جهوده في هذا المجال: قتاله لفرقة الراوندية، وهي من فرق الباطنية من أهل خرسان[4]، "يقولون بأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد العباس بن عبدالمطلب"[5]، "وقالوا بالتناسخ"[6]، وفي العصر العباسي ادعوا أن أبا جعفر المنصور ربهم[7] -نبرأ إلى الله من قولهم-، وأتوا قصر الخليفة المنصور، فجعلوا يطوفون به، ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور رحمه الله إلى رؤسائهم، فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم وقالوا: علام حُبسوا! وأمر المنصور ألا يجتمعوا، فأعدوا نعشًا وحملوا السرير -وليس في النعش أحد- ثم مرُّوا في المدينة حتى صاروا على باب السجن، فرموا بالنعش، وشدوا على الناس، ودخلوا السجن، فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى الناس، وغُلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، فخرج المنصور من القصر ماشيًا، ولم يكن في القصر دابة، ولما خرج المنصور أُتي بدابة فركبها وهو يريدهم، وجاء معن بن زائدة، فانتهى إلى المنصور، فرمى بنفسه وترجل، وأخذ بلجام دابة المنصور، وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا رجعت؛ فإنك تُكفى، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر، وقال: أنا اليوم بواب، ونودي في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم، وفُتح باب المدينة، فدخل الناس، وجاء خازم بن خزيمة، فقال: يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟ قال: نعم، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط، ثم كروا على خازم فكشفوه وأصحابه، ثم كر خازم عليهم فاضطرهم إلى حائط المدينة وقال للهيثم بن شعبة: إذا كروا علينا فاسبقهم إلى الحائط، فإذا رجعوا فاقتلهم، فحملوا على خازم، فاطرد لهم،

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥١٧/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩٨/١٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٨٣/٧.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠١/١٠. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٤١/٧.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩/٨.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مرجع سابق، ٨/٣.

(٦) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٧) للاستزادة ينظر: الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ٢١٤/١-٢٢٠.

وصار الهيثم من ورائهم، فقتلوا جميعًا[1].

وفي عصره قُتل الزنديق عبدالكريم بن أبي العوجاء على يد عامله على الكوفة محمد بن سليمان، ولم يكن قتله بأمر الخليفة المنصور، وغضب على عامله أول الأمر عندما بلغه قتله لابن أبي العوجاء، وكان سبب ذلك أنه عندما وُضع ابن أبي العوجاء في الحبس بأمر محمد بن سليمان كثر شفعاؤه وألحوا على أبي جعفر فأرسل بكتاب إلى محمد بن سليمان فيه: إياك أن تحدِث في أمر ابن أبي العوجاء شيئًا، فإنك إن فعلت فعلت بك وفعلت، يتهدده، لكن محمد بن سليمان كان قد قتله قبل وصول كتاب الخليفة، فغضب في أول الأمر وتهدده بعزله لقتله ابن أبي العوجاء قبل أمر الخليفة بذلك، فترضاه عيسى بن علي -وكان هو من أشار بتوليته على الكوفة- قائلًا: يا أمير المؤمنين، إن محمدًا إنما قتل هذا الرجل على الزندقة، فإن كان قتله صوابًا فهو لك، وإن كان خطأ فهو على محمد، والله يا أمير المؤمنين لئن عزلته على أثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر، ولترجعن القالة من العامة عليك، فسكن غضبه وأقره على عمله[2].

ومن أعماله قتل الزنديق أبي الخطاب الأسدي[3] الذي خرج عليه، فأرسل إليه جيشًا لقتاله، وتمكن عيسى بن موسى من قتله في سبخة الكوفة[4].

الخليفة المهدي:

محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي عبدالله، ولد سنة سبع وعشرين ومائة، وولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ثمان وخمسين ومائة، وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة، وتوفي سنة تسع وستين ومائة، دام ملكه عشر سنين وشهرًا ونصفًا.

كان جوادًا ممداحًا معطاءً محببًا إلى الرعية، قصابًا في الزنادقة، باحثًا عنهم، وقيل: إنه أُثني

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٣٩٥/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٦٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٦٦/٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩/٨-٣٠.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٠٨/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥/ ٣٩.

(٣) سبق ذكر شيء من زندقته في المبحث الثاني من الفصل الأول، ص٦٨-٦٩.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مرجع سابق، ٧٨/١.

عليه بالشجاعة، فقال: لمَ لا أكون شجاعًا؟ وما خفت أحدًا إلا الله تعالى(١).

قال عنه الإمام ابن تيمية رحمه الله: "كان المهدي من خيار خلفاء بني العباس، وأحسنهم إيمانًا وعدلًا وجودًا، فصار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك"(٢).

قال عنه ابن الطقطقي: "كان المهدي شديدًا على أهل الإلحاد والزندقة، لا يزال يتطلع عليهم ويفتك بهم"(٣).

ومما وصفه به الأخباري محمد بن علي العبدي الخراساني قوله: وأمعن في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته؛ لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبدالله بن المقفع وغيره، ومما صنفه ابن أبي العوجاء وغيره من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس، وكان المهدي رحمه الله أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شبه الملحدين، فأوضحوا الحق للشاكين(٤).

ولعل عناية الخليفة المهدي رحمه الله بتتبع الزنادقة وتصدره لتغيير منكراتهم بقوة يد السلطان كان لأسباب منها(٥):

١/ إدراك الخليفة خطر الزنادقة وما يكيدونه للأمة الإسلامية، وبخاصة أنه رحمه الله كان واليًا على خراسان في خلافة أبيه المنصور، وهي مركز للثوار من الزنادقة وغيرهم.

٢/ ما ورد في رؤية المهدي رحمه الله لجده العباس رضي الله عنه في المنام، وأنه قلده بسيفين وأوصاه بقتل

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٤/١٠. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٧/ ٤٠٢.

(٢) نقض المنطق، الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرزاق حمزة، وسليمان بن عبدالرحمن الصنيع، د.ط (القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، د.ت)، ص١٩.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي المشهور بابن الطقطقي، تحقيق: عبدالقادر محمد مايو، ط١ (بيروت: دار القلم العربي، ١٤١٨هـ)، ص١٨١.

(٤) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، ٣٥٤/٤-٣٥٥.

(٥) ينظر: الزنادقة فرقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ٦٦٤/٢-٦٦٥.

الزنادقة من القائلين بالاثنين.

٣/ انتشار زنادقة المانوية في زمنه وكثرتهم حتى ظهر ذلك واضحًا عند بعض من لهم صلة بالخليفة نفسه.

٤/ عدم حدوث ثورات في خلافته كما حدث ذلك في خلافة والده المنصور؛ حيث سكنت الأوضاع في خلافته، ولم يحصل في زمنه إلا حركة المقنع، وقد تم القضاء عليها، وهذا ما جعله يوجه عنايته الكاملة نحو الزنادقة.

وعند النظر في بعض الكتب التي تحدثت عن الزندقة أو عن المهدي يتبين أن العديد من المصنفين ذكروا تتبع الخليفة المهدي رحمه الله للزنادقة دون تفصيل يبين من هم؟ وما أعمال الزندقة التي ضبطت عليهم؟ وكيف كان تتبعهم؟ وكثير ما يرد ذكر تتبع الخليفة المهدي لجماعة من الزنادقة دون أي بيان لأسمائهم وبيان لشواهد زندقتهم، من ذلك قول ابن كثير وابن الأثير رحمهما الله في حوادث سنة سبع وستين ومائة: تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق، فاستحضرهم وقتلهم صبرًا بين يديه(١).

وجاء عند الطبري وابن الجوزي رحمهما الله: "وفي سنة ثمان وستين ومائة قتل المهدي جماعة من الزنادقة ببغداد"(٢)، وقال ابن تيمية رحمه الله في احتساب المهدي رحمه الله على الزنادقة: حتى قتل منهم من لا يحصي عدده إلا الله عز وجل(٣).

ومن الشواهد على ذكر من احتسب عليهم الخليفة المهدي رحمه الله من الزنادقة بالاسم:

قال ابن الأثير رحمه الله فيما كان من حوادث سنة خمس وستين ومائة: ففيها أخذ المهدي داود بن روح بن حاكم وإسماعيل بن مجالد ومحمد بن أيوب المكي ومحمد بن طيفور في الزندقة، فاستتابهم وخلى سبيلهم(٤).

وقال الطبري رحمه الله: أُتي بابن لداود بن علي زنديقًا، وأُتي بيعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٩/٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٢/٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩٣/٨.

(٣) ينظر: نقض المنطق، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٨/٥.

بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب زنديقًا في مجلسين متفرقين، فقال لكل واحد منهما كلامًا واحدًا، وذلك بعد أن أقرا له بالزندقة، أما يعقوب بن الفضل فقال له: أقر بها بيني وبينك، فأما أن أُظهر ذلك عند الناس فلا أفعل، ولو قرضتني بالمقاريض، فقال له: ويلك! لو كشفت لك السموات، وكان الأمر كما تقول، كنت حقيقًا أن تغضب لمحمد ﷺ، ولولا محمد ﷺ من كنت! هل كنت إلا إنسانًا من الناس! أما والله لولا أني كنت جعلت لله عليّ عهدًا إذا ولاني هذا الأمر ألا أقتل هاشميًا لما ناظرتك ولقتلتك، ثم التفت إلى موسى الهادي، فقال: يا موسى، أقسمت عليك بحقي[1] إن وليت هذا الأمر بعدي ألا تناظرهما ساعة واحدة، فمات ابن داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي، أما يعقوب فبقي حتى مات المهدي، فأمر الهادي بقتله، وكان ليعقوب زوجة وبنت اسمها فاطمة أقرتا بالزندقة، وأقرت فاطمة أنها حامل من أبيها، فضرب على رأسهما بشيء يقال له الرعبوب، ففزعتا منه، فماتتا[2].

وورد أن المهدي رحمه الله قتل الحسين بن أبي المنصور العجلي زعيم فرقة المنصورية بعد مقتل أبيه، وكان قد ادعى مرتبة أبيه، وجبيت إليه الأموال، وتابعه على رأيه ومذهبه بشر كثير، فقتله المهدي وصلبه بعد أن أقر بذلك، وأخذ منه مالًا عظيمًا، وطلب أصحابه طلبًا شديدًا، وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم وأنهى نشاط هذه الفرقة الخبيثة[3].

ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم، ولا يداهن أحدًا من رجاله في أمر الزنادقة مهما علا قدره، ومن الشواهد على هذا أمره بقتل محمد ابن وزيره أبي عبيد الله عندما ثبتت زندقته؛ حيث أمر بالابن فأحضر، وأخرج أبوه، ثم قال له: يا محمد، اقرأ، فلم يحسن يقرأ شيئًا، فقال لأبيه: ألم تعلمني أن ابنك يحفظ القرآن؟ قال: بلى، ولكنه فارقني منذ سنين، وقد نسي، قال: فقم فتقرب إلى الله بدمه، فقام ليقتل ولده، فعثر فوقع، فقال العباس بن محمد: إن رأيت أن تعفي الشيخ فافعل، فأمر بابنه فضربت عنقه، وقال له الربيع: يا أمير المؤمنين، تقتل ابنه وتثق إليه، لا ينبغي ذلك، فاستوحش منه[4].

---

(١) هذا قسم محرم، قال ابن تيمية رحمه الله: لا يصح القسم بغير الله. الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٤٣٨/٢.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٩٥/٤-٥٩٦. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٤/٥.

(٣) ينظر: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، مرجع سابق، ٣٠٨ -٣١٠.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥٩/٥-٦٠.

وفي عهده أخذ المحتسب عمر الكلواذي يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر بزندقته فحبس ثم استطاع الهرب من الحبس ولم يقدر عليه(١).

وكان من شدة عنايته بأمر الحسبة على الزنادقة المبادرة فيها وعدم الانشغال عنها مهما عظمت المسؤوليات وكثرت المشاغل، ومن الشواهد على هذا أنه في غمرة انشغاله بغزو الروم وبعد أن عبر الفرات، أرسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فقتلهم، وقطعت كتبهم بالسكاكين في حضرته(٢).

ويلحَظ أن عمل المهدي رحمه الله في تتبع الزنادقة لم يكن مجرد ردود أفعال على بعض الزنادقة، بل كان عملًا منظمًا لمواجهة عقيدة فاسدة وسلوك منحرف وعلى أكثر من صعيد، وعن علم بحقيقة الزندقة وشر أهلها، فاستحدث ولاية مخصوصة للحسبة على الزندقة، وسمي صاحب هذه الولاية الرسمية "صاحب الزنادقة"، وكان أولهم عمر الكلواذيّ، ثم حمدويه محمد بن عيسى من أهل ميسان(٣).

وكانت حسبته على الزنادقة على أكثر من مرتبة من مراتب الحسبة؛ فهناك الاحتساب باليد على الزنادقة؛ من ذلك تتبع الزنادقة وقتلهم، وقطع كتبهم(٤)، وهناك الاحتساب باللسان الذي منه كتابته إلى الأمصار رسائل زاجرة ينهى فيها عن الكلام والخوض بالأهواء في أمور الدين التي هي بوابة الزندقة والتلبيس على الناس(٥).

وجعل تتبع الزنادقة من وصاياه لابنه الهادي الذي أوصى له بالخلافة من بعده؛ حيث أوصاه قائلًا: أي بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة -يعني أصحاب ماني-؛ فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للأخرة، ثم تخرجها إلى

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٠/٤. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٩/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٨٧/٨.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٣/٥. العبر في خبر من غبر، مرجع سابق، ١٨٤/١.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٢/٤.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٣/٥. العبر في خبر من غبر، مرجع سابق، ١٨٤/١.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٧/ ٤٠٢.

تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجًا وتحوبًا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس رضي الله عنه في المنام قلدني بسيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين(١).

تدل هذه الوصية دلالة واضحة على سعة معرفة المهدي رحمه الله بحقيقة الزندقة وخطرها، وإدراكه ضرورة الحسبة عليهم قيامًا بحق الله في حفظ دينه وحماية لسلطان الدولة من عبثهم وعدوانهم.

الخليفة الهادي:

موسى بن المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، كنيته أبو محمد، ولد سنة أربع وأربعين ومائة، كان ولي عهد أبيه المهدي، فلما مات أبوه تولى الخلافة، توفي سنة سبعين ومائة، وهو ابن ست وعشرين سنة، كانت خلافته سنة وشهرًا(٢)، أوصاه والده المهدي رحمه الله بتتبع الزنادقة وقتلهم، فلما تولى الخلافة ومضت من أيامه عشرة أشهر قال: أما والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينًا تطرف، وأمر أن يهيأ له ألف جذع لذلك، وقال: هذا في شهر كذا، لكن الموت سبقه فمات بعد شهرين، ولم يتحقق له ما نوى(٣)، إلا أنه قتل طائفة كثيرة منهم(٤)، أمثال: يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم الذي أقر بزندقته زمن المهدي وظهرت بنته حبلى منه، فحبسه المهدي، ثم قتله الهادي(٥).

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦١٢/٤. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨١/٥.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤/ ٦٠٩. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٤١/٧-٤٤٢.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦١٢/٤. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨١/٥.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٨/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٠/٥.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٩٥/٤-٥٩٦. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٤٣/٧. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٤/٥.

الخليفة هارون الرشيد:

هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي جعفر، ولد سنة ثمان وأربعين ومائة، وتولى الخلافة سنة سبعين ومائة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة، في عام ثلاث وتسعين ومائة(١)، استمرت خلافته ثلاثًا وعشرين سنة، كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا غزو وشجاعة ورأي، محبًّا للعلماء، معظمًا لحرمات الدين، مبغضًا للجدال والكلام(٢)، مدحه ابن تيمية رحمه الله قائلًا: "والرشيد كان كثير الغزو والحج"(٣).

كان من أبرز أعماله في الحسبة على الزناقة: أنه عرف بالحزم وشدة الغضب على من يمس شيئًا من الوحي بالتشكيك أو السخرية، ومن شواهد عظيم إجلاله وتقديسه لكتاب الله قول ابن كثير رحمه الله: "قال بعضهم: دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال القرآن مخلوق، فقتله على ذلك قربة إلى الله عز وجل"(٤).

ومن شواهد غيرته على حديث رسول الله ﷺ قول محمد بن خازم: كنت أقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون، فكلما قلت: قال رسول الله ﷺ قال: صلى الله على سيدي ومولاي، حتى ذكرت "التقى آدم وموسى"(٥) فقال عمه: يا محمد، أين التقيا؟ فغضب هارون، وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به، فحبس ووكل بي من أدخلني عليه في محبسه، فقال: يا محمد، والله ما هو إلا شيء خطر ببالي، وحلف لي ما سمعت من أحد، ولا جرى بيني

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٥/٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٧٧/١٠. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٨٦/٩-٢٩٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٨٦/٩-٢٨٧.

(٣) نقض المنطق، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٧٩/١٠.

(٥) يقصد حديث: «تحاج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة إلى الأرض، فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالاته؟ قال: نعم، قال: أتلومني على أمر كان قد كتب علي أن أفعل من قبل أن أُخلق، قال ﷺ: فحاج آدم موسى صلى الله عليهما وسلم»، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث (٨١٤٣) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وبين أحد من هذا الكلام، وما هو إلا شيء خطر على بالي، قال: فلما رجعت إلى أمير المؤمنين كلمته، قال: ليدلني على من طرح إليه هذا الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد حلف أنه إنما شيء خطر على بالي لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام، فأمر به فأطلق من الحبس، وقال لي: يا محمد، ويحك، إنما توهمت أنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام والذي خرج منه فيدلني عليهم، فأستبيحهم، وإلا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق(١).

وفي رواية عند ابن كثير أن الرشيد غضب من سؤال عمه وقال: أتعترض على الحديث؟! علي بالنطع والسيف، فأحضر ذلك، فقام الناس إليه يشفعون فيه، فقال الرشيد: هذه زندقة، ثم أمر بسجنه، وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا، فأقسم عمه بالأيمان المغلظة ما قال هذا له أحد، وقال: إنما كانت هذه الكلمة بادرة مني، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها، فأطلقه(٢).

وفي سنة مائة وثمانين خرجت فرقة المحمرة بجرجان، واتبعوا رجلًا يقال له عمرو بن محمد العمركي، فكتب علي بن موسى بن هامان أن الذي يهيج ذلك هو عمرو وأنه زنديق، فأمر الرشيد بقتله، فقتل بمرو، وأطفأ الله نارهم(٣).

وفي سنة مائة وسبع وثمانين أُتي إلى الخليفة بأنس بن أبي شيخ، وكان يتهم بالزندقة، فدار بينه وبين الرشيد كلام، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفًا، وأمر بضرب عنقه به، وجعل يتمثل ببيت قيل في قتل أنس قبل ذلك:

تلمظ السيف من شوق إلى أنس ... فالسيف يلحظ والأقدار تنتظر(٤)

---

(١) ينظر: المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ)، ٢/١٨١-١٨٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٩/٢٨٨.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/١٧٨.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤/٦٤٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/١٤٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٩/٤٧.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤/٦٢٢. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/١٥٧.

الخليفة المأمون:

عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، ويكنى أبا العباس، وقيل: أبا جعفر، ولد في شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، واستخلف سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمرت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر، حيث كانت وفاته سنة ثماني عشرة ومائتين(1).

رغم أن المأمون -عفا الله عنه- حمل على علماء السنة وتسلط عليهم، وقرب منه المعتزلة، وكان أول ولي أمر للمسلمين يعتقد في كلام الله بخلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، ويجمع مع هذا الاعتقاد الفاسد الظلم والعدوان بإلزامه العلماء وعامة الناس بما يعتقده، إلا أن سيرته لم تخلُ من بعض أعمال الحسبة على الزنادقة وإن كانت قليلة جدًّا منها: أنه بلغه خبر عشرة من الزنادقة من أهل البصرة ممن يذهب إلى قول ماني(2)، فأمر بحملهم إليه بعد أن سمّوا واحدًا واحدًا، فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا عليه جعل يدعو بأسمائهم رجلًا رجلًا، فيسأله عن مذهبه، فيخبره بالإسلام، فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من ماني، ويظهر له صورته، ويأمره أن يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون، فيمرَّهم على السيف(3).

الخليفة المتوكل:

جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى أبا الفضل، ولد سنة خمس ومائتين، وقيل سبع ومائتين، تولى الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين، وعمره أربعون سنة، دامت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام(4).

---

(1) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق،١٠/١٨١، ١٨٩.

(2) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم. ينظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ٢/ ٢٦٩.

(3) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، ٤/١٠-١١.

(4) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٧/١٧٥، ١٨١.

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: أنه لما أفضت الخلافة إليه كتب إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسائل علم الكلام، والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق(١) مأواه إلى أن يموت، وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير، وارتفعت السنة جدًّا في أيامه، وأكرم أئمة أهل السنة(٢)، واستقدم المحدثين من سامراء، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، وأقبل كثير من الناس على مجالس العلماء، حتى قيل إن مجلس أبي بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة يجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس، ومجلس أخيه عثمان في جامع المنصور يجتمع إليه فيه نحو من ثلاثين ألف نفس أيضًا، وتوافر دعاء الخلق للمتوكل(٣).

إن عناية الخليفة المتوكل رحمه الله بالسنة ومحاربة البدعة من أهم أعماله في الحسبة على الزندقة وتخفيف منابعها الفاسدة، كما قام بالحسبة على بعض الزنادقة، من ذلك: أنه "أمر بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم بعد أن شهد عليه سبعة عشر رجلًا عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فرفع أمره إلى الخليفة فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلى عليه؛ ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة"(٤)، "وكان جلده بحضرة القاضي وأصحاب الشرط قيام، فقال: أيها القاضي، قتلتني، فقال له القاضي: قتلك الحق لقذفك زوجة رسول الله ﷺ، وشتمك الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم"(٥).

الخليفة المعتمد على الله:

أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى أبا العباس، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين، وبويع سنة ست

---

(١) المطبق: السجن تحت الأرض. ينظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٥٥١/٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٦٥/١٠.

(٣) ينظر: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٤) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٧٢/١٠.

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٨٣/١١.

وخمسين ومائتين، ومات سنة تسع وسبعين ومائتين، فكانت خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وستة أيام(١).

في أيامه عظمت فتنة الزنج(٢) التي كان أول ظهورها في عهد المهتدي بن الواثق، واشتد خطرها في عهد الخليفة المعتمد على الله حتى استطاعوا دخول البصرة وأعمالها، وأخربوها، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات، وأمير عسكره في أكثرها أخوه الموفق، واستمر القتال مع الزنج من حين تولي المعتمد إلى سنة سبعين ومائتين، استطاع الموفق بفضل الله ثم بحسن تخطيطه وشجاعته أن يحرر المدن الرئيسة التي سيطر عليها الزنج كالمنصورة، وفي نهاية المطاف كانت المعركة الفاصلة والقاضية التي حاصر فيها الموفق مدينة "المختارة" وهي آخر معاقل صاحب الزنج وأتباعه التي تحصن بها صاحب الزنج لمدة سنتين حتى فتحها الله على يدي الموفق، وسقطت دولة صاحب الزنج بعد ثماني عشرة سنة من قيامها، إلا أن صاحب الزنج تمكن من الفرار، فأرسل على أثره جيوشًا تبعته إلى أن أمكن الله منه، فقتل وحمل رأسه إلى الموفق الذي خر ساجدًا شكرًا لله معز دينه وناصر جنده، وعملت قباب الزينة ببغداد، وضج الناس بالدعاء للموفق، ومدحه الشعراء، وكان يومًا مشهودًا(٣).

الخليفة المعتضد بالله:

أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى أبا العباس، كان مولده سنة ثلاث وأربعين ومائتين، تولى الخلافة سنة تسع وسبعين ومائتين وعمره سبع وثلاثون سنة، توفي سنة تسع وثمانين ومائتين، فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: "المعتضد والمهدي والقادر وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا أحمد سيرة،

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٤/٢٨٠-٢٨١.

(٢) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول، ص٦٦-٦٧.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٥٨٢-٥٨٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٣٧-٣٨. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٥/١٧٠-١٧٣.

وأحسن طريقة من غيرهم، وكان الإسلام في زمنهم أعز، وكانت السنة بحسب ذلك"[1].

كان من أوائل أوامره عندما اعتلى منصب ولاية العهد سنة تسع وسبعين ومئتين أنه استحلف الوراقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل[2]، وأحرق بعض كتب الزندقة، منها كتاب جمع صاحبه فيه زلات العلماء، فعرض الخليفة المعتضد الكتاب على القاضي إسماعيل بن إسحاق فنظر فيه ثم قال: مصنف هذا زنديق، فقال المعتضد: أمختلق؟ قال: لا ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بالكتاب فأحرق[3].

ومن أعماله في الحسبة على الزنادقة قتله أحمد الطيب عندما دعاه إلى الإلحاد والكفر في خلوته به، فلما بلغ الناس ذلك أنكروه على الخليفة المعتضد لما كان يظهره الطيب من الإيمان بالله، وحدثه في هذا الشأن أحد خواصه بينما هو عند المعتضد قال له: إني أعرف أن في نفسك كلامًا فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وأنا آمن؟ قال: نعم، فقال: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء، فقال المعتضد: والله ما سفكت دمًا حرامًا منذ وُليت الخلافة إلا بحقه، فقال: فعلام قتلت أحمد بن الطيب، وقد كان خادمك، ولم يظهر له خيانة؟ فقال المعتضد: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه، فلما دعاني إلى ذلك قلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا منتصب في منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته؟! فقتلته على الكفر والزندقة[4].

ومن أهم أعماله في الحسبة على الزنادقة: مواجهته للقرامطة طيلة سنوات حكمه، والتي كان أول تحركها سنة ثمان وسبعين ومائتين، أي قبل تولي المعتضد الخلافة بسنة واحدة، قال عنهم ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين: وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر

---

(١) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٢٢/٤.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٠٤/٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥٥/٦. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٤.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧٣/١١. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧٣/١١.

ما يفسدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛ لأنهم أقل الناس عقولًا، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق، ويقال لهم القرامطة، قيل نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، ثم عد لهم الكثير من الأسماء، ثم ذكر تدرجاتهم في الدعوة إلى فرقتهم، وختمها بقوله: ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة مما ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينزه نفسه عنه إذا تصوره، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات، وربما أفاد إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء:

وكنتُ امرأً من جندِ إبليسَ برهةً ... من الدهر حتى صار إبليسُ من جندي[1]

ومن المواجهات العسكرية بين جيش الخلافة والقرامطة ما كان سنة ست وثمانين ومائتين عندما ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره، فقتل من حوله من القرى، ثم سار إلى القطيف فقتل من بها، وأظهر أنه يريد البصرة، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي وكان متولي البصرة إلى المعتضد بذلك، فأمره بعمل سور على البصرة، وفي سنة سبع وثمانين ومائتين سار جيش بقيادة العباس بن عمرو الغنوي إلى البصرة بعد اقتراب القرامطة منها، فالتقى الجيش بأبي سعيد الجنابي وأتباعه وحدث بينهما قتال شديد انتهى بانهزام جيش العباس وأسر العباس، وقام الجنابي بقتل جميع الأسرى وحرقهم، ثم أطلق العباس أوامره بالذهاب إلى الخليفة المعتضد وأن يخبره بما رأى.

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين سار جيش الخليفة بقيادة سبك الديلي غلام المعتضد من ناحية الرصافة فقتله القرامطة، وأحرقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هرون بن خمارويه فأكثروا القتل بها والإغارة فقاتلهم طغج فهزموه غير مرة، وانتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه المعتضد إليهم شبلًا غلام أحمد بن محمد الطائي، وظفر بهم، وأخذ رئيسًا لهم يعرف بابن أبي الفوارس فسيره إلى المعتضد، فأحضره بين يديه وقال له: أخبرني هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل في أجسادكم، فتعصمكم من الزلل، وتوفقكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا، إن حلت روح الله فينا فما يضرك؟ وإن حلت روح إبليس فما ينفعك؟ فلا

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٥٢-٥٣.

تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك، فقال: ما تقول فيما يخصني؟ قال: أقول إن رسول الله ﷺ مات وأبوكم العباس حي، فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس، ولم يوص إليه، ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس، ولم يوص إليه، ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة؟ وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها، فأمر به المعتضد فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه، وصلب بالجانب الشرقي، ثم حملت جثته بعد أيام إلى الياسرية فصُلب مع من صُلب هنالك من القرامطة(١).

الخليفة المكتفي بالله:

علي بن أحمد بن الموفق بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي محمد، ولد سنة أربع وستين ومائتين، بويع له بالخلافة سنة تسع وثمانين ومائتين بعد موت أبيه بعهد منه، كانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يومًا، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرين يومًا(٢).

كان من أبرز أعماله في الحسبة على الزنادقة: تسييره الجيوش لحرب القرامطة؛ ففي سنة تسعين ومائتين سير طغج بن جف جيشًا من دمشق بقيادة غلام له اسمه بشير إلى القرمطي، فهزمهم القرمطي وقتل بشيرًا، وحصر دمشق وضيق على أهلها، وقتل أصحاب طغج، ولم يبق منهم إلا القليل، وأشرف أهلها على الهلكة، فاجتمع جماعة من أهل بغداد، وأنهوا ذلك إلى الخليفة فوعدهم النجدة، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد، فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة فقتل على باب دمشق رماه بعض المغارب بالنار فاحترق، وقُتل منهم خلق كثير، وكان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلى جهة فيها محاربوه انهزموا، ولما قتل يحيى المعروف بالشيخ، وقتل أصحابه، اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين وسمى نفسه أحمد، وكناه أبا العباس، ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم، فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٣٨. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/٩٢-١٠٠.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٣/٢١٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/٤٧٩، ٤٨٤.

وزعم أنها آيته، فسار إلى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم، ثم سار إلى أطراف حمص فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى المهدي أمير المؤمنين ولقبه ابن عمه عبدالله بن أحمد بالمدثر وعهد إليه، وزعم أنه المدثر في القرآن، وكتب أهل الشام ومصر إلى المكتفي يشكون ما يلقون من القرمطي من القتل والسبي وتخريب البلاد، فأمر الجند بالتأهب، وخرج من بغداد في رمضان سنة تسعين ومائتين، وسار إلى الشام، وقدم بين يديه أبا الأغر في عشرة آلاف رجل، فنزل قريبًا من حلب، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة، فقتل منهم خلقًا كثيرًا، وسلم أبو الأغر فدخل حلب في ألف رجل، وسار القرمطي إلى باب حلب فحاربه أبو الأغر بمن بقي معه وأهل البلد فرجع عنهم، وسار المكتفي حتى نزل الرقة وسير الجيوش إليه، وجعل أمرهم إلى محمد بن سليمان الكاتب، وتحارب القرمطي صاحب الشامة وبدر مولى ابن طولون فانهزم القرمطي، وقتل من أصحابه خلق كثير، ومضى من سلم منهم نحو البادية، فوجه المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان وغيره من القواد، وكبس ابن بان أمير البحرين حصنًا للقرامطة فظفر بمن فيه، وواقع قرابة أبي سعيد الجنابي فهزمه ابن بانو، وكان مقام هذا القرمطي بالقطيف وهو ولي عهد أبي سعيد، وقد وُجد بعد ما انهزم أصحابه قتيلًا، فأُخذ رأسه وسار ابن بانو إلى القطيف فافتتحها(١).

وكان من أعماله الحسبة على الزنديق زكرويه القرمطي الذي ترصد للحجاج وقتل منهم خلقًا كثيرًا في سنة أربع وتسعين ومائتين، وكان يطم الآبار والبرك بالجيف، وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن كلمهن قتلنه، وقيل إن عدة القتلى بلغت عشرين ألفًا، وأخذ ما معهم من مال ودواب، فلما بلغ الخليفة المكتفي الخبر عظم عليه الأمر وجهز الجيوش، ولقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، ووصل عسكر الخليفة إلى عدو الله زكرويه، فضربه بعض الجند وهو مول بالسيف على رأسه، وأخذه أسيرًا وخليفته وجماعة من خواصه وأقاربه، ومات بعدها بخمس، فسيرت جيفته والأسرى إلى بغداد(٢).

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/١٠٧-١٠٨.

(٢) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، ٦/١١٦.

الخليفة المقتدر بالله:

جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، كنيته أبو الفضل، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره ثلاث عشرة سنة، ما ولي أحد قبله أصغر منه، وقتل سنة عشرين وثلاثمائة، فكانت خلافته منذ يوم بويع له بالخلافة إلى يوم قتل أربعة وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وخمسة عشر يومًا، وقد خلع في خلافته مرتين وأعيد، وفي المرة الثالثة قتل سنة عشرين وثلاثمائة وعمره ثمان وثلاثون سنة(١).

كان للخليفة المقتدر رَحِمَهُ اللَّهُ أعمال عظيمة النفع في الحسبة على الزندقة في عصره كان من أبرزها: استفتاؤه الفقهاء في أمر الحلاج الذي استطال شره وفتن الناس في دينهم، فأفتى الفقهاء بإباحة دمه، فقدم إلى حامد بن العباس بضربه ألف سوط، وبقطع يديه ورجليه وصلبه عند جسر بغداد(٢)، وكان قتله سنة تسع وثلاثمائة، ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع(٣).

وكتب ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة إحدى عشرة وثلاثمائة: وفي نصف رمضان أحرق على باب العامة صورة ماني، وأربعة أعدال من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب وفضة مما كان على المصاحف له قدر(٤).

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة اثني عشرة وثلاثمائة أن رجلًا ظهر في الكوفة مدعيًا أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو رئيس الإسماعيلية، وجمع جمعًا عظيمًا من الأعراب وأهل السواد، واستفحل أمره في شوال فسير إليه جيش من بغداد فقاتلوه، فظفروا به وانهزم، وقُتل كثير من أصحابه(٥).

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٢٦/٨. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٣/١٥.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٢/١١.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٢٠/١٣.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١٨١/٦.

الخليفة الراضي بالله:

اسمه محمد وقيل: أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي إسحاق، ولد سنة سبع وتسعين ومئتين، استُخلف سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وله اثنتان وثلاثون سنة سوى أشهر(١).

كان من جهوده في الحسبة على الزنادقة قبضه على الشلمغاني الذي جاء بالطوام وادعى الألوهية، واستغوى بعض كبار رجال الخليفة، وكان أول ظهوره في خلافة المقتدر بالله فلما طُلب استتر ثم ظهر مرة أخرى في خلافة الراضي، فقبض عليه الوزير ابن مقلة، وأحضر مع بعض أتباعه إلى الخليفة الراضي أكثر من مرة بحضور الفقهاء والقضاة والكتاب والقواد، وأُدعي عليه بما ذُكر عنه من الزندقة فأنكر ثم أقر بأشياء منها، وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فضرب ثمانين سوطًا ثم ضربت عنقه(٢).

الخليفة القادر بالله:

أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنى بأبي العباس(٣).

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتقلد الأمر، وبويع له بالخلافة بعد أن قبض على الطائع لله يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

وكان من الستر والديانة وإدامة التهجد بالليل، وكثرة البر والصدقات على صفة اشتهرت عنه وعرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، توفي رحمه الله ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، عن عمر بلغ ستًّا وثمانين سنة

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/٢٤١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٣/٣٤٢. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/١٥١.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٥/٦١.

وعشرة أشهر وواحد وعشرين يومًا، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، ولم يبلغ هذا القدر في الخلافة أحد غيره(١).

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: تصنيفه كتابًا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان يقرأ كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس سماعه(٢).

في سنة أربعمائة انبث دعاة الحاكم في الأطراف فأمر الخليفة القادر بالله بعمل محضر يتضمن القدح في نسب العُبيدية، وفضح حقيقة نسبهم وأنهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، وجاء فيه أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار، وأن جدهم لما صار إلى المغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وهو وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أدعياء، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن ذلك باطل وزور، وأنتم تعلمون أن أحدًا من الطَّالبين لم يتوقف عن إطلاق القول بأنهم أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في المحضر جمع من العلماء والقضاة منهم: الشريف الرضي، والشريف المرتضى، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني، والشيخ أبو حامد الإسفراييني(٣)، "وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب الخليفة القادر بالله رحمه الله فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود أمر أمير المؤمنين، واستن بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة، وصلبهم وحبسهم ونفاهم، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل

(١) ينظر: المرجع السابق، ٥/٦١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٥/٦١. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/١٢٨.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/١٣٢.

طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام"(١).

وكان يعقد مجلسًا في دار الخلافة ثلاث مرات في شعبان ورمضان وذي القعدة من العام ذاته، ويدعو إلى هذه المجالس الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد، ويقرأ عليهم كتبًا تتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة، وذكر فضائل أبي بكر وعمر ب، والطعن في عقائد المعتزلة، ويخرج من هذا إلى الوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعن على من يقول بخلق القرآن، وأعيد فيه ما جرى بين بشر المريسي وعبدالعزيز الكناني في ذلك، وفي كل مرة تؤخذ خطوطهم في آخره بحضورهم، وسماع ما سمعوه(٢).

كما كان له موقف قوي من زندقة الرافضة؛ فعندما قام أحد الخطباء من الرافضة في يوم الجمعة بإلقاء خطبة غلا فيها بوصف الإمام علي ﷺ حيث وصفه بأنه "مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشري الإلهي، مكلم فتية أصحاب الكهف"(٣)، فقبض الخليفة القادر بالله على الخطيب وحبسه في دار الخلافة، وأرسل إلى المسجد خطيبًا سنيًّا، فخطب فيهم خطبة ختمها بقوله: اللهم اغفر للمسلمين، ومن زعم أن عليًّا مولاه، فرماه عامة الشيعة بالآجر(٤)، ودموا وجهه، فغاظ ذلك الخليفة القادر وأمر باستدعاء الشريفين أبي القاسم المرتضى وأبي الحسن الزينبي، والقاضي أبي صالح، وأمر بمكاتبة الحضرة الملكية والوزير أبي علي ابن ماكولا والأصبهلارية، بكتاب شديد اللهجة يتوعد فيها زنادقة الرافضة، وكان مما كتبه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، إذا بلغ الأمر -أطال الله بقاء صاحب الجيش- إلى الجرأة على الدين وسياسة الدولة والمملكة -ثبتها الله من الرعاع والأوباش-، فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية، وبغير شك أنه قد بلغه ما جرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة، ومن قد تبرأ الله منه، فصار أشبه شيء بمسجد الضرار، وذلك أن خطيبًا كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب ﷺ ما لو كان حيًّا فسمعه لقتل قائله، وقد فعل مثل ذلك في الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعون لله، ما تكاد

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٥/١٢٥-١٢٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٥/١٩٨.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٥/١٩٩. البداية والنهاية، مرجع سابق، سنة ٤٢٠.

(٤) طبيخ الطين، وهو الذي يبنى به. ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ٤/١١.

الســـموات يتفطرن منه، فإنه كان في بعض ما يورده هذا الخطيب قبحه الله بعد الصـــلاة على النبي ﷺ، فيقول: وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشـري الإلهي مكلم فتية أصـحاب الكهف، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع الذي تقشـعر منه الجلود، ويتحرك منه المسـلمون، وتنخلع قلوبهم، ويرون الجهاد فيه كجهاد الثغر، فلما ظهر ذلك قبض على الخطيب وأنفذ ابن تمام ليعتمد إقامة الخطبة القويمة، ولم يخرج عن قوله: اللَّهمّ صــــلِّ على محمد وعلى آله الطاهرين وأصـــحابه المنتجبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وذكر العباس وعليا عليهما السلام، ثم قال في التفاته المعهود عن يمينه: اللهم صـلِّ على محمد وعلى آل محمد إمام أئمة الهدى، وعن يسـاره: اللهم صـلِّ على محمد الشـفيع المشـفع في الورى وأقام الدعوتين الجليلتين، ونزل فوافاه الآجر كالمطر فخلع كتفه وكسر أنفه وأدمى وجهه، ولولا أربعة من الأتراك أيدهم الله فنفروا واجتهدوا في أن حموه لكان قد هلك، وهذه هجمة على دين الله وفتك في شريعة سيدنا رسـول الله ﷺ وخلاعة في ذكر الربوبية، والحاجة صـادقة، والضرورة ماسـة إلى أن يقصـــــد الامتعاض البالغ في هذه الحال العظيمة التي ارتكبها الكفرة الفجرة، وأقدموا على ما أقدموا عليه، وبقي التضـافر على اقتناصـهم وأخذ البريء بالسـقيم، وكسـر الأيدي والأرجل التي تجب إبانتها عن أجسادها والشد على أيدي أصحاب المعونة فيما يقصدونه من ذلك، والعمل على ركوب الجم الغفير وجمهور كبراء العســـكر –أدام الله عزهم– في يوم الجمعة الآتية ليكون الخطيب أيده الله في صـحبتهم، ويجري الأمر في الخطبة الإسـلامية على تقويمها، ورغم من رغم، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية تظهر وتعم؛ فإن هؤلاء الشـيع قد درسـوا الإسـلام وقد بقيت منه بقية، وإن لم يدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام وإلا هدم وذهبت هذه البقية"(١).

وانتهى هذا الموقف بتوجه فريق من زعماء الشيعة على رأسهم الشريف المرتضى إلى دار الخلافة، فاعتذروا للخليفة، وأحالوا ما جرى للخطيب السني على سفهاء الأحداث، وطلبوا إقامة خطيب لهم عملت له نسخة يعتمدها فيما يخطب، ويتجنب ما يحفظ الشيعة(٢).

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٥/١٩٨-١٩٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٥/٢٠١.

الخليفة القائم بأمر الله:

عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى أبا جعفر، ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وبويع بالخلافة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة(١)، ومات سنة سبع وستين وأربعمائة، عن ست وثمانين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يومًا، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر، وكان أطول الخلفاء مكثًا؛ حيث مكث خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وكان محبًّا للسنة وأهلها، مبغضًا للبدعة وأهلها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد(٢).

كان من أبرز أعماله في الحسبة على الزنادقة: ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل، وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم، مرتين، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض؛ لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه(٣).

واستمر في جهاد القرامطة بالأحساء؛ حيث بعث جيشًا من سبعمائة فارس بقيادة أحد السلاجقة سنة ٤٦٧هـ، فحاصر القرامطة حتى طلبوا الصلح ودفعوا أموالًا كثيرة للخليفة(٤).

الخليفة المستظهر بالله:

أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي العباس.

بويع له بالخلافة وهو ابن ست عشرة سنة وشهرين، كان خيرًا فاضلًا ذكيًّا بارعًا، وكان

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٩/٤٠٦-٤٠٧.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢/٢٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٢/٦٢.

(٤) ينظر: مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي، د.ط (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م)، ص٨٩٤.

راغبًا في البر والخير، مسارعًا إلى ذلك، محبًّا للعلم، حافظًا للقرآن، منكرًا للظلم، لا يصغي إلى أقوال الوشاة من الناس، ولا يثق بالمباشرين، وقد ضبط أمور الخلافة جيدًا، وأحكمها وعلمها حتى كانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد(١).

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: أمر بقتل أحمد خان صاحب سمرقند؛ فقد كان جبارًا مارقًا، اتهم بالزندقة، وسبب قتله أن السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسره وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم، وأخرجوه إلى الإباحة، فلما عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين، ومكر به العسكر فقبضوا عليه، وعقد له مجلس فيه الأمراء والقضاة والفقهاء لمواجهته بتهمة الزندقة فجحد، فأقاموا عليه الشهود بعظائم فأفتى الفقهاء بقتله، فخنق حتى مات(٢).

"وقتل رجل باطني عند باب النوبي، كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل رحمه الله أنه دعاهما إلى مذهبه، فجعل يقول: أتقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ فقال ابن عقيل رحمه الله: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر: ٨٤-٨٥]"(٣).

وظهر رجل بسواد نهاوند ادعى النبوة، وتبعه خلق وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها، وكان يهب جميع ما معه لمن يقصده، وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، وكان يدعي معرفة النجوم والسحر وقتل بنهاوند(٤).

وفي عصره نزل الوزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك إلى السميرية(٥) فضربه باطني في

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٢/١٧. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٦٢/١٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٩٦/١٩.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١٧٥/٨. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٢/١٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٢٨/١٩.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٧/١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٩/١٧.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٤٧/١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٩٥/١٧.

(٥) ضرب من السفن. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٤٤٨/١.

عنقه بسكين، فبقي مريضًا مدة وسَلِم، وقبض على الباطني وأقر على جماعة من الباطنية بمسجد من محلة المأمونية فقتلوا، وقتل معهم(١).

أمر بتأليف كتب تفضح حقيقة الباطنية وتبصر الناس بما فيها من كفر وضلال؛ من ذلك أمره للغزالي بتصنيف كتاب في الرد على الباطنية فاستجاب لأمره وصنف كتابه "فضائح الباطنية" الذي ذكر في مقدمته أن سبب تأليفه هو أمر الخليفة المستظهر له بتصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف عن بدعتهم وضلالتهم، وفنون مكرهم واحتيالهم، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم، وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم وخداعهم وانسلالهم عن ربقة الإسلام، وانسلاخهم وانخلاعهم وإبراز فضائحهم وقبائحهم بما يفضي إلى هتك أستارهم وكشف أغوارهم(٢).

ولم يكن الخليفة متعجلًا في القضاء على من يتهم بالزندقة دون بينه، بل كان يجتهد في معرفة الحق واستبانة حالة المتهم ما استطاع، ومن شواهد هذا موقفه من اتهام اِلكَيَّا الهرَّاسِ المدرس بالنظامية بأنه باطني، ونقل ذلك إلى السلطان محمد الذي أمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فأطلق(٣).

الخليفة المقتفي:

محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، كان حبشي الأم، يكنى بأبي عبدالله، ولد في ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وبويع بالخلافة في سادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة، كان عاقلًا لبيبًا، عاملًا مهيبًا، صارما محبًّا للحديث والعلم، مكرمًا لأهله، كان حميد السيرة، يرجع إلى تدين وحُسن سياسة، جدد معالم الخلافة وباشر مهامها بنفسه، كما باشر الحروب بنفسه، ولم

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١١٧/١٧.

(٢) ينظر: فضائح الباطنية، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، د.ط (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت)، ص٣.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠٤/٨.

تزل جيوشه منصورة[١].

وفي سنة ست وأربعين وخمسمائة سار الأمير قجق في طائفة من عسكر السلطان سنجر فأغار على بلاد الإسماعيلية، فنهب وسبى وخرب وأحرق المساكن، وفعل بهم أفاعيل عظيمة، وعاد سالمًا[٢].

الخليفة المستضيء:

الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، يكنى بأبي محمد، ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وبويع بالخلافة وقت موت أبيه سنة ست وستين وخمسمائة، كان ذا حلم وأناة ورأفة وبر وصدقات، في خلافته ضعف شأن الرفض في بغداد ومصر، وظهرت السنة[٣].

ذكر ابن الجوزي رحمه الله شواهد كثيرة على جلوس الخليفة في حلقات دروسه منها قوله: "تقدم بالجلوس تحت المنظرة الشريفة بباب بدر فتكلمت بكرة الخميس ثالث المحرم والخليفة حاضر، وكان يومًا مشهودًا"[٤]، وأطلق الخليفة المستضيء رحمه الله يد بان الجوزي رحمه الله في الحسبة على الرافضة الذين كثروا في أيامه، قال ابن الجوزي رحمه الله في حوادث سنة إحدى وسبعين وخمسمائة: "وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين أن لم تقوِّ يدي ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع، فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي، فأخبرت الناس بذلك على المنبر، وقلت: إن أمير المؤمنين قد بلغه كثرة الرفض، وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام يتنقص بالصحابة فأخبروني حتى أنقض داره

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٠/٣٩٩-٤٠٠.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٩/٣٠.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢١/٦٨.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٨/٢١٨.

وأخلده بالحبس، وإن كان من الوعاظ حدرته المشان[١]، فانكف الناس"[٢].

---

(١) المشان بالفتح بلدة قريبة من البصرة، كان إذا سُخط ببغداد على أحد ينفى إليها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ٥/١٣١.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٨/٢٢٢.

المبحث الثاني:

المحتسبون من أمراء البلدان والجيوش في الدولة العباسية

شارك الأمراء على البلدان والجيوش خلفاء الدولة العباسية في الحسبة على الزنادقة، طاعة لله ﷻ وأولي الأمر من الخلفاء، إلا أن ذكرهم كان أقل من ذكر الخلفاء؛ فبعض المصنفات تذكر أمر الخليفة أحد الأمراء بالتصدي لبعض الزنادقة أو إرسال جيش للقضاء عليهم دون ذكر اسم الأمير أو قائد الجيش ولا حتى وصفًا لبعض أحداث المعارك التي خاضوها ضد الزنادقة، فجاءت المادة العلمية في هذا القسم من المحتسبين قليلة جدًّا، ورغم قلتها إلا أنها حملت في طياتها دلالة على تنوع الجهود وتعدد المحتسبين على الزنادقة في العصر العباسي، وفيما يلي ذكر بعض من كان لهم أعمال حسبة على الزنادقة من أمراء البلدان وقادة الجيوش:

محمد بن سليمان الكاتب:

محمد بن سليمان الكاتب الحنيفي، أبو علي، قائد مظفر جبار، عراقي المولد، من أبناء الكتّاب، نسبته إلى رجل يدعى "حنيفة السمرقندي"، كان أصله من ديار مضر من الرقة[(١)]، اصطنعه أحمد بن طولون وخدمه في مصر، ثم تنكر له وعامله في جاهه وأقاربه بما أحفظه، وخشي على نفسه فلحق ببغداد، ولقي بها مبرّة وتكرمة، استخدمه الخلفاء وجعلوه كاتبًا للجيش[(٢)]، ولاه القاسم بن عبيد الله وزير الخليفة المكتفي قتال الزنديق صاحب الشامة القرامطي وأتباعه في الشام بعد أن استفحل أمرهم، وضم إليه جميع القواد، وكتب إلى من تقدمه من القواد بالانضمام إليه وأن يسمع الجميع له ويطيعوه، فزحف بعساكره نحوه، فالتقوا بموضع دون حماة، وقد كان القرمطي قد قدم أصحابه أمامه وتخلف هو في نفر ومعه المال الذي جمعه، فوقع بين محمد الكاتب وأصحاب القرمطي وقعة انهزم فيها أصحاب القرمطي أقبح هزيمة، وقُتلوا كل قِتلة وأُسر من رجالهم بشر كثير، وذلك سنة إحدى وتسعين ومائتين.

لما علم القرمطي بهزيمة أصحابه أعطى أخاه أمواله وأمره بالنفوذ إلى بعض النواحي التي يأمن على نفسه فيها إلى أن يتهيأ له ما يحب، ثم مضى مع ابن عمه وغلامين يقصدون الكوفة، فانتهى

---

(١) ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ١٤٩/٦.

(٢) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ٤٠٢/٤.

إلى الدالية من أعمال الفرات، وقد نفذ ما معهم من الزاد فوجه بعض أصحابه ليشتري لهم ما يحتاجون إليه، فأنكروا رأيه، فسألوه عن حاله فكتمه، فرفعوه إلى متولي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد فسأله عن خبره فأعلمه أن صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاثة نفر فمضى إليهم وأسرهم وقيدهم إلى بغداد، وهناك أمر المكتفي بضربهم وقطعهم وضرب أعناقهم، وشفى نفسه ونفس المسلمين منهم(١)، مات رحمه الله مقتولًا في معركة على باب الري(٢).

الأمير الموفق:

اسمه محمد وقيل: طلحة بن الخليفة جعفر المتوكل على الله، يكنى بأبي أحمد، ولقبه الناس الناصر لدين الله، ولد عام تسع وعشرين ومائتين، وعقد له أخوه الخليفة المعتمد على الله ولاية العهد بعد ابنه جعفر سنة إحدى وستين ومائتين، كان من أجل الملوك رأيًا، وأشجعهم قلبًا، وأسمحهم نفسًا، وأغزرهم عقلًا، وأجودهم رأيًا، توفي سنة ثمان وسبعين ومائتين، وله تسع وأربعون سنة(٣).

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: حربه صاحب الزنج الذي بدأت فتنته في عهد الخليفة المهتدي، واشتد خطرها في عهد الخليفة المعتمد على الله(٤)، كتب إلى صاحب الزنج يدعوه إلى التوبة من ادعاء مخاطبة الملائكة، ومن تحريفه القرآن وضلالته، فما أجاب بشيء(٥)، واستمرت المواجهات العسكرية بين الجيشين سنوات إلى أن عزم الموفق رحمه الله على حصار مدينة "المختارة" آخر معاقله، فحاصرها قريبًا من سنتين إلى أن تم له فتحها فقتل من كان بها من الرجال، وسبى النساء والأطفال، وهرب الزنديق مع بعض خاصته فتبعته السرايا والجيوش حتى قُتل في إحدى المعارك، وحمل رأسه إلى الموفق، فلما تحقق من رأسه خر ساجدًا لله تعالى وذلك

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٥١-٦٥٢. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/١٠٨. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢ (سروش: د.د، ٢٠٠٠م)، ٥/٣٨.

(٢) ينظر: الأعلام، مرجع سابق، ٦/١٤٩.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق،٢٠/٤٨٠. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٢/٢١٩.

(٤) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول، ص٦٦-٦٧.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/ ١٢٩-١٣٦.

سنة سبعين ومائتين(١)، وعملت قباب الزينة ببغداد، وضج الناس بالدعاء للموفق، ومدحه الشعراء، وكان يومًا مشهودًا(٢).

العباس بن عمرو الغنوي:

العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار، كان يتولى اليمامة والبحرين، وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم(٣)، وأمده بزهاء ألفي رجل، فسار بهم لحرب الزنديق القرمطي أبي سعيد الجنابي، ودارت بين الجيشين معارك عدة وقتال شديد، كانت نهايتها تمكن أبي سعيد من قتل كثير من جند العباس، وأسر العباس وسبعمائة من رجاله، ثم أقدم الجنابي على قتل جميع الأسرى وحرقهم، وأبقى العباس أيامًا ثم دعا به، فقال له: أتحب أن أطلقك؟ قال: نعم، قال: امض وعرِّف الذي وجه بك إلى ما رأيت، وجهز له الراحلة والزاد، وضم إليه رجالًا من أصحابه، وأمرهم أن يؤدوه إلى مأمنه، فساروا به حتى وصل إلى بعض السواحل، فصادف به مركبًا، فحمله، فصار إلى الأبله، فدخل على الخليفة وأخبره الخبر، فخلع عليه المعتضد، وصرفه إلى منزله، كانت وفاته سنة خمسين وثلاثمائة(٤).

السلطان بركيارق:

ركن الدولة السلجوقي بركيارق بن ملكشاه، جرت له خطوب طويلة، وحروب هائلة، خُطب له ببغداد ست مرات ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور(٥).

كان من أبرز أعماله في الحسبة على الزنادقة: أن في زمنه اشتد أمر الباطنية وكثر عددهم،

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٤١/٥ -٥٨٧. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/٦- ٥٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٣٧/١١.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٢/٥-٥٨٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٣٧/١١-٣٨. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ٢٦٢/٥.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٣٣/٥-٦٣٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٢١/١٢. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرجع سابق، ٤٣٧/٣.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٤٦/١٢.

وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم، وقويت شوكتهم حتى إنهم تجرؤوا على قتل جماعة من الأمراء والأكابر كنظام الملك ووزيره الأعز، وملكوا الكثير من القلاع، وتأذى الناس منهم، فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فأرسل من يحاصرهم وقتلهم(١)، وتمكن من قتل خلق من الباطنية ممن تحقق مذهبه، ومن اتهم به، بلغت عدتهم ثمانمائة ونيفًا، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة، ونودي فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله(٢).

السلطان محمود بن سُبكتكين:

القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، يكنى بأبي القاسم، سير له الخليفة القادر بالله خلعة السلطنة بعد وفاة أبيه ولقبه بيمين الدولة وأمين الملة، ثم أضيف إلى ذلك نظام الدين، ناصر الحق، سيد الأمراء، وغيرها من الألقاب، فرض على نفسه في كل عام غزو الهند، ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تتل به قط سورة ولا آية، توفي يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ملك منها ثلاثً وثلاثين سنة، وكان ظاهر أمره التدين والتسنن(٣).

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: أنه عندما استتاب الخليفة القادر بالله فقهاء المعتزلة الحنفية، ونهى عن الكلام والتدريس في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وتوعدهم بالنكال والعقوبة بما يتعظ به أمثالهم، امتثل السلطان محمود بالأمر، واستن بسننه فيما استخلفه عليها من خراسان وغيرها، فقتل الرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة، وصلبهم وحبسهم ونفاهم، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم عن ديارهم.

وفي حوادث سنة عشرين وأربعمائة تمكن من طائفة من أهل الري من الباطنية وغلاة الروافض، وقتلهم قتلًا ذريعًا وصلبهم، وقد كانوا يسترون اعتقاد الكفر ومذاهب الإباحية، وأخذت

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠٢/٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٣/١٧.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٤١/١٢. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠٠/٨، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٦٢/١٧-٦٣.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ١٧٥/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢١١/١٥-٢١٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٨٣/١٧-٤٨٤.

أموال رئيسهم الخبيث رستم الديلمي، كان عنده نحو من خمسين امرأة حرة، ولدن له ثلاثة وثلاثين ولدًا، وقد كانوا يرون إباحة ذلك، ونفى السلطان محمود بقية المبتدعة، وأحرق كتب الزندقة والفلسفة والاعتزال والنجوم(١)، وفي سنة عشرين وأربعمائة ورد كتاب من محمود بن سبكتكين للخليفة القادر بالله يذكر فيه طرفًا من حال الزنادقة وأعماله في الحسبة عليهم جاء فيه: "سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين،... تناهت إلى الحضرة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده غزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ بخراسان من الفئة الباطنية، وكانت الري مخصوصة بالتجائهم إليها، وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها، يختلطون بالمعتزلة والرافضة، ويتجاهرون بشتم الصحابة ﷺ، ويسرون الكفر ومذهب الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد بالعساكر فطلع بجرجان، وتوقف بها إلى انصراف الشتاء، ثم سار إلى دامغان، ووجه غالب الحاجب في مقدمة العسكر، فبرز رستم على حكم الاستسلام والاضطرار، فقبض عليه وعلى رؤوس الباطنية من قواده، وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم، شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فأفتوا بأنهم خارجون عن الطاعة، داخلون في أهل الفساد، يجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم إن لم يكونوا من أهل الإلحاد، فكيف واعتقادهم لا يخلو من التشيع والرفض والباطن، وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر هؤلاء القوم لا يصلون ولا يزكون، ولا يعترفون بشرائط الدين، ويجاهرون بالقذف وشتم الصحابة، والأمثل منهم معتقد مذهب الاعتزال، والباطنية منهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ... إلى أن قال: فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان الروافض، وانتصرت السنة، فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لنصر الدولة القاهرة"(٢).

الوزير السلجوقي نظام الملك:

علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، يكنى بأبي علي، ولد سنة ثمان وأربعمائة، وقيل عشر وأربعمائة بأرض طوس، تولى الوزارة سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وزر للسلطان ألب أرسلان ثم لابنه ملكشاه، فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي، كان فيه خير وتقوى، وميل للصالحين،

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٩٥/١٥-١٩٦. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٣٥/٧. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٤/١٢.

(٢) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، مرجع سابق، ٢٦٧/٢٨.

رفيقًا بالرعايا، عامر المجلس بالقُراء والفقهاء، قال عنه ابن عقيل رحمه الله: بهر العقول سيرة النظام جودًا وكرمًا وعدلًا، وإحياءً لمعالم الدين(١).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة: أنه تنبه لنشاط الدعوة الإسماعيلية في كسب أعداد كبيرة من عامة الناس، فقام محتسبًا عليهم بإقامة المعروف، فبنى عددًا من دور العلم والتعليم من أجل نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة لتحصين الناس من دعوات الإسماعيلية، فأنشأ المدارس النظامية في العديد من المدن منها: بغداد والموصل والبصرة وأصفهان ونيسابور ومرو وبلخ وهراة وغيرها من المدن(٢)، وأوقف عليها الوقوف، وابتاع الكتب فكانت سوق العلم في أيامه قائمة(٣).

وعندما رأى الزنديق الحسن بن الصباح قال من طريق الفراسة لرئيس مدينة الري: عن قريب يُضل هذا الرجل ضعفاء العوام، وصدقت فراسته فيه حيث اتصل بالمستنصر الفاطمي وكان داعية له في بلاد خرسان وما وراء النهر، وأخذ يطوف على الناس ليضلهم، ولما وصل قلعة ألموت طمع في إغواء أهلها وتبعه أكثرهم، وملك القلعة، ولما بلغ الخبر نظام الملك بعث إليه بعسكر، فحاصروه فيها حتى ضاق ذرعه بالحصر، وأرسل الزنديق من قتل نظام الملك فرجع العسكر عنه(٤).

وكان قتله رحمه الله في أثناء طريقه للحج صائمًا في رمضان، أتاه باطني يناوله قِصة فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله، ثم مات، وذلك ليلة الجمعة سنة خمس وثمانين وأربعمائة بقرب نهاوند(٥).

السلطان محمد بن ملكشاه:

محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان التركي السلجوقي، خطب له بالسلطنة في جامع بغداد

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٤/١٤٤-١٤٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٤/١٤٥.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٦/٣٠٦.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/١٩٩-٢٠٠.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٤/١٤٤-١٤٥.

في عصر الخليفة المستظهر بالله، له بِر بالفقراء والأيتام، وآثار جميلة وسيرة حسنة، توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر، منها مدة اجتماع الناس عليه اثنتا عشرة سنة وستة أشهر(١).

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: اهتم بأمر الباطنية، فقد قتلوا خلقًا كثيرًا، وجعلوا لهم على القرى والأملاك ضرائب يأخذونها ليكفوا أذاهم عنها، فقصد السلطان محمد مواجهتهم فنزل بقلعة أصبهان، فحاصرها سنة فأرسلوا إليه أن ينفذ إليهم من يناظرهم، فأنفذ فلم يرجعوا، ثم ضاق الأمر بهم فأذعنوا بالطاعة، وقتل رئيسها عبدالملك المشهور بابن عطاش، وقتل ابنه وألقت زوجته نفسها من أعلى القلعة ومعها جوهر نفيس فهلكت، وقبض على وزيره سعد الملك أبي المحاسن فصلبه على باب أصبهان لاتهامه بالخيانة، وصلب معه أربعة من أصحابه نسبوا إلى الباطنية(٢).

وكان للسلطان محمد وقائع كثيرة في حربه للباطنية، وكان من رؤوسهم في عصره الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت الذي سيطر عليها ما يقارب ستًّا وعشرين سنة، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم، وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم، فسير إليه السلطان العساكر فعادت من غير بلوغ غرض، ثم ندب لقتاله الأمير أنوكتكين شيركير صاحب آية وساوة وغيرهما، فملك منهم عدة قلاع، وأمده السلطان بعدد من الأمراء فحصرهم، وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة رأي وشجاعة، واستمر في حصار الباطنية حتى ضاق عليهم الأمر وعدمت عندهم الأقوات، فلما اشتد عليهم الأمر نزلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين، ويسألون أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا إلى ذلك وأعادهم إلى القلعة قصدًا ليموت الجميع جوعًا، وفي هذه الأثناء بلغهم موت السلطان محمد بن ملكشاه، ووصل الخبر إلى العسكر فعزموا على الرحيل إلا أن شيركير أمرهم بالمكوث فكان يرى أن رحيلهم

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ١٩/٥٠٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ٥/٧٣. السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين المقريزي أحمد بن علي العبيدي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ١/١٤٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢/١٤٨. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/٢٤٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم مرجع سابق، ١٧/١٠١-١٠٢.

سيتبعه نزول الباطنية من القلعة وأخذ ما أعده العسكر من الأقوات والذخائر، فأمرهم بالمكوث إلى حين فتحها أو على أقل تقدير الإقامة ثلاثة أيام حتى ينفد ما أعدوه ويحرقوا ما يعجزون عن حمله، وتعاهد الجند على الاجتماع والاتفاق، فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة، ولم يبق غير شيركير، ونزل إليه الباطنية فدافعهم وقاتلهم، ثم لحق بالعسكر، وغنم الباطنية ما تركوه[1].

بغراخان:

هارون بن سليمان أيلك خان، كانت له ممالك الترك إلى حد الصين[2]، كان دينًا، خيرًا، عادلًا، حسن السيرة، محبًّا للعلم وأهل الدين، مكرمًا لهم، كان يحب أن يكتب عنه: مولى رسول الله ﷺ، مرض ببخارى فخرج منها إلى بلاده بلاد الترك فمات في الطريق سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة[3].

كان من أعماله في الحسبة على الزنادقة: مواجهته للعلوية بدهاء وقوة؛ حيث إن المستنصر العلوي الفاطمي كان قد بث دعاته سرًّا إلى الآفاق يدعون إليه، ويستميلون من تصل القدرة إلى استمالته، فلما كان في سنة ست وثلاثين وأربعمائة دفع جماعةً منهم إلى ما وراء النهر، ودعوا هناك بعد أن دعوا بخراسان، فاستجاب لهم طوائف من الناس، فلما علم بهم بغراخان تلطف في الكشف عنهم بأن استمالهم وقربهم، وأطمعهم أنه يريد الدخول فيما هم فيه، فأنس به طائفة منهم، وأرادوا أن يأخذوا عليه العهود والمواثيق، فخدعهم بإطلاق المال، واستخبر به ما عندهم، وأنفق عليهم في مدة سنتين ثلاثمائة ألف درهم، حتى اطلع على عددهم، وعرف مواضعهم، وهم يطالبونه باليمين والعهد إلى أن أجابهم على شرط أن يكتبوا أيمانهم، ويطلعوه على باطنهم، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه ليتفكر به، وقد كتب كتابًا على قدر كتابهم وشكله، يقسم فيه بالأيمان المغلظة أنه متى انكشف له من أمرهم ما يدل على الإلحاد والخروج عن تشريع الإسلام ذبحهم بيده تقربًا إلى الله ﷻ، ثم استدعاهم وأعلمهم استجابته إلى ما دعوه إليه، ورد إليهم الكتاب حتى شاهدوه

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٧٨/٨.

(٢) ينظر: المختصر في أخبار البشر، إسماعيل بن علي بن محمود، د.ط (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت): ١٢٩/٢

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١٦٠/٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، ١٥/٢٧.

وعرفوه، واستعاده ليحلف به، فلما حصل في يده أخرج الكتاب الذي كتبه وحلف أنه يفي بجميع ما تضمنه ولا يعدل عنه، فوثقوا بذلك، وخفي عليهم فرق ما بين الكتابين، ثم جمعهم وقال لهم: ما أتمكن من إظهار نفسي والمبادرة بنصرتكم إلا في عدد قوي، فإن بلاد الترك تشتمل على ثلاثمائة ألف سيف مشهور تخالف هذا المذهب، فإن كنتم في عدد قويت به، فذكروا له دعاتهم ببلاد المشرق وسموهم له، وأفضوا إليه بجميع سرهم، ودفعوا إليه كتبهم إلى جميع أصحابهم بما استقر العزم عليه، ثم جمعهم وأحضر فقهاء بلده لمناظرتهم، وفيهم عبد الملك بن محمد البلخي الفقيه بن محمد شيخ البلد، ونصر بن عطاء، وجعلهما من وراء ستر، فذكر الدعاة أسرار مذهبهم على غرة منهم وغفلة بما دبر عليهم، وبغراخان يستخبرهم حتى صرحوا بعقائدهم، فأخرج حينئذ عبد الملك ونصرًا، وقبض على الدعاة وقيدهم، ونادى في الناس ليجتمعوا، وقد نصب جذعًا، وصلب عليه الدعاة واحدًا بعد واحد، ورماهم بالنشاب، فقتل منهم ستة عشر رجلًا، وذبح منهم واحدًا بين يديه، ذبحه بعض عبيده فأعتقه، وتصدق بمائة ألف درهم، وتتبع كل من في أعماله من الدعاة، فقبض على مائة وثلاثة وثلاثين رجلًا، وأوثقهم بالحديد، وألقاهم في جب مظلم، وكتب إلى جميع بلاد ما وراء النهر بقتل من عندهم من هذه الطائفة، وكتب إلى بغداد بما فعله، فقدم رسوله في هذه السنة، فأجيب بالشكر والثناء[1].

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/٣٩-٤٠. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مرجع سابق، ٢/ ١٩٢.

المبحث الثالث:

المحتسبون الذين عينهم خلفاء الدولة العباسية على الحسبة

من المؤكد أن لرجال الحسبة في العصر العباسي جهودًا في الحسبة على الزنادقة، إلا أننا عند النظر إلى كتب التراث الإسلامي نجد الحديث مستفيضًا عن الحسبة على منكرات السوق كالغش والتدليس وغيرها، أما ما تعلق بمنكرات الزنادقة فهو نادر رغم أن ما يقع فيه الزنديق من منكرات أعظم وزرًا وأشد ضررًا، ولعل ذلك -والله أعلم- يرجع لسببين:

أولًا: صلاحيات ولاية الحسبة؛ فإن الخليفة هو من يحدد صلاحيات المحتسب والتي غالبًا ما تكون في بعض أركان الإسلام كإقامة الصلاة والتزام المسلمين بصوم رمضان، وتكون دائرتها الأوسع في معاملات السوق، فإن ما سطر من مواقف الحسبة وما دوَّنه المصنفون في علم الحسبة عن وظائف المحتسب وصلاحياته انصرف في غالبه لمعاملات السوق؛ فالمحتسب مكلف بمراقبة الأسواق وضبط حالات الغش والتدليس في المعايش، ومنع احتكار السلع، ومنع الاختلاط وغير ذلك من المنكرات التي قد تظهر في الأسواق، وهي مواقف تستغرق جل وقت المحتسب وجهده، وولاية الحسبة مقصورة على المنكرات الظاهرة ولا تكون في المنكرات التي يدخلها التجاحد والتناكر؛ فلا يجوز له النظر فيها، فهي إلى القضاة والحكام(١)، وما صنف من كتب الحسبة في العصر العباسي يدل على أن المحتسب كان هو المسؤول الأول عن ضبط أمور السوق وتغيير ما قد يظهر فيه من منكرات، فمن مصنفات الحسبة في ذلك العصر كتاب "أحكام السوق" ليحيى بن عمر الأندلسي، و"الأحكام السلطانية" لعلي الماوردي، و"نهاية الرتبة في طلب الحسبة" لعبدالرحمن الشيزري، وقد جاء الحديث فيها عن منكرات السوق والحسبة على المنكرات الظاهرة كأحكام الصلاة والزكاة والصيام هو الأغلب، وليس هناك إلا إشارات قليلة جدًّا تتعلق بالحسبة على العقائد الباطلة.

ثانيًا: طبيعة الزندقة؛ فهي إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ولا يصح أن يوصف أحدهم بالزندقة إلا بعد قيام البينة وشهادة الشهود، والحسبة على الزنديق تحتاج إلى علم راسخ بالكتاب والسنة،

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مرجع سابق، ص٣٩٣.

وبخاصة ما يتعلق بأمر العقائد، وهو ما يفتقده بعض المحتسبين، مما جعل الحسبة على الزنادقة قليلة من المحتسبين الرسميين، وهي للعلماء الراسخين باللسان أوسع، وباليد من الخليفة أو من ينوبه أوقع وأنجع في القضاء على الزندقة، كتب الماوردي عن أعمال المحتسب: "لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولًا خرق به الإجماع، وخالف فيه النص، وردّ قوله علماء عصره، أنكره عليه وزجره عنه، فإن أقلع وتاب وإلا فالسلطان بتهذيب الدين أحق، وإذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله تعالى بتأويل عدَل فيه عن ظاهر التنزيل إلى باطن بدعة تتكلف له غمض معانيه أو تفرد بعض الرواة بأحاديث مناكير تنفر منها النفوس أو يفسد بها التأول، كان على المحتسب إنكار ذلك والمنع منه، وهذا يصح منه إنكاره إذا تميز عنده الصحيح من الفاسد والحق من الباطل، وذلك من أحد وجهين:

أ- إما أن يكون بقوته في العلم واجتهاده فيه حتى لا يخفى ذلك عليه.

ب- وإما بأن يتفق علماء الوقت على إنكاره وابتداعه، فيستعدونه فيه، فيعول في الإنكار على أقاويلهم، وفي المنع منه على اتفاقهم"(١).

ولا يعني هذا أن أعمال المحتسب في الأمر بالمعروف وإقامة شعائر الإسلام وإظهارها ليس لها أثر على الزندقة، بل هي من عوامل تثبيت العقيدة الإسلامية في قلوب العباد، وهذا يساعد على تضييق دائرة الزندقة، ونفور الناس منها ومن دعاتها، والشواهد على هذا ما سطره الشيزري حيث قال: "ويتقدم المحتسب إلى جيران كل مسجد بالمواظبة على صلاة الجماعة عند الأذان؛ لإظهار معالم الدين وإشهار شعار الإسلام، سيما في هذا الزمان لكثرة البدع واختلاف الأهواء، وتنوع الباطنية، وما قد صرحوا به من تعطيل الشريعة، وإبطال أحكام الإسلام، فيجب على كل مسلم إظهار أركان الإسلام، وإشهار الشريعة في مقابلة ذلك؛ لتقوى عقائد العامة"(٢).

وعند الحديث عن الحسبة على الزنادقة خصوصًا فإن كتب التاريخ تذكر أن أول تكليف بها في العصر العباسي كان بأمر الخليفة المهدي رحمه الله وأطلق على المحتسب اسم "صاحب الزنادقة"، لكن لم يكن هناك بيان لعدد المكلفين بهذه المهمة ومتى انتهى هذا التكليف الخاص.

---

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مرجع سابق، ص٤٠١-٤٠٢.

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، مرجع سابق، ص١١١.

وبحســـب ما بذلته من جهد وجدت فيما اطلعت عليه من كتب التراث الإســـلامي عددًا كبيرًا من المحتسـبين المكلفين في العصـر العباسـي، إلا أني لم أجد إلا أسماء أربعة محتسـبين على الزنادقة مكلفين بالحسبة، وهم على النحو التالي:

عمر الكلواذيّ:

"الكلواذي نسبة إلى كلواذى قرية ببغداد"(١)، كان أول من تولى الحسبة على زنادقة العراق، وهو تكليف استحدثه الخليفة المهدي(٢)، وأطلق على المحتسب اسم "صاحب الزنادقة"، كانت وفاته سنة مائة وثمان وستين(٣).

ولم أجد ضمن نطاق بحثي في المراجع من سطر شيئًا من أعماله في الحسبة سوى أنه أخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر بزندقته، فحبس ثم استطاع الهرب من الحبس(٤).

محمد بن عيسى بن حمدويه:

ولي الحسبة على زنادقة العراق في عصر المهدي بعد وفاة عمر الكلواذي سنة مائة وثمان وستين، فقتل من الزنادقة خلقًا كثيرًا(٥).

عبدالجبار المحتسب:

كان محتسبًا في حلب(٦)، لم أجد ذكرًا لأعماله في الحسبة على الزنادقة، إلا أنه عندما كان المهدي في حلب وجاءته البشرى بقتل المقنع بعث عبدالجبار المحتسب إلى جماعة من الزنادقة، فأتى بهم، فقتل المهدي منهم جماعة وصلبهم، وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين(٧).

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مرجع سابق، ١٩٧/٦.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩٧/٨. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٢/٤.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٠/٥.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٤/٨. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٩/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٨٧/٨.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٠/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩٣/٨.

(٦) ينظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ص٣٦.

(٧) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٦٨/٤.

المحتسب الغافقي:

إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم أبو إسحاق الغافقي الأندلسي المحتسب، له رحلة واسعة إلى ديار مصر والشام والعراق والجبال وطبرستان، وسمع الحديث الكثير ببغداد، عاد إلى دمشق وأقام بها إلى حين وفاته في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلون من ذي الحجة سنة أربع وأربعمائة، ولي الحسبة بدمشق بعد عزل الأنصار عن حسبة دمشق، كان صارمًا في الحسبة، كان من حسبته على الزنادقة أنه كان بدمشق رجل يقلي القطايف(١) فكان المحتسب يريد أن يؤدبه فإذا رأه القطايفي قد أقبل قال: بحق مولانا امض عني فيمضي عنه، فغافله يومًا وأتاه من خلفه، وقال: وحق مولانا لا بد أن تنزل، فأمر بإنزاله وتأديبه، فلما ضربه بالدرة قال: هذه في قفا أبي بكر، فلما ضربه الثانية قال: هذه في قفا عمر، فلما ضربه الثالثة قال: هذه في قفا عثمان، فقال المحتسب: أنت لا تعرف عدد الصحابة، والله لأصفعنك بعدد أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فصفعه بعدد أهل بدر وتركه فمات بعد أيام من ألم الصفع، وبلغ الخبر إلى مصر فأتاه كتاب الملقب بالحاكم يشكره على ما صنع وقال: هذا جزاء من ينتقص السلف الصالح(٢).

(١) نوع من المأكولات. ينظر: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٨٤٥.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، د.ط (د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ١٢/٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، ٢٨٨/٢٨. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٢٨/٦.

المبحث الرابع:

المحتسبون من العلماء والدعاة

كان العلماء والدعاة بفضل الله الحصن الأول الذي تحصن به كثير من المسلمين أمام محاولة الزنادقة نشر زندقتهم وتشكيك المسلمين في دينهم، وتشهد على ذلك حلق المساجد ودواوين الكتب ومجالس الخلفاء والأمراء، فمن العلماء من انبروا للأمر بالمعروف بحلق العلم يعلمون الناس الحق بالحجة والبرهان، وكان تدوين كثير من أمهات الكتب في علوم الدين في العصر العباسي(١)، وهذا التدوين من توفيق الله ﷻ للعلماء كان سببًا في حفظ ميراث النبوة من عبث الزنادقة، وأصبحت كتب علماء العصر العباسي مرجعًا أساسًا لفهم كثير من نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية بعد أن اتسع البعد بين المسلمين في ذلك العصر والعصر النبوي، ودخلت العجمة بين المسلمين، وضعف فهم العامة لنصوص الوحي، وظهرت البدع، واشتد مكر أعداء الدين؛ فاحتاجوا لكتب العلم ودروسه التي تزيدهم فهمًا وبصيرةً بمعاني ومقاصد الكتاب العزيز والسنة النبوية.

ومن أبرز ما دوِّن في العصر العباسي كتب التفسير بالمأثور التي بينت الحق في فهم نصوص الوحي، فاندحرت أمامها كل تأويلات الزنادقة لنصوص الكتاب العزيز، ودوِّنت كتب الصحاح والسنن وشروحها التي حفظت سنة الرسول ﷺ من عبث الزنادقة وكذبهم على الرسول ﷺ، وبينت الحق في فهمها بما يدفع التأويلات الباطلة عن نصوص الوحي، وكذلك الأمر في كتب العقيدة التي بينت أصول السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة في أمهات مسائل العقيدة الإسلامية وفروعها. ومن العلماء والدعاة من تصدروا لمقام النهي عن منكرات عقائد الزنادقة بألسنتهم وأقلامهم، فكان منهم من تصدر لمناظرتهم والرد عليهم؛ فإن الرد على هؤلاء من أعظم الواجبات على أهل العلم، ومن العلماء من قام يكشف للناس عور الزندقة وجهلهم وكذبهم، والحكم فيهم وفيما يعتقدون من البدع المحرمة التي آلت بأصحابها إلى الزندقة مثل: مذاهب

---

(١) ينظر المبحث الأول من الفصل التمهيدي ص٢١-٢٨.

القدرية، والجبرية، والجهمية، والمرجئة، والمجسمة، ونحوهم[1]، ومنهم من أمر الخليفة أو من ينوب عنه بالأخذ على يد الزنادقة وأفتى بقتل من ثبتت زندقته، ولم يدع العلماء والدعاة وسيلة مشروعة ولا أسلوبًا نافعًا إلا اتخذوه لحماية الدين من عبث الزنادقة، فبارك الله في جهودهم، واندحر الزنادقة، وبقي الحق وسيبقى إلى قيام الساعة بفضل الله ﷻ.

قال ابن تيمية ﵀: إن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا الله، فقد جمع العلماء من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف هذه الآيات والأحاديث، وتكلموا في إثبات معانيها، وتقرير صفات الله دلت عليها هذه النصوص، لما ابتدعت الجهمية جحد ذلك والتكذيب له[2].

إن استقصاء جهود علماء ودعاة العصر العباسي في الحسبة على الزنادقة أمر لا تتحمله رسالة واسعة المجالات، بل ولا حتى رسالة علمية خاصة بجهودهم؛ وذلك لطول العصر العباسي الذي امتد إلى أكثر من خمسة قرون، وكثرة أعمال العلماء والدعاة في الحسبة على الزنادقة في ذلك العصر بشقيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها جهود بقيت إلى عصرنا الحاضر بما تركوه من علم نافع، ومنها جهود سطرتها بعض كتب التاريخ أو التراجم وغيرها، وما ذكرته في هذا المبحث هو بعض من أعمالهم التي كان منها الأمر بالمعروف ومنها النهي عن المنكر، حرصت فيها على استيعاب جميع قرون العصر العباسي بذكر أبرز العلماء والدعاة في كل قرن ممن كان لهم جهود في الحسبة على الزنادقة، وفيما يلي بيان ذلك:

مالك بن أنس:

الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني، كان من أعظم فضائله أن اشتهر بلقب إمام دار الهجرة، وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، كان أحد النبلاء، ورث حديث الرسول ﷺ، ونشر في أمته علم

---

(١) ينظر: الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن بن أبي بكر بن داوود، تحقيق: د. مصطفى عثمان صميدة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ص١١٦.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٣٣٧/٦.

الأحكام والأصول، مناقبه كثيرة جدًا، ولد سنة ثلاث وتسعين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة[1]، وشواهد ثناء السلف الصالح واجتماعهم عليه كثيرة[2]، قال ابن أويس: كان الناس كلهم يصدرون عن رأي مالك بن أنس، وكان للأمير عنده رجل يسأله، وهكذا القاضي والمحتسب[3].

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ قام الإمام مالك رحمه الله ببيان بعض أحكام التعامل مع زندقة الرافضة ومن شابههم في سب الصحابة رضي الله عنهم، فجاء أن الخليفة هارون دخل المسجد فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟

قال: لا، ولا كرامة

قال: من أين قلت ذلك؟

قال: قال الله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]؛ فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء، واحتج مرة أخرى في ذلك بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨].

قال: فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه وأنصاره الذين جاؤوا من بعده ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠]، فما عدا هؤلاء فلا حق

---

(١) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٤٤/١-٤٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ)، ٣١٦/٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١٣٧/٤ .

(٢) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مرجع سابق، ٦١/١-٧٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٣٨/١.

له فيه(١).

٢/كان الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يذم الكلام ويحذر منه، ويعده من سبل الزندقة، ومما قاله في هذا الشأن: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

٣/ صنف الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ "الموطأ" الذي يعد أبرز وأشهر مصنفاته؛ حيث حفظ فيه شيئًا من السنة النبوية، وكان سبب جده واجتهاده في كتابة "الموطأ" خوفه من عبث الجهمية الزنادقة بدين الناس؛ حيث جاء في "الفتاوى الكبرى": قال: جمعت هذا -أي الموطأ- خوفا من الجهمية أن يضلوا الناس(٢).

٤/ "كان شديد الغيرة على دين الله عَزَّ وَجَلَّ يخشى من تلبيس بعضهم على الناس دينهم وإثارة الشبهات عليهم؛ فقد جاءه رجل فقال له: ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟

قال: زنديق فاقتلوه.

فقال: يا أبا عبد الله، ليس هو كلامي إنما هو كلام سمعته.

قال: لم أسمعه إلا منك"(٣).

الشافعي:

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف بن قصي، أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربع، ولد بغزة سنة خمسين ومائة، طلب العلم منذ صباه وبرع فيه، كثر ثناء العلماء عليه، من ذلك قول الإمام ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أحد مس محبرة وقلمًا إلا وللشافعي في عنقه منة، وقال عنه أيضًا: يروى عن النبي ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه**

---

(١) ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مرجع سابق، ١/١٧٥.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٦/٣٣٦.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مرجع سابق، ١/٩٠.

الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]، فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله على رأس المائة، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى، وقال الإمام مالك رحمه الله: ما يأتيني قرشي أفهم من هذا الفتى -يعني الشافعي-[2].

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ كان يؤمن بأهمية التصنيف والتأليف في علوم الشريعة بما يحفظ على الناس دينهم، ويحميهم من مكر الزنادقة ووساوسهم، وقد أثر عنه قوله: لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر[3].

٢/ كان راصدًا لأعمال الزنادقة وأساليبهم، ناقدًا لهم، ومبينًا خطرهم، من ذلك قوله: خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير[4] يشغلون به عن القرآن.

وقال: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى والشيء غير المُشَيَّ فاشهد عليه بالزندقة[5].

٣/ كان يحاور بعض الزنادقة ويرد عليهم، من ذلك: أن أم بشر المريسي ذهبت إلى الشافعي رحمه الله فقالت: يا أبا عبد الله، أرى ابني يهابك ويحبك، وإذا ذكرت عنده أجلك، فلو ذكَّرته حتى ينتهي عن هذا الرأي الذي هو فيه، فقد عاداه الناس عليه؟

فقال: أفعل، فلما دخل عليه بشر، قال له الشافعي رحمه الله: أخبرني عما تدعو إليه أكتاب ناطق، وفرض مُفْتَرَضٌ، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث عنه والسؤال؟

فقال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه.

---

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث (٤٢٩١)، ص٨٧٧. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ٣/٢٣.

(٢) ينظر: الشافي شرح مسند الشافعي، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، اعتنى به: محمد بن رياض الأحمد، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١/٢٥-٢٦.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٠/٧٠.

(٤) قال الأزهري: وقد يسمى ما يقرأ بالتطريب من الشعر في ذكر الله تعالى تغبيرًا، كأنهم إذا تناشدوها بالألحان، طربوا فرقصوا وأرهجوا، فسموا مغبرة بهذا المعنى، ثم نقل كلام الشافعي السابق. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٨/١٢٣.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٠/٣٠.

فقال الشافعي رحمه الله: أقررت بنفسك على الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار، يواليك الناس عليه، وتترك هذا؟

قال: لنا نَهْمَةٌ فيه.

فلما خرج بشر قال الشافعي رحمه الله: لا يُفلح(١).

وجاء عن عبد الله بن صالح أنه قال: كنا عند الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ، فكتبناه، وذهبنا به إلى إبراهيم بن علية من كبار زنادقة الجهمية، وكان في مجلسه عند باب الصوفي، فلما قرأنا عليه جعل يحتج بإبطاله، فكتبنا ما قال، وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه وتكلم بإبطاله، ثم كتبناه، وجئنا به إلى ابن علية، فنقضه، ثم جئنا به إلى الشافعي فقال رحمه الله: إن ابن علية ضال، قد جلس بباب الضوال يضل الناس(٢).

٤/كان يفتي في بعض من ثبتت عنده زندقته؛ فذات يوم جمع المجلس الشافعي رحمه الله بعبدالله بن عبدالحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد، فسأل حفص عبدالله بن عبدالحكم: ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو بن يزيد، فلم يجبه، وأشار إلى الشافعي، فسأله واحتج عليه، فطالت فيه المناظرة، فقام الشافعي بالحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبكفر حفص، قال الربيع فلقيت حفصًا، فقال: أراد الشافعي قتلي(٣).

نُعيم بن حماد:

نُعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن مسلمة بن مالك أبو عبد الله الخزاعي المروزي الأعور المعروف بالفارض، في خلافة المعتصم سُئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء حتى مات في السجن، قيل إن وفاته كانت في سنة ثمان

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ٢٧٧/١. مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١ (القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٣٩٠هـ)، ٢٠٤/١.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٤/١٠.

(٣) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، عبدالرحمن بن محمد التميمي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ص١٤٩. مناقب الشافعي، مرجع سابق، ٤٥٥/١.

وعشرين ومئتين، وقيل غير ذلك، وأوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم(١).

قال الخطيب البغدادي: يقال إن أول من جمع المسند وصنفه نُعيم، وقال أحمد: كان نُعيم كاتبًا لأبي عصمة -يعني نوحًا بن أبي مريم المروزي- وكان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، ومنه تعلم نُعيم(٢).

قال صالح بن مسمار: "سمعت نُعيم بن حماد يقول: أنا كنت جهميًّا؛ فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل"(٣).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ كان يفتي بكفر الزنادقة المشبهة حيث قال: "من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه ورسوله فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه"(٤).

٢/ صنف كتبًا في الرد على زندقة الجهمية، قال العباس بن مصعب عن عددها: "وضع ثلاثة عشر كتابًا في الرد على الجهمية"(٥).

٣/ قام بمناظرة بعض الزنادقة؛ ففي محنة القول بخلق القرآن كان ممن ثبت وناظر فيها، ولما حمل نعيم بن حماد في المحنة كبل بالحديد، وحبس، فاجتمع القوم يقولون: من يناظره؟ فاتفقوا على ابن عوف، وكان متكلمهم، فأتاه ابن عوف وأصحابه إلى السجن، فأخرج نعيم، فقال له ابن عوف: أقول أو تقول؟

قال: أقول.

قال: قل.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٣٠٧/١٣. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٥٩٥/١٠.

(٢) تاريخ بغداد، مرجع سابق، ٣٠٥/١٣.

(٣) المرجع السابق، ٣٠٦/١٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٦١٠/١٠.

(٥) المرجع السابق، ٥٩٩/١٠.

قال: أخبرني عن هذه المقالة التي دعوتم الناس إليها، هو رأيك؟

قال: نعم.

قال: ورأي الخليفة؟

قال: نعم.

قال: فإن رجع الخليفة ترجع أنت عنها؟

قال: نعم.

قال: قم، فإنك بلا دين، دينك دين الملك فتفرقوا عنه.

وأقبل أصحابه عليه، فقالوا: فضحتنا، قطعك بكلمة واحدة[1].

عبدالعزيز الكناني:

عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي، كان من أهل الفضل والعلم، وله مصنفات عدة، تفقه على يد الشافعي واشتهر بصحبته، توفي في حدود الأربعين ومائتين[2].

من أعماله في الحسبة على الزناقة:

تصدى للزنديق بشر المريسي وناظره في قوله بخلق القرآن، وأقام عليه الحجة الدامغة، وأبطل مذهبه بأدلة الكتاب والسنة، وبفضل الله ﷻ كتب أحداث المناظرة كاملة في كتابه "الحيدة"، فنفع الله بها في باب المناظرة عامة وباب مناظرة الزنادقة خاصة[3].

أحمد بن حنبل:

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان الشيباني، إمام المحدثين الناصر للدين، والمناضل عن السنة، والصابر في المحنة، ولد سنة أربع وستين ومائة،

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ١٧٠/٦٢.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٢١٢/١٢. تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ٨٧٣/٥. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٣٤٨/١٨.

(٣) للاستزادة من أحداث هذه المناظرة ينظر كتاب الحيدة.

رحل كثيرًا في طلب العلم، وصنف كتبًا نافعة في علوم عدة أشهرها "المسند"، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين عن عمر سبعين سنة(١).

كثُر ثناء العلماء عليه، من ذلك: قول الدارمي رحمه الله: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أَعلَم بفقهه ومَعانيه، من أَبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال الشافعي رحمه الله: خرجت من العراق فما تركت رجلًا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل، وقال أبو عمر بن النحاس – وذكر أحمد يومًا– فقال رحمه الله: في الدين ما كان أبصره، وعن الدنيا ما كان أصبره، وفي الزهد ما كان أخبره، وبالصالحين ما كان ألحقه، وبالماضين ما كان أشبهه، عرضت عليه الدنيا فأباها، والبدع فنفاها، قال أبو الحسن الطرخاباذي الهمداني رحمه الله: أحمد بن حنبل محنة به يعرف المسلم من الزنديق(٢).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ امتحن الإمام أحمد رحمه الله بالزنادقة وكادوا له كيدًا كبارًا، وأغروا ثلاثة خلفاء بجلده وقتله، فطلبه الخليفة المأمون في محنة القول بخلق القرآن وأقسم على قتله إن لم يجبه، وبرحمة من الله مات المأمون قبل أن يصل إليه الإمام أحمد، ثم عرض على الخليفة المعتصم، فثبت وامتنع عن القول بخلق القرآن وصدح بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وناظرهم ورد عليهم، فأمر الخليفة المعتصم بجلده، فوقف شامخًا على خشبة الجلد باذلًا نفسه يحتسبها عند الله في سبيل الحق، وسجن ثمانية وعشرين شهرًا، وانتهز الجهمية والمعتزلة ذلك فبثوا أقوالهم واعتقاداتهم الفاسدة في مجالس التعليم وكتب التفسير وبخاصة الكلام على صفات الله عز وجل والقدر، وامتدت محنة الإمام أحمد رحمه الله حتى أدرك الخليفة الواثق الذي أمر بوضعه تحت الإقامة الجبرية ومنعه من تدريس الناس والاجتماع إليهم، فلما توفي الواثق ولي الخلافة المتوكل فأكرم الإمام أحمد ونصر السنة ومنع المبتدعة من

---

(١) ينظر: سيرة الإمام أحمد ابن حنبل، صالح بن أحمد ابن حنبل، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط٢ (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٤٠٤هـ)، ٢٩–٣٠. مناقب الإمام أحمد، عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط٢ (الرياض: دار هجر، ١٤٠٩هـ)، ص١٧. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٨٦/٥.

(٢) ينظر: سيرة الإمام أحمد ابن حنبل، مرجع سابق، ٢٩–٣٠. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٩٠/٦. مناقب الإمام أحمد، مرجع سابق، ص١٧، ٧٨.

زنادقة الجهمية والمعتزلة من إظهار معتقدهم وتعليم الناس ما هم عليه من الباطل[1].

٢/ صنف كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله" الذي كتب فيه عن معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون آية آية، وأثبت أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيرها، وأبطل تأويل الزائغين، وأقام الحجج الواضحة الصحيحة على صفات الله التي أنكرها وأولها الزنادقة والمبتدعة، وفضح فساد تأويل الزائغين وكل ما احتج به الزنادقة على أن القرآن مخلوق.

٣/ كان له مجموعة من الأقوال عن الزندقة والزنادقة منها قوله: من كذب بالرواية فهو زنديق، وقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: قوم سوء، فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه وهو يقول: زنديق زنديق زنديق ودخل بيته[2].

٤/ كانت كثير من كتبه حصونًا منيعة يتحصن بها المسلم من قذائف الباطل على يد الزنادقة في عصر الإمام أحمد رحمه الله، من أمثلة ذلك: كتابه "المسند" كان من أسباب حفظ السنة النبوية من عبث الوضاعين من الزنادقة وغيرهم، وكتابه "فضائل الصحابة رضي الله عنهم" بيان للعقيدة الصحيحة في شأن الصحابة رضي الله عنهم ودفع لمنكر الرافضة وأمثالهم من الطاعنين المشككين في الصحابة رضي الله عنهم حملة الوحي وخير القرون.

٥/ حذر من كتاب "الحيل" الذي حوى مجموعة مسائل يحتال فيها صاحب اليمين ليتخلص من يمينه، وحقيقتها خداع وكذب يؤول بقارئه العامل بما فيه إلى الزندقة، ينسب زورًا إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، حيث قال الإمام أحمد رحمه الله: من كان عنده كتاب "الحيل" في بيته يفتي به فهو كافر[3]؛ ففي هذا الكتاب مسائل يحتال فيها صاحب اليمين ليتخلص من يمينه، وحقيقته

---

(١) ينظر: مناقب الإمام أحمد، مرجع سابق، ٤١٦-٤٨١. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٣٣/٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٧٧/١٠-٢٨١.

(٢) ينظر: ذم الكلام وأهله، عبدالله بن محمد الهروي، تحقيق: عبدالرحمن عبد العزيز الشبل، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ)، ٧٤/٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١١/ ٢٩٩.

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ٢١٨/١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ)، ٩٥/٥.

خداع وكذب يؤول بقارئه العامل بما فيه إلى الزندقة.

الدارمي:

عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، يكنى رحمه الله بأبي سعيد، ولد قبل المائتين بيسير، طلب الحديث وصنف فيه بعض التصانيف، كان لهجًا بالسنة، جذعًا في أعين المبتدعة، بصيرًا بالمناظرة، كان في ثوبه كم واسع وكم ضيق فقيل له: ما هذا يرحمك الله؟ فقال: هذا الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه، توفي في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين(١).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/كان من أمره بالمعروف تصنيفه لكتابه "المسند" الذي كان من أسباب حفظ السنة النبوية من تدليس ووضع الزنادقة والمبتدعة.

٢/ قام رحمه الله بواجب الإنكار على الزنادقة باللسان من خلال تصنيفه لبعض الكتب في فضح الزندقة وبيان حقيقتها وحقيقة بعض رؤوسهم؛ حيث صنف كتابًا يرد فيه على الزنديق المريسي سماه "النقض على المريسي الجهمي العنيد"، ورد على الجهمية الزنادقة في كتابه "الرد على الجهمية"(٢).

وشهد بعظم شأن هذين الكتابين ونفعهما ابن القيم رحمه الله حيث قال: وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية، ويعظمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما(٣).

وقال ابن القيم مادحًا له في نونيته الشهيرة:

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٥٨. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/٣١٩.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/٣٢٠.

(٣) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ط١ (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ)، ١/ ١٤٣.

وَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى عُثْمَانُ ذَاكَ الدَّارِمِيْ الرَّبَّانِي
فِي نَقْضِهِ وَالرَّدِّ يَا لهُمَا كِتَا بَا سُنَّةٍ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ
هَدَمَتْ قَوَاعِدَ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ خَرَّتْ سُقُوفُهُمُ عَلى الحِيطَانِ(١)

القاضي أبو عمر المالكي:

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد، ولد بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين، كان ثقة فاضلًا، وحمل الناس عنه علمًا واسعًا من الحديث وكتب الفقه، وعمل مسندًا كبيرًا قرأ أكثره على الناس، يضرب بعقله المثل، جمع له الخليفة المقتدر قضاء القضاة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، توفي رحمه الله سنة عشرين وثلاثمائة عن ثمانٍ وسبعين سنة(٢).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ قام بمناظرة الزنديق الحلاج وفضح حقيقة معتقده للناس، وأفتى بقتله لكف شره عن العباد، وفي هذا الشأن كتب ابن كثير رحمه الله يمدح القاضي أبا عمر: "قالوا: ولم يُنتقد عليه حكم من أحكامه أخطأ فيه قط، قلت: وكان من أكبر صواب أحكامه وأصوبها قتله الحسين بن منصور الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة"(٣).

جاءت حادثة قضاء أبي عمر بقتل الحلاج بعد أن وجد الوزير حامد بن العباس للحلاج كتبًا تفضح زندقته، فأحضر الوزير القاضي أبا عمر والفقهاء وأشراف القوم وجيء بالحلاج، وأُحضر له كتابه من دور بعض أصحابه فقرئ عليه ومما جاء فيه: إذا صار الإنسان إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلى ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على شيء يسير من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة باقي عمره(٤)، فقال القاضي أبو عمر للحلاج: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب "الإخلاص" للحسن البصري، فقال: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب "الإخلاص" للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا، فأقبل الوزير

---

(١) القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ)، ١/ ٩١.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/ ٢٢٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/ ١٤٥.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/ ١٤٥.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٣/ ٢٠٥.

على القاضي أبي عمر قائلًا: قد قلت يا حلال الدم، فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك، وكتب من حضر خطوطهم فيها، وأنفذها الوزير إلى الخليفة المقتدر فجاء الأمر بقتله(١).

أبو الحسن الأشعري(٢):

علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري **س**، ولد سنة ستين ومائتين، وقيل غير ذلك، ناصر سنة سيد الْمُرْسلين والذاب عَن الدِّين والمصحح لعقائد المسلمين، أخذ علم الكلام من أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه ورجع عن الاعتزال، فصعد منبر البصرة وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن الشر فعلي ليس بقدر، وإني تائب معتقد الرد على المعتزلة، وشرع في الرد عليهم، كان ذا ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، مات رحمه الله ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة.

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ صنف رحمه الله كتبًا يرد فيها على الزنادقة من الملحدين والرافضة والجهمية، منها: "الفصول في الرد على الملحدين"، "خلق الأعمال"، "الصفات"، "الرد على المجسمة".

٢/ كتب تعريفًا عن بعض فرق الزنادقة الرافضة والجهمية وأبرز معتقداتهم ودعاتهم في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" الذي ذكر فيه كثيرًا من الفرق المبتدعة سواء من كانت بدعتهم مكفرة كالزنادقة الجهمية والرافضة أو غيرهم كالمرجئة.

البربهاري:

الحسن بن علي بن خلف، أبو محمد البربهاري، شيخ الحنابلة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع، والمباينة لهم باليد واللسان، قوال بالحق، داعية إلى الأثر، شديد على أهل البدع، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان رحمه الله له مجاهدات ومقامات في الدين كثيرة، وكان المخالفون

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٠/١١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٠٥/١٥.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٣٤٧/١١. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٨٩/١٥. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد الشهبي المعروف بابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)، ١١٤/١.

يغيظون قلب السلطان عليه؛ ففي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في خلافة القاهر ووزيره ابن مقلة تقدم بالقبض على البربهاري، فاستتر، وقبض على جماعة من كبار أصحابه، وحملوا إلى البصرة، وعاقب الله ابن مقلة على فعله ذلك بأن أسخط عليه القاهر، وهرب ابن مقلة وعزله القاهر عن وزارته، ثم سملت عينا الخليفة حتى سالتا جميعًا فعمي، ثم تفضل الله ﷻ وأعاد البربهاري إلى حشمته.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ازدادت حشمة البربهاري وعلت كلمته وظهر أصحابه وانتشروا فِي الإنكار على المبتدعة، وحدث ذات يوم أن البربهاري اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته أصحابه فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنة فسأل عن الحال؟ فأخبر بها فاستهولها.

ولم تزل المبتدعة ينقلون قلب الراضي على البربهاري فتقدم الراضي إلى صاحب الشرطة بالركوب والنداء ببغداد: أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان فاستتر، وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول فانتقل إلى الجانب الشرقي مستترًا فتوفي رحمه الله في الاستتار في رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وعمره سبع وسبعون سنة(١).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

صنف البربهاري رحمه الله مصنفات منها: "شرح كتاب السنة"، بين فيه المعروف من عقيدة أهل السنة والجماعة بالحجة والبرهان، وأنكر على الجهمية زندقتهم، وفضح حقيقة عقيدتهم الخبيثة التي خالفت فيها العقيدة الإسلامية، وبين حكم بعض العلماء فيهم، كما ذكر طرقهم في نشر باطلهم وزندقتهم.

ابن بطة:

عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، يرجع نسبه إلى الصحابي عتبة بن فرقد رضي الله عنه، يكنى بأبي عبدالله العُكْبري، ويعرف بابن بطة، أحد الفقهاء على مذهب أحمد بن حنبل، ولد سنة

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٤/١٤. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٩٥/١١. طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١٨/٢.

أربع وثلاثمائة، كان أمَّارًا بالمعروف ولم يبلغه خبر منكر إلا غيَّره.

كان فطنًا لمراد أصحاب الرأي من السنة النبوية؛ فعندما ذكر الحيل من أصحاب الرأي قال فاضحًا حقيقة مقصدهم: يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ، له ما يزيد عن مائة مصنف، مات رحمه الله بعكبرا في المحرم من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة(١).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

صنف رحمه الله كتابه "الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" المعروف بمسمى "الابانة الكبرى" في ثلاثة مجلدات، صنف كتبه في عصر ضعفت فيه سلطة الخليفة العباسي حينما كانت إدارة أمور البلاد فعليًّا في أيدي أمراء شيعة من بني بويه، كان من قبيح عملهم الجهر ببدعهم وإظهارها بين الناس، وعلا خطباء الشيعة المنابر، فانتشرت البدع واستطالت رقاب دعاتها من الزنادقة ومن دونهم في الضلال، فأجرى ابن بطة رحمه الله مداد قلمه أمرًا بالسنة ناهيًا عن البدعة، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، قال في مقدمته واصفًا حال الناس في زمنه: "فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأمم قبلنا، وحل الذي حذرناه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف، وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا، وترك الجمهور منا ما به أمرنا، فخلعت لبسة الإسلام، ونزعت حلية الإيمان، وانكشف الغطا، وبرح الخفا، فعبدت الأهواء، واستعملت الآراء، وقامت سوق الفتنة، وانتشرت أعلامها، وظهرت الردة، وانكشف قناعها، وقدحت زناد الزندقة فاضطرمت نيرانها"(٢)، وضم في كتابه فصولًا تظهر المعروف في شأن السنة والصحابة وتكشف حقيقة الزندقة في القدرية والجهمية.

اللالكائي:

هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، طبري الأصل، كنيته أبو القاسم، استوطن بغداد ودرس فقه الشافعي، له العديد من المصنفات منها: "شرح السنة"،

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٣٧٠/١٠. طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١٤٤/٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٩٠/١٤-٣٩١.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيدالله بن محمد بن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط٢ (الرياض: دار الراية، ١٤١٩هـ)، ١٦٤/١.

"السنن"، "أسماء رجال الصحيحين"، توفي رحمه الله سنة ثماني عشرة وأربعمائة[1].

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

صنف رحمه الله كتابه "شرح السنة" في أصول مسائل اعتقاد أهل السنة التي خالفت الزنادقة القدرية والجهمية والرافضة الحق فيه، منها: الإيمان بأسماء الله وصفاته، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وفضائل الصحابة رضي الله عنهم، معتمدًا في بيانه على نصوص الوحي من الكتاب والسنة الصحيحة، ومستشهدًا بأقوال كثير من السلف الصالح، وكان يتوسع كثيرًا في الاستشهاد إقامة للحجة ودمغًا للباطل والشبهة، من ذلك: ذكره لأقول جمع من السلف الصالح بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ثم ختمها بقوله: "فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة"[2].

أبو يوسف الخازن:

يعقوب بن سليمان بن داود، أبو يوسف الخازن الإسفراييني الشافعي، سافر إلى العراق والشام وسكن بغداد، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، كان خازن الكتب بالنظامية، وهو فقيه فاضل حسن المعرفة بالأصول على مذهب الأشعري، وله معرفة بالأدب، وكان يكتب خطًّا جيدًا، له العديد من المصنفات، توفي رحمه الله سنة ثمان وثمانين وأربعمائة[3].

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

قام بمناظرة أصحاب الزنديق الحسن بن الصباح رئيس الطائفة الباطنية من الإسماعيلية بأمر من السلطان ملكشاه، كما ألف كتابه "المستظهري" وأجاب عن مسائلهم[4].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٧١/١٤. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣٦/١٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مرجع سابق، ٣٤٤/٢.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٩٦/٢٨.

(٤) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مرجع سابق، ٣٢٤/٢.

الغزالي:

محمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي الفقيه الشافعي، ولد سنة خمسن وأربعمائة، تفقه على يد إمام الحرمين الجويني ﷺ، ثم ولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم خرج إلى الشام زائرًا لبيت المقدس فقدم دمشق سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأقام بها مدة، ثم رجع إلى بغداد ومضى إلى خراسان ودرّس مدة بطوس ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة، من أشهر مصنفاته: "إحياء علوم الدين"، وهو كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات لكن فيه أحاديث كثيرة وغرائب ومنكرات وموضوعات، وقد كان يقول عن نفسه: أنا مُزجى البضاعة في الحديث(١)، وكانت خاتمة أمره تشاغله بحفظ القرآن ومطالعة أحاديث الصحاح، وتوفي سنة خمس وخمسمائة بمدينة طوس(٢).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ صنف كتاب "الرد على الباطنية"، وذكر في مقدمته أنه صنفه للخليفة العباسي المستظهر، مما يشير لعناية الخليفة بمعرفة حقيقة الباطنية وثقته بمعرفة الغزالي بهم، ومن أبرز ما سطره في كتابه: بيان سبب ظهور زندقة الباطنية، وذكر بعض فرقهم، وطرقهم في استدراج العامة وإغوائهم، كما فضح بعض تأويلاتهم الباطنية لنصوص الوحي ورد عليها.

٢/ صنف كتاب "إحياء علوم الدين" الذي وإن لم يسلم من الخطأ وكثرة الأحاديث الموضوعة إلا أن به مباحث نافعة ومهمة، منها ما سطره في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث يعد كتابه أول كتاب تكلم عن أركان الحسبة (المحتسب، المحتسب عليه، المحتسب فيه، درجات الحسبة) بشيء من التفصيل، وكثيرًا ما نجد الإحالة على كتابه هذا في كتب المصنفين عن فقه الحسبة في القرون التي تلت عصره، كما أن كتاب "الإحياء" لم يخلُ من نصوص تحذر من زندقة الباطنية وتبين قليلًا من تأويلاتهم الباطلة، وتبين خطورة علم الكلام وأنه سبب في الزندقة.

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ٢٠٤/٥٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٢٤/١٧-١٢٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٥٤/١٢.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٢٤/١٧. تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ٦٢/١١.

ابن عقيل:

علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، أبو الوفاء الفقيه، ولد في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، كان إمامًا مبرزًا، مناظرًا، كثير العلم، كان معتزليًّا، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك، وتبرأ من مذاهب المبتدعة والاعتزال، ثم صنف في الرد عليهم، كما تبرأ مما كان يعتقده في الزنديق الحلاج من سلامة المنهج والعقيدة، وصوب إجماع الفقهاء في عصره على قتله، وأفتى ابن عقيل ودرس، وناظر الفحول، واستفتي في الديوان في زمن القائم في زمرة الكبار، وجمع علوم الأصول والفروع، وصنف فيها الكتب الكبار، وكان دائم الاشتغال بالعلم، وصاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والمذهب والخلاف، ومؤلِّف كتاب "الفنون" الذي يزيد على أربعمائة مجلّد، قال الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه(١).

كان ﷺ آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، يُواجه الأكابر بالإنكار بلفظه وخطه، لا يخشى في الله لومة لائم، ومن أعماله في الحسبة أنه كتب إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير ينكر عليه ما يجري من منكرات على سور بغداد من شرب نبيذ وزنى واختلاط النساء بالرجال، وكشف للعورات وغير ذلك، كما أرسل إلى حماد الدباس مع شهرته بالزهد وعكوف العامة عليه يتهدده في أمر كان يفعله، ويقول له: إن عدت إلى هذا ضربت عنقك(٢)، توفي ابن عقيل ﷺ سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وله ثلاث وثمانون سنة(٣).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ بلغ ابن عقيل أن السلطان جلال الدولة ملكشاه قد مال إلى الباطنية واستمع لهم فأفسدوا عقيدته ودعوه إلى إنكار الصانع، فكتب ينكر عليه فعله:

أيُّها الملك، اعلم أن هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس، فإذا فقدوه جحدوه،

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧٩/١٧. العبر في خبر من غبر، مرجع سابق، ٤٠٠/٢. لسان الميزان، مرجع سابق، ٥/ ٥٦٣-٥٦٤. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٤٦/٢٢.

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد السلامي الحنبلي، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ)، ٣٣٧/١.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧٩/١٧. العبر في خبر من غبر، مرجع سابق، ٤٠٠/٢. لسان الميزان، مرجع سابق، ٥٦٤/٥.

وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة، وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس ولم يجحدها العقل ولا يمكننا جحدها لقيام العقل على إثباتها، فإن قال لك أحد من هؤلاء: لا تثبت إلا ما ترى، فمن ههنا دخل الإلحاد على جُهّال العوام، الذين يستثقلون الأمر والنهي، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة، التي تنمى ولا تفسد، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة، كالطب والهندسة، فعلموا أن ذلك صادر عن أمر وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل، فإذا سألناهم: هل أدركتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا: لا، لكننا أدركناهما من طريق الاستدلال بما صدر عنهما من التأثيرات، قلنا: فما لكم جحدتم الإله، حيث فقدتموه حسًّا، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم، وإدارة الأفلاك، وإنبات الزرع، وتقليب الأزمنة وكما أن لهذا الجسد عقلًا وروحًا بهما قوامه لا يحركهما الحس، لكن شهدت بهما أدلة العقل من حيث الآثار، كذلك الله سبحانه -وله المثل الأعلى- ثبت بالعقل؛ لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه، وإتقان أفعاله.

وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه. قال: فحكى لي أنه أعادهُ عليه فاستحسنه، وهش إليه، ولعن أولئك، وكشف إليه ما يقولون له(١).

٢/ عندما قبض على الكيا أبي الحسن على بن محمد المدرس بالنظامية، بسبب وشاية رُفعت إلى السلطان محمد تتهمه بأنه باطني، وتجرد في حقه أبو الفرج بن السيبي القاضي، وأخذ المحاضر،فكتب أبو الوفاء بن عقيل خطه له بصحة الدين، وشهد له بالفضل وخوطب من دار الخلافة في تخليصه فاستنقذ(٢)، وفي هذا حسبة من حيث إنه حفظ الأمر من الخلط بين أصحاب الحق ودعاة الباطل مما يجرئ الزنادقة ويدفعون به عن أنفسهم وصف الزندقة لسبق اتهام من ليس منهم بالزندقة.

٣/ "قتل رجل باطني عند باب النوبي، كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاهما إلى مذهبه، فجعل يقول: أتقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ فقال ابن عقيل: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١/ ٣٣١.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧/ ٣٩. ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١/ ٣٤٦.

﴿لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر: ٨٤-٨٥]"(١).

ابن الجوزي:

أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق ﷺ، كانت ولادته سنة ثمان وقيل تسع أو عشر وخمسمائة، أحب الوعظ ولهج به وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، وكان علاّمة عصره وإمام وقته في صناعة الوعظ، وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبدالرحمن محتسب بغداد، ولابن الجوزي مصنفات كثيرة في فنون عديدة، من أشهرها: "زاد المسير في علم التفسير"، و"المنتظم في التاريخ"، و"الموضوعات" في الحديث، توفي ابن الجوزي رحمه الله ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب، وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن محتسب بغداد(٢).

من أعماله في الحسبة على الزنادقة:

١/ كتب في الزنديق الحلاج مصنفًا سماه "رفع اللجاج في أخبار الحلاج" بسط فيه ذكره وبيان زندقته(٣).

٢/ كتب فصلًا مطولًا عن الزنادقة القرامطة في كتابه "المنتظم"، والذي اعتمد في مادته العلمية على كتاب "فضائح الباطنية" للغزالي رحمه الله؛ حيث اختصره وحذف كل ما له صلة بالمنطق والفلسفة من الأمور المعقدة التي يصعب فهمها على غير المختصين(٤).

٣/ صنف كتابه "النصر على مصر" في بيان زندقة العبيديين ووجوب قتالهم، وعرض الكتاب على الخليفة المستضيء بأمر الله(٥).

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٧/١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٩/١٧.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ١٤٢/٣. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٦٥/٢١.

(٣) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٤٨١/٣.

(٤) ينظر: القرامطة، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، ط٥ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ). ص٢١-٢٢.

(٥) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٩٦/١٨.

٤/ ضمن كتابه "تلبيس إبليس" ذكر زندقة غلاة الصوفية والقدرية والجهمية، فاضحًا حقيقة ما هم عليه من الكفر، مبينًا منشأ ضلالهم، وما آل بهم اتباعهم وساوس الشيطان، من ذلك قوله مخاطبًا الصوفية: "وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة. وأنتم زنادقة في زي عُباد، شرهون في زي زهاد، مشبهة تعتقدون أن الله ﷻ يعشق ويهام فيه، ويؤلف ويؤنس به، وبئس التوهم"[١].

(١) تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، ط١ (بيروت: دار القلم، ١٤٠٣هـ)، ص٢٣٨.

الفصل الثالث:

مقاصد الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وغاياتها

المبحث الأول: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالدين.

المبحث الثاني: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالنفس.

المبحث الثالث: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعقل.

المبحث الرابع: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعرض.

المبحث الخامس: الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالمال.

جاءت جميع أحكام الله ﷻ لجلب نفع أو دفع ضـر، وما من أمر ولا نهي إلا ولله ﷻ فيه معنى وحكمة، وهو ما اصطلح العلماء على تسميته مقاصد الشريعة، وعرفوها بعدة تعريفات منها:

عرفها ابن عاشـور رحمه الله بقوله: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشـارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"(١).

وقال الفاسي: "هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"(٢).

وعرفها اليوبي: "هي المعاني والحِكَم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عمومًا وخصوصًا، من أجل تحقيق مصالح العباد"(٣).

والحسبة من الواجبات التي فرضها الله ﷻ حفاظًا على الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والنسـل والمال(٤)، وهي الضـروريات التي اتفق عليها كثير من العلماء، وأضـاف بعض العلماء مقصدًا سادسًا وهو حفظ العرض(٥)، وعدَّه بعضهم من الحاجيات وليس الضروريات كالغزالي وابن عاشور رحمهم الله(٦)، وباستقراء حقيقة الزندقة وأعمالهم المنكرة وأقوالهم الفاسدة، وما قام به المحتسبون في العصر العباسي من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر في مواجهة الزندقة، يتبين

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط١ (عمان: دار النفائس، ١٤٢٠هـ)، ص١٨٣.

(٢) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، تحقيق: د. إسماعيل الحسني، ط١ (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٣٢هـ)، ص١١١.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد بن أحمد اليوبي، ط١ (الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ)، ص٣٧.

(٤) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عبد العزيز بن عبدالسلام السلمي، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ٤/١. الموافقات، مرجع سابق، ٢٠/٢.

(٥) ممن قال بذلك الطوفي في كتابه شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ٢٠٩/٣. والعطار في كتابه حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد العطار، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣٢٣/٢.

(٦) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص٢٢٣.

أن المقصد الأساسي لكل أعمال حسبتهم على الزندقة كان لحفظ هذه الضروريات: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، أما النسل فإن كان المقصود به حفظ النسل من حيث الوجود بتشريع النكاح والحث على الإنجاب ومنع الإجهاض وتحديد النسل؛ فإن الزندقة لم تقصد العبث به في الجملة، لكنها شرعت الإباحية في بعض صورها، وتناولت عرض بعض الصالحين من الصحابة ﷺ بالطعن والقذف، والحسبة على ما سبق لعله -والله أعلم- في تحقيق مقصد حفظ العرض أقرب وأوضح من حفظ النسل؛ لذلك جعلت الحديث في هذا الفصل عن الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالدين والنفس والعقل والعرض والمال.

المبحث الأول:

الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالدين

إن الغاية من كل ما خطط له الزنادقة وصنعوه هو العبث في دين الله الذي هو المقصد الأساس لكل ما أنزله ﷻ ورضيه دينًا لعباده؛: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣]، وسبب خيريتها على سائر الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، فأخذ الزنادقة يكيدون لهذه الأمة في أعز ما تملك؛ فقصدوا هدم بنيان العقيدة وتدمير الشريعة، ثم بعد ذلك الإطاحة بالخلافة الإسلامية ذات الطابع الديني، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تحقيق هذه الغاية(١)، "وعلموا أن تحقيق هذه الغاية لن يكون بالإفصاح عنها والتصريح عن حقيقة مقصدهم، فاندسوا بين صفوف المسلمين، وأظهروا الإسلام، ولم تنشرح صدروهم له، وقد كان بعضهم ذوي مكانة في مجتمعاتهم قبل الفتح الإسلامي لبلدانهم، وبسقوط إمبراطورياتهم ومملكتهم أضحوا نسيًا منسيًّا، فدفع بهم الحقد الدفين في نفوسهم إلى الكيد للإسلام والمسلمين"(٢)، فأخذوا يقدحون ويشككون في الوحي الذي فيه الهدى وبه فلاح المسلمين وعزهم، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «**يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»(٣).

وقال العرباض بن سارية رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا

---

(١) ينظر: الزنادقة فرقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ١/١٤٤-١٤٥.

(٢) الوضع في الحديث، د. عمر بن حسن فلاته، د.ط (دمشق: مكتبة الغزالي، ١٤٠١هـ)، ١/٢٢٠.

(٣) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٨٧٤)، ٥/٣٢٧. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن الترمذي، ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ)، رقم الحديث (٣٧٨٦)، ٣/٥٤٢.

موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(١).

وتفننوا في طرق القدح والتشكيك في الوحي، فكانوا يدعون تعارض نصوص الوحي، واشتماله ما يعارض المعقول، ويدسون الأباطيل الكاذبة في حديث رسول الله ﷺ تارة، ويذكرون تأويلات فاسدة في تفسير بعض نصوص الوحي تارة أخرى، وغيرها من الطرق التي أرادوا أن يصلوا من خلالها إلى تشويه الدين الإسلامي في نفوس العامة والرعاع من الناس، ليبقى من يصغي لهم حائرًا مترددًا لا يطمئن إلى عقيدة، ولا يسلِّم بشريعة، وبذلك يسهل إدخاله في الزندقة(٢)، قال ابن حبان رحمه الله عن عمل الزنادقة في الدين: "كانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم، ويضعون الحديث على العلماء، ويروون عنهم ليوقعوا الشك والريب في قلوبهم يَضِلون ويُضِلون، فيسمع الثقات منهم ما يروون ويؤدونها إلى من بعدهم حتى تداولوها فيما بينهم"(٣).

جاء في الرد على الزنادقة للدارمي رحمه الله: حدثنا الزهراني أبو الربيع قال: كان من هؤلاء الجهمية رجل يُظهر الترفُّض وانتحال حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه: قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفُّض وانتحال حب علي؟ قال: إذًا أصدُقُك أنا، إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رُمينا بالكفر والزندقة، وقد وجدنا أقوامًا ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاؤوا، ويعتقدون ما شاؤوا، ويقولون ما شاؤوا، فنُسبوا إلى الترفض والتشيع، فلم نر لمذهبنا أمرًا ألطف من انتحال

---

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم الحديث (٤٦٠٧)، ص٩٤٢. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ١١٩/٣.

(٢) ينظر: الزنادقة فرقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ١٥١/١.

(٣) المجروحين من المحدثين، محمد بن حبان التميمي، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط١ (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)، ٥٨/١.

حب هذا الرجل، ثم نقول ما شئنا، ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة أحب إلينا من أن يقال: زنادقة كفار، وما عليٌّ عندنا أحسن حالًا من غيره ممن نقع بهم.

ثم قال الدارمي رحمه الله تعليقًا على الرواية: "وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم، أنهم يستترون بالتشيع يجعلونه تثبيتًا لكلامهم وخطبهم، وسلمًا وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة، ثم يبذرون بين ظهراني خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم، ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم، إن أهل العلم منهم لعلى يقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١).

وقال ابن الأثير رحمه الله: "فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل، والطعن عليه، فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب "الميزان" في نصرة الزندقة وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطنًا، وأن الله تبارك وتعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الأئمة والأبواب صلاةً ولا زكاةً ولا غير ذلك، ولا حرم عليهم شيئًا، وأباح لهم زواج الأمهات والأخوات، وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرق أصحابه في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة لكي يغروا الناس بذلك وهم على خلافه"(٢).

وكان مما شرعه الزنديق الحلاج في كتاب له أنه إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر، وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء(٣) وأفطر عليها، أغناه عن صوم رمضان، وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة، أغنته عن الصلاة بعد ذلك، وإذا تصدق في يوم واحد بجميع ما ملكه في ذلك اليوم، أغناه عن الزكاة، وإذا بنى بيتًا وصام أيامًا ثم طاف حوله عريانًا

---

(١) الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، قدم له وخرج أحاديثه: بدر البدر، ط١ (حولي: الدار السلفية، ١٤٠٥هـ)، ص١٧٩-١٨٠.

(٢) الكامل في التاريخ، مرجع السابق، ٦/١٢٥-١٢٦.

(٣) الهندباء: بقل زراعي حُول ومُحْوِل من الفصيلة المركبة، يطبخ ورقه أو يجعل سلطه. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ٢/٩٩٧.

مرارًا، أغناه عن الحج، وإذا صار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على شيء يسير من خبز الشعير والملح الجريش، أغناه ذلك عن العبادة باقي عمره(١).

وعندما جيء بالزنديق عبدالكريم بن أبي العوجاء إلى الخليفة المنصور وأيقن أنه سيضرب عنقه لزندقته قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحرم فيها الحلال، وأُحلّ فيها الحرام، والله لقد فطَّرتكم في يوم صومكم، وصوَّمتكم في يوم فطركم(٢).

والأحاديث التي وضعها كانت بأسانيد يغتر بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل، كلها ضلالات في التشبيه والتعطيل، وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة(٣).

وما سبق ما هو إلا بضع شواهد قليلة من كثير من أعمال الزنادقة الخبيثة التي سعوا بها طعنًا في الدين راجين تحريفه والظفر بهدمه، إلا أنهم بفضل الله ﷻ ثم بفضل الحسبة لم يظفروا بغايتهم ولم يطفئوا نور الله وبقي دين الله تامًّا محفوظًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٢]، وليتم الله نوره لم يترك دينه الخاتم في أيدي الخلق ليحفظوه، بل وعد بحفظه ووعده ﷻ ناجز لا محالة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩]، وجعل من أسباب حفظ دينه إقامة شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]، فإن أولى مقاصد ولاية الحسبة أن يكون الدين كله لله ﷻ، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وما شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لإصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا. والمحتسب يعتني بصيانة دين الله من

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/١١٢-١٢٠. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٤/٣١٣- ٣٥٤. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٨/١١٢.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤/٥٠٨. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٩٢. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥/٣٨-٣٩.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣٧.

التعطيل أو التبديل أو التحريف، ويهتم بكل ما يتعلق بالدين ويسعى لإحيائه وتمكينه(١)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [سورة الحج: ٤١].

ومن الشواهد الدالة على أن حفظ الدين هو أول وأهم أعمال المحتسب قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

فرسل الله عليهم السلام هم أول المحتسبين في أممهم وأعظمهم شأنًا وجهدًا، كانت مهمتهم الأولى حفظ الدين بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وعلى هذا سار كل مؤمن بهم قائم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاء في نموذج تقليد ولاية الحسبة الذي كتبه ابن الأثير رحمه الله التأكيد على جعل أول مهام المحتسب العناية بأمر عقائد الناس حيث كتب: "ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالهم، وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم عن حلالهم، فابدأ أولًا بالنظر في العقائد، واهد فيها إلى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد، وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا مواطن الحق فأقاموا، وقالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا، ومن عداهم شعب دانوا أديانًا، وعبدوا من الأهواء أوثانًا، واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانًا"(٢).

ودفع الله ﷻ ببعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في العصر العباسي من الخلفاء والأمراء والعلماء والمحتسبين يتتبعون زنادقة ذلك العصر ويفضحونهم أمام عامة الناس وخاصتهم، ويعملون على كف شرهم عن الأمة بحسب مالهم من قدرة وسلطان، حفاظًا على دين الله وقيامًا بحقه سبحانه، فمن المحتسبين من تصدر لبيان الحق أمرًا بالمعروف بالقلم واللسان وناهيًا عن منكراتهم فاضحًا لحقيقتهم، ورادًّا على شبهاتهم ومزاعمهم كما هو حال العلماء(٣)، ومنهم من كان

---

(١) ينظر: بحث تعزيز ثقافة الحسبة، مرجع سابق، ص٦.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير الكاتب، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط٢ (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت)، ٢/٣٧١.

(٣) ينظر المبحث الرابع من الفصل الثاني، ص ١٣١-١٥١.

يقصدهم بسلطان الخلافة لسجنهم أو قتلهم بحسب حالهم وثبوت ذلك عليهم كما هو حال الخلفاء والأمراء[1]، ومنهم من يتفقد أحوال المسلمين للتأكد من عدم اندساس الزنادقة بينهم وعبثهم بعقيدتهم وشريعتهم، ثم الاحتساب عليهم مع مراعاة مراتب الحسبة ودرجاتها التي تتوافق مع صلاحية المحتسب وحال المحتسب عليه والمحتسب فيه، فجاءت الحسبة على الزنادقة من أكثر من جهة وبأكثر من مرتبة ودرجة، فكانوا محاصرين بسياج الحسبة الذي منعهم من تحقيق غايتهم في هدم الدين وتعطيل تطبيقه في واقع حياة المجتمع المسلم، وكانوا في أغلب حالهم إلى الهلاك والقتل يصيرون هم وأتباعهم.

فبقي دين الله ﷻ محفوظًا، وشعائر الدين قائمة، ومجالس علماء أهل السنة والجماعة معقودة، وكتب العلم مبثوثة في البلاد، أما الزنادقة فكانوا إلى القتل يساقون هم وأتباعهم، وإن نجا بعضهم من سيف الشرع فمآلهم إلى سجين أو هارب متخفٍّ أو مطارد، وكم أتلف المحتسبون من كتبهم التي أريد بها نشر الباطل وإدخال الريب والشك في الدين على قلوب المسلمين، فمزق المحتسبون كتبهم وأحرقوها، وباءت أعمال الزنادقة إلى البوار والخسار، ولم يستطيعوا إطفاء نور الله ولا حتى إضعافه، وبقي التوحيد والسنة في دار الخلافة العباسية عقيدة وحكمًا يسودان في كل البلاد والأمصار، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر المبحث الأول والثاني من الفصل الثاني، ص ٩١-١٢٦.

المبحث الثاني:

الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالنفس

"أمر الله ﷻ بحفظ النفس، وجعل من أهم قواعد الشريعة حماية الدماء عن الاعتداء، وحياطته بالقصاص كفًّا وردعًا للظالمين والجائرين، وهذا من القواعد التي لا تخلو عنها الشرائع والأصول التي لا تختلف فيها الملل"(١)، فحرم الله قتل النفس بغير حق؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

وشرع الله ﷻ القصاص عقوبة وزجرًا عن التعدي على النفس بغير حق؛٢ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، وغلظ الله ﷻ في عقوبة قاتل النفس عمدًا في الدنيا والآخرة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣]، وعدَّ الله قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢]، وغيره من الأحكام التي شرعها الله حفظًا للنفس وصيانة لها، ودرء العدوان عليها.

في مقابل ذلك لم تكن للنفس حرمة عند الزنادقة، وهانت عليهم هوانًا عظيمًا؛ فامتدت أيديهم تعبث بأرواح المسلمين، بشتى الوسائل، أفرادًا وجماعات، دون مراعاة لحرمة النفس ولا حتى حرمة المكان أو الزمان، ومن شدة هوان النفس عند بعض الزنادقة هانت عليهم حتى نفوس

---

(١) أحكام القرآن، مرجع سابق، ٢/٨٨.

أتباعهم فأزهقت بلا وجه حق، ومن الشواهد: أن الزنديق الحسن بن الصباح عندما جاءه رسول ملكشاه يأمره بالكف عن قتل العلماء والأمراء فقال لرسول ملكشاه: الجواب ما ترى، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه: أريد أن أنفذكم إلى مولاكم في قضاء حاجة، فمن ينهض لها؟ فاشرأب كل واحد منهم لذلك، وظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأومأ إلى شاب منهم، فقال له: اقتل نفسك، فقتل نفسه، وقال لآخر: ارم نفسك من القلعة، فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال: أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفًا هذا حد طاعتهم لي، وهذا هو الجواب(١).

وإذا أوردنا شواهد تعدي الزنادقة على النفس فلن نجد أقبح ولا أشنع من قصدهم لحجاج بيت الله في بيت الله الحرام بالشهر الحرام يسفكون دمائهم ذكورًا وإناثًا، فالزنديق أبو طاهر الجنابي قتل زهاء ثلاثين ألفًا من الحجاج في سكك مكة، وقتل أميرها(٢)، وعاث في البلاد قتلًا وسبيًا(٣)، والزنديق زكرويه بن مهرويه قصد قوافل حجاج بيت الله بعد انتهائهم من مناسك الحج، وقتل منهم نحوًا من عشرين ألفًا، وكان النساء من أتباعه يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن كلمهن قتلنه(٤).

ومن شواهد تعديهم على النفس التي حرمها الله: أمر الزنديق صاحب الزنج أتباعه بضرب رقاب المسلمين بسيوفهم، وقيل إن عدد من قتلهم بلغ ألف ألف وخمسمائة ألف، وفي يوم واحد قتلوا بالبصرة ثلاثمائة ألف مسلم(٥)، وكان الزنديق الحسين بن أبي منصور العجلي يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، ويقول: من خالفكم فهو كافر مشرك، فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي(٦).

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧/٦٤.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦/٢٠٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٦/٢٠٤. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٣٠٤.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/ ١٣٣.

(٤) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٦٦٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٨٥.

(٥) ينظر: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٦) ينظر: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، مرجع سابق، ص٣٠٨.

وفي مواجهة هذا العدوان على الأنفس من قبل الزنادقة قام المحتسبون بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل بحسب ما عنده من قدرة وسلطة، كان أقدرهم وأوسعهم سلطة الخلفاء والأمراء، فأمروا بقتل الزنادقة الذين اعتدوا على الأنفس المعصومة وسيروا الجيوش لقتالهم وكف شرهم عن نفوس الناس، ومنهم من باشر بيده قتل بعض الزنادقة، ومن الشواهد:

تتبع الخليفة المهدي الزنادقة حتى قتل منهم من لا يحصي عدده إلا الله ﷻ(١).

وفي أيام الخليفة المعتمد على الله عظمت فتنة الزنديق صاحب الزنج وأتباعه حتى استطاعوا دخول البصرة وأعمالها، وقتلوا نفوسًا معصومة وسعوا في الأرض فسادًا، فأرسل الخليفة عسكره بقيادة أخيه الموفق لقتاله وأتباعه، فاستطاع بفضل الله أن يحرر المدن الرئيسة التي سيطر عليها الزنج، وأن يقتل الزنديق صاحب الزنج وأن يكف شره عن نفوس المسلمين(٢).

ولم تقتصر عناية المحتسبين على الزنادقة بمقصد حفظ النفس بحفظ أنفس المسلمين، بل كان مرعيًّا في التعامل مع المحتسب عليهم من الزنادقة كذلك؛ ففي الجملة لم تكن نفوس الزنادقة تزهق لمجرد الشبهة أو الوشاية، ولم يرفع السيف إلا قصاصًا لقتلهم نفسًا معصومة أو بناء على فتوى العلماء بحل دمهم لوجود البينة التي تثبت زندقتهم أو شهود عدول يشهدون على زندقتهم، ومن الشواهد على هذا:

"أمر الخليفة المتوكل رحمه الله بضرب زنديق من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، فضرب ضربًا شديدًا مبرحًا حتى مات، وذلك بعد أن شهد عليه سبعة عشر رجلًا عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم"(٣)، "وكان جلده بحضرة القاضي وأصحاب الشرط قيام، فقال: أيها القاضي، قتلتني، فقال له القاضي: قتلك الحق لقذفك زوجة رسول الله رضي الله عنها، وشتمك الخلفاء الراشدين المهديين"(٤).

---

(١) ينظر: نقض المنطق، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٥٨٢-٥٨٦. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/٣٧-٣٨. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٢٧٢.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١١/٢٨٣.

وعندما قبض الوزير ابن مقلة على الزنديق الشـــلمغاني الذي جاء بالطوام وادعى الألوهية، واســتغوى بعض كبار رجال الخليفة، أخذه إلى الخليفة الراضــي أكثر من مرة بحضــور الفقهاء والقضـــاة، وادعي عليه بما كان ذُكر عنه من الزندقة فأنكر ثم أقر بأشــياء منها، وفي آخر أيامه أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فضرب ثمانين سوطًا ثم ضربت عنقه(١).

وعقد مجلس فيه الأمراء والقضـــاة والفقهاء لمواجهة صـــاحب سمرقند الزنديق أحمد خان، فجحد أن يكون زنديقًا، فأقاموا عليه الشــهود بعظائم تثبت زندقته، فأفتى الفقهاء بقتله، فخنق حتى مات(٢).

"وقتل رجل باطني عند باب النوبي، كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاهما إلى مذهبه، فجعل يقول: أتقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ فقال ابن عقيل: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر: ٨٤-٨٥]"(٣).

وحضر القاضي أبو عمر وبعض الفقهاء إلى مجلس الوزير حامد بن العباس، وجيء بالزنديق الحلاج، وأُحضر له كتابه الذي يفضح زندقته، فقرئ عليه، ومما جاء فيه: إذا صار الإنسان إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على شيء يسير من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة باقي عمره(٤)، فقال القاضي أبو عمر للحلاج: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب "الإخلاص" للحسن البصري، فقال: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب "الإخلاص" للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا، فأقبل الوزير على القاضي أبي عمر قائلًا: قد قلت: يا حلال الدم، فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك، وكتب من حضر خطوطهم فيها، وأنفذها الوزير إلى الخليفة المقتدر

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٤٢/١٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٥١/١١.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١٧٥/٨. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٢/١٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٢٧/١٩-١٢٨.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٣٧/١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٩/١٧.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٠٥/١٣.

فجاء الأمر بقتله(١).

ومن شواهد حفظ النفس بإنقاذها إذا لم تثبت زندقتها أنه عندما رفع إلى السلطان محمد بأن الكيا أبا الحسن على بن محمد المدرس بالنظامية باطني، فقبض عليه، وتجرد في حقه أبو الفرج بن السيبي القاضي، وأخذ المحاضر، وكتب أبو الوفاء بن عقيل خطه له بصحة الدين، وشهد له بالفضل وخوطب من دار الخلافة في تخليصه فاستنقذ(٢).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٠/١١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٠٥/١٣.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٧٤/١٧. ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١/ ٣٤٦.

المبحث الثالث:

الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعقل

تعددت أسماء العقل، ولكل اسم دلالته، فسمي عقلًا لأنه يعقل صاحبه عن القبائح؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]، وسمي حِجرًا لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل له، ولا يليق؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ [سورة الفجر: ٥]، كما سمي "نهية" لأنه ينهى عما لا يحل، ولا ينبغي له(١)؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [سورة طه: ٥٤]، وله أسماء أخرى تدل على علو مكانة العقل وشرفه.

والعقل من أشرف هبات الله للإنسان، وجاء عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن تكريم بني آدم في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]: إنه بالعقل(٢)، فالعقل "هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله"(٣).

وجاءت الشريعة بما يعلي من قدر العقل؛ فأمر باتباع البرهان وعدم قبول أي دعوة بلا دليل صحيح؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة النمل: ٦٤].

وذم الهوى والجهل ونهى عن اتباعهما؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الشهير بالخازن، د.ط (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ٢٤١/٧.

(٢) ينظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد بن عبدالله النمر وآخرين، ط١ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ)، ١٠٨/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ١٩٠/١٠.

وجاءت نصوص الوحي حافلة بالحجج العقلية الدامغة على توحيد الله وصدق رسله وإثبات المعاد وغيرها من مسائل العقيدة، كما بينت الأحكام الشرعية والقدرية بما يدركه العقل ولا يستحيله، يقول ابن القيم رحمه الله: "الكتاب المنزَل والعقل المدرِك حجة الله على خلقه"(١).

وللإسلام موقف وسط من العقل؛ فلم يغلُ فيه كما فعل بعض الزنادقة الذين قدسوا العقل وجعلوه الأصل في علومهم وسبيل معرفة الحقائق والحاكم على الوحي، وأدى بهم ذلك إلى إنكار صفات الله ورد بعض الآيات والأحاديث بزعم تعارضها مع العقل؛ فسقطوا في هاوية تأليه العقل، وهذا لا يكون إلا من صاحب عقل سقيم لم يستنِر بنور الوحي، ومنهم من جفوا فيه فذموا العقل وعطلوه فسقطوا في هاوية الخرافات والدروشة وتأليه النفس كما هو مسلك زنادقة الصوفية والرافضة، قال ابن تيمية رحمه الله: "لما أعرض كثير من أرباب الكلام والحروف وأرباب العمل والصوت عن القرآن والإيمان، تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن. وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والوله وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يعلم صدقه، وكلا الطرفين مذموم، بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلًّا بذلك"(٢).

وجاء الإسلام بحفظ العقل بصيانته عن المفسدات المعنوية كالعقائد الفاسدة والأفكار الضارة، ووقايته من المفسدات المادية كالمسكرات(٣)، وكان هذا المقصد حاضرًا في أعمال الحسبة على كثير من الزنادقة الذين قصدوا ضعاف العقول والإيمان فلبسوا عليهم أمر دينهم، واستدرجوهم إلى هاوية الزندقة بالكذب على الله ورسوله، فأولوا الآيات وادعوا تعارضها مع

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٢ (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ)، ٢/٤٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٣/ ٣٣٨.

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، زيد بن محمد الرماني، ط١ (الرياض: دار الغيث للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ص٨٨.

بعضـــها أو مع العقل، قال ابن تيمية رحمه الله: "وآخرون من الزنادقة والملاحدة كذبوا أحاديث مخالفة لصـريح العقل ليهجنوا بها الإسـلام، ويجعلوها قادحة فيه"(١)، وقال ابن الأثير رحمه الله في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين: "فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضـع الأحاديث الكاذبة، وتشـكيك ضـعفة العقول في دينهم بأمور قد ضـبطها المحدثون، وأفسـدوا الصـحيح بالتأويل، والطعن عليه، فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسـد، وأبو شـاكر ميمون بن ديصـان صـاحب كتاب "الميزان" في نصـرة الزندقة وغيرهما"(٢)، كما استدرج الزنادقة بعض العامة ببعض المخاريق والخزعبلات التي يغتر بها ضعاف العقول، قـال ابن كثير رحمه الله عن الزنادقـة القرامطـة: "وهم فرقـة من الزنادقـة الملاحـدة أتبـاع الفلاسـفة من الفرس، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسـدون من جهة الرافضـــة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛ لأنهم أقل الناس عقولًا، ... ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسـخافة مما ينبغي لضـعيف العقل والدين أن ينزه نفسـه عنه إذا تصوره"(٣).

ووقف العلماء أمام هذا الغثاء محتسـبين بإلقاء دروس العلم ومناظرة دعاة الزندقة وألفوا وصنفوا الكتب في علوم الشريعة بيانًا للحق والمعروف وإنكارًا لمنكرات الزنادقة بالحجة والبرهان، واحتسـبوا على بعض المتأثرين بالزنـدقـة ممن اغتر بعقلـه وأعرض عن نور الوحي، وكـانوا في احتسـابهم يعمدون إلى مخاطبة عقولهم وإزالة غشـاوة الباطل والغرور عنها لتبصـر الحق وتؤوب إليه، من ذلك أنه لما بلغ ابن عقيل أن السـلطان جلال الدولة ملكشـاه قد مال إلى الباطنية واستمع لهم فأفسدوا عقيدته ودعوه إلى إنكار الصانع، كتب إليه:

أيُّها الملك، اعلم أن هؤلاء العوام والجهـال يطلبون الله من طريق الحواس، فـإذا فقـدوه جحدوه، وهذا لا يحسـن بأرباب العقول الصـحيحة، وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس ولم يجحدها العقل ولا يمكننا جحدها لقيام العقل على إثباتها، فإن قال لك أحد من هؤلاء: لا تثبت إلا ما ترى، فمن ههنا دخل الإلحاد على جُهّال العوام، الذين يسـتثقلون الأمر والنهي،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، مرجع سابق، ٩٢/٧.

(٢) الكامل في التاريخ، مرجع السابق، ١٢٥/٦-١٢٦.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥٢/١١-٥٣.

وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة، التي تنمى ولا تفسد، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة، كالطب والهندسة، فعلموا أن ذلك صادر عن أمر وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل، فإذا سألناهم: هل أدركتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا: لا، لكننا أدركناهما من طريق الاستدلال بما صدر عنهما من التأثيرات، قلنا: فما لكم جحدتم الإله، حيث فقدتموه حسًّا، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم، وإدارة الأفلاك، وإنبات الزرع، وتقليب الأزمنة، وكما أن لهذا الجسد عقلًا وروحًا بهما قوامه لا يحركهما الحس، لكن شهدت بهما أدلة العقل من حيث الآثار، كذلك الله سبحانه -وله المثل الأعلى- ثبت بالعقل؛ لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه، وإتقان أفعاله.

وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه. قال: فحكى لي أنه أعادهُ عليه فاستحسنه، وهش إليه، ولعن أولئك، وكشف إليه ما يقولون له[١].

وقام بعض الخلفاء والأمراء بحرق كتب الزنادقة تحقيقاً لمقاصد عدة منها حفظ عقول العامة مما فيها من الخرافات والأباطيل، فعندما اعتلى الخليفة المعتضد منصب ولاية العهد استحلف الوراقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل[٢]، ولما آلت الخلافة إليه أحرق بعض كتب الزندقة منها كتاب زندقة جمع صاحبه فيه زلات العلماء، فعرضه على القاضي إسماعيل بن إسحاق فنظر فيه ثم قال: مصنف هذا زنديق، فقال المعتضد: أمختلق؟ قال: لا، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بالكتاب فأحرق[٣]. وجاء أن السلطان محمود أحرق كتب الزندقة والفلسفة والاعتزال والنجوم[٤].

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ١/ ٣٣١.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٠٤/٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥٥/٦. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٤.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧٣/١١. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٩٦/١٥.

المبحث الرابع:

الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالعرض

يعدُّ حفظ العرض من مقاصد الشريعة، ورغم اختلاف العلماء في عده من مقاصد الشريعة الضرورية أو الحاجية أو التحسينية إلا أنه بأي اعتبار يعد من مقاصد الشريعة المهمة والذي جاءت نصوص الوحي بحفظه وبيان أحكامه، وحفظ العرض من المقاصد التي يهدف إليها المحتسبون على الزنادقة الذين تعرضوا للأعراض بالطعن والقذف، وقبل ذكر بعض صور حفظ العرض في أعمال المحتسبين على الزنادقة في العصر العباسي لابد من بيان المقصود بالعرض.

العِرض هو: "جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص ويثلب، وسواء كان في نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره، أو موضع المدح والذم منه، أو ما يفتخر به من حسب وشرف"(١).

"وحفظ العرض ضرورة لما فيه من صيانة شرف الفرد والأسرة والأمة، ولما في الاعتداء عليه من طعن في الدين والعدالة والنسب، ومن إشاعة الفاحشة"(٢)، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فُدي بالضرورة فهو بالضرورة أولى، وقد شرع بالجناية عليه بالقذف الحد، وهو أحق بالحفظ من غيره؛ فإن الإنسان قد يتجاوز عن من جنى على نفسه أو ماله، ولا يكاد أحد يتجاوز عن من جنى على عرضه"(٣).

ومن أدلة حرمة الأعراض قول النبي ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه**»(٤).

---

(١) القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٨٣٢.

(٢) الإسلام وضرورات الحياة، عبدالله قادري الأهدل، ط٢ (د.م: د.د،١٤١٠هـ)، ص٨٥.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، ط١ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٢هـ)، ص ٣٦٧.

(٤) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله،

ولا أدل على عظم شأن الأعراض وحرمتها من النص على حرمتها على لسان النبي ﷺ في أعظم أيام السنة، وفي جمع عظيم لم يجتمع مثله مع رسول الله ﷺ قبله ولا بعده، وأشهد الله ﷻ على البلاغ الذي منه تبليغ الأمة بحرمة الأعراض، حيث قام خطيبًا ﷺ في حجة الوداع في يوم النحر في أكبر جمع التف حول الرسول ﷺ، فقال ﷺ: «**يا أيها الناس أي يوم هذا؟**» قالوا: يوم حرام، قال ﷺ: «**فأي بلد هذا؟**» قالوا: بلد حرام، قال: «**فأي شهر هذا؟**» قالوا: شهر حرام، قال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**»، فأعادها مرارًا ثم رفع رأسه فقال: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**»(١)، وغلظ الشرع في أمر قذف المسلمة في عرضها فقال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٢).

وكان حال الزنادقة مع الأعراض على نقيض هذا؛ فبالأعراض عبثوا، وبحرمتها استهانوا، وهاجموا القيم الأخلاقية الإسلامية فزينوا مظاهر العشق والفجور، وحضوا الناس على ارتكاب المحرمات التي إذا انغمس فيها أبناء أي أمة أصابهم الانحلال ثم الفناء التام(٣).

وكان من قبح وشناعة عبثهم في الأعراض أن استحلوا زنى المحارم الذي حرمته الشرائع السماوية كلها، وتستقبحه العقول والنفوس السليمة، ولا يأتيه إلا مطموس الفطرة منكوس العقل، يصدق عليه قول الله ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٤].

ومن شواهد تعدي الزنادقة على الأعراض وعبثهم بها: أن الزنديق أبا شاكر ميمون بن

رقم الحديث (٢٥٦٤) ص١٣٤٣.

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث (١٧٣٩)، ٥٢٨/١.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾، رقم الحديث (٢٧٦٦)، ٢٩٥/٢.

(٣) ينظر: موقف الإمام أحمد من الزنادقة والجهمية، عيسى يوجاأر مصطفى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى، قسم العقيدة، عام ١٤٠٦هـ، ص٢٦٣.

ديصان أباح لأتباعه زواج الأمهات والأخوات، وزعم أن تحريم الزواج منهن قيود للعامة ساقطة عن الخاصة(١).

وعندما أُحضـرت زوجة سـليمان بن الحلاج الزنديق ذكرت أن الحلاج أراد أن يطأها وهي نائمة فانتبهت، فقال: قومي إلى الصلاة(٢).

وكان للزنديق يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب زوجة وبنت اسمها فاطمة أقرتا بالزندقة، وأقرت فاطمة أنها حامل من أبيها، فضرب على رأسهما بشيء يقال له الرعبوب، ففزعتا منه، فماتتا(٣).

وكان أقبح ما عمله الزنادقة في جرأتهم على الأعراض واستهتارهم بحرمتها، طعنهم في عرض خير الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ بقذفهم زوجته الطاهرة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسبهم للصحابة وباقي أمهات المؤمنين رضي الله عنهم، ومن فرق الزنادقة من جعلت سب أمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم من شعائرهم الدينية، كالرافضة وبعض فرق الباطنية، ومن شواهد تعدي بعض الزنادقة على الأعراض ما يلي:

الزنديق صاحب الزنج أقام في مدينة سماها "المختارة"، وجعل فيها منبرًا يصعد عليه ويسب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعثمان وعليًّا ومعاوية وطلحة والزبير رضي الله عنهم(٤).

والزنديق عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم شهد عليه سبعة عشر رجلًا عند قاضي الشرقية أنه يشتم أبا بكر وعمر ويقذف عائشة وحفصة رضي الله عنهم(٥).

والزنديق أبو العذافر محمد الشلمغاني صاحب فرقة العذافرة بلغ من أقبح ما فعله في عدوانه على حرمة الأعراض أنه جعل أتباعه يتناكحون بلا عقد، وأباح لهم الفروج، وزعم أن الحكمة أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم، وأنه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه، وحرم

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع السابق، ١٢٥/٦-١٢٦.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١٩/١١.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٩٥/٤-٥٩٦. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٧٤/٥.

(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٧٢/١٠.

صديقه وابنه، بعد أن يكون على مذهبه، وأنه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه، ومن امتنع من ذلك قلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأة؛ إذ كان مذهبهم التناسخ(١).

ومن تلاعب بعضهم بالأعراض أنه كان منهم من لا يقف عند ما شرعه الله في التعدد فيتجاوزه مستحلًّا ما حرمه الله، كالزنديق الخبيث رستم الديلمي، كان عنده نحو من خمسين امرأة حرة، ولدن له ثلاثة وثلاثين ولدًا، وكان يرى إباحة ذلك(٢).

وبالرغم من تعدد محاولات الزنادقة في الطعن والعبث بالأعراض إلا أن أهدافهم لم تتحقق بفضل الله الذي قيض لهذا الدين من يحمله ويبلغه ويدافع عنه، فتصدى المحتسبون كل حسب قدرته وما له من الصلاحيات الممنوحة من السلطان وبحسب مواقع مسؤوليتهم، تصدوا لمحاولات الزنادقة العبث في الأعراض قيامًا بواجب حفظ الأعراض، وإدراكًا منهم لمآلات الطعن في الأعراض؛ فما الطعن في الأعراض إلا معول هدم للدين في يد الزنادقة، فإن الطعن في عرض الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن هو طعن في حملة الدين للأمة بعد وفاة النبي ﷺ، وطعن في حجية السنة النبوية التي بلغوها، بل وفي القرآن الكريم الذي ما جمعه إلا الصحابة من صدور الصحابة رضي الله عنهم، فهب المحتسبون للذب عن الأعراض وبيان عظم منزلتها، والدفاع عن عرض الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم، وفيما يلي طرف من أعمال الحسبة على الزنادقة بما يحقق مقصد حفظ العرض:

كتب كثير من علماء العصر العباسي عن فضائل الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم في كتب مستقلة أو ضمن فصول بعض كتبهم منهم: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في كتابه "فضائل الصحابة رضي الله عنهم"، و "الرد على الرافضة" مبينًا العقيدة الصحيحة في الصحابة رضي الله عنهم، ومنكرًا على الرافضة وأشباههم من الطاعنين في عرض الصحابة المشككين في عدالتهم، مستشهدًا بالكتاب والسنة النبوية على ذلك، فاضحًا لحقيقة عقيدة الرافضة من كتبهم التي خطها علماؤهم علماء

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦-٢٤٢.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ١٩٥/١٥-١٩٦. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٣٥/٧. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٢٤/١٢.

السـوء. واللالكائي رحمه الله في كتابه "شـرح السـنة" الذي جعل من فصـول كتابه الحديث عن فضائل الصحابة رضي الله عنهم، ومن مصنفات الحديث ما جعل المحدثون من ضمن أقسامها كتابًا عن فضائل الصحابة رضي الله عنهم كما هو الحال في "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" رحمهما الله.

أما القاضـي أبو عمر المالكي فقام بمناظرة الزنديق الحلاج الذي حاول الزنى بزوجة ابنه، وفضـح حقيقة معتقده للناس، وأفتى بقتله لكف شـره عن العباد، وعد ابن كثير رحمه الله حكمه بقتل الحلاج أكبر صواب أحكامه(١).

وأمر الخليفة المتوكل رحمه الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، بعد أن شهد عليه سبعة عشر رجلًا عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فضرب ضربًا شديدًا مبرحًا، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات(٢)، وكان جلده بحضرة القاضي وأصحاب الشرط قيام، فقال: أيها القاضي، قتلتني، فقال له القاضي: قتلك الحق لقذفك زوجة رسول الله ﷺ، وشتمك الخلفاء الراشدين المهديين(٣).

وعندما ظهر دعاة الحاكم العبيدي وعبثهم بالأعراض باستحلالهم الفروج ونسبة أنفسهم لآل بيت النبي ﷺ، أمر القادر بعمل محضر يتضمن القدح في نسب العُبيدية، وأنهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، فشهدوا جميعًا أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار وأن جدهم لما صار إلى المغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وهو وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أدعياء، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن ذلك باطل وزور، وأنتم تعلمون أن أحدًا من الطَّالبين لم يتوقف عن إطلاق القول بأنهم أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في المحضر جمع من العلماء والقضاة(٤).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١/١٤٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٠/٢٧٢.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١١/٢٨٣.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/١٣٢.

المبحث الخامس:

الحسبة على منكرات الزنادقة المتعلقة بالمال

فطر الله بني آدم على حب المال؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة العاديات: ٨]، قال ابن كثير رحمه الله: "وهو المال"(١)، وجاءت الشريعة الإسلامية متوافقة مع هذا الحب الفطري، وملبية لحاجة الإنسان للمال في إطار من الوسطية لا حرمان فيه ولا عدوان، وجاءت نصوص الشريعة بأحكام تهذب هذا الحب الفطري وبما يحقق المصلحة للفرد والمجتمع، وبما يؤدي الغرض من المال الذي فيه قيام مصالحهم وانتظام أمور دنياهم، قال عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [سورة النساء: ٥]، و"إذا استقرينا أدلة الشريعة من القرآن الكريم والسنة الدالة على العناية بمال الأمة وثرواتها والمشيرة إلى أن به قوام أعمالها وقضاء نوائبها نجد من ذلك أدلة كثيرة، تفيدنا كثرتها يقينًا بأن للمال في نظر الشريعة حظًّا لا يستهان به، وما عد زكاة الأموال ثالثة لقواعد الإسلام وجعلها شعار المسلمين، وجعل انتفائها شعار المشركين في نحو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٥]، وقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة فصلت: ٧] إلا تنبيه على ما للمال من القيام بمصالح الأمة اكتسابًا وإنفاقًا"(٢).

وشرع من التشريعات والتوجيهات ما يشجع على اكتسابه وتحصيله، دون بقائه في يد قليل من الناس يحتكرونه ويستأثرون بمنافعه؛ فشرع الله البيع والشراء، وحث على العمل ليكسب الإنسان من عمل يده، وشرع الزكاة والإرث والكفارات وغيرها من الأحكام التي تفتح آفاقًا لكسب المال دون احتكاره من قبل فئة قليلة من الناس.

ولم يجعل الله عز وجل لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ)، ٤٦٧/٨.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، مرجع سابق، ص٤٥٠.

هم أمناء ونواب ووكلاء ليسوا ملاكًا[1]، كما قال النبي ﷺ: «**ما أعطيكم ولا أمنعكم؛ إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت**»[2].

وحرم أخذ أموال الناس بغير حق والاستيلاء عليها بغير مبرر، وجعل الاعتداء على مال الآخرين كالاعتداء على دمائهم وأعراضهم في الحرمة، ومن أشد أنواع الاعتداء على أموال الناس أخذها بالسرقة، وهي أخذ المال خفية من حرز مثله، وهذه اليد الخائنة التي امتدت إلى ما لا يحل لها وعبثت بالأمن وروعت المجتمع جزاؤها البتر؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة المائدة: ٣٨].

والسرقة أشد خطورة من اغتصاب المال مجاهرة؛ لأن المجاهرة يمكن مدافعتها وعمل الاحتياطات المانعة من شرها، أما السرقة فإنها مكر خفي، وغدر سيئ، يؤخذ بها الإنسان من مأمنه، وتدل على جرأة المجرم؛ حيث لم تمنع منه الحروز والحصون فكان جزاؤه بتر يده وتعطيلها عليه، ردعًا له وعظة لغيره، وبهذا يتوفر الأمن للمجتمع ويطمئن الناس على أموالهم في بيوتهم ومستودعاتهم، ويقضى على الجريمة.

ولم يكن للمال حرمة تحفظ عند الزنادقة، فكانوا أهل عدوان وتلاعب في الأموال، منهم من استحل أخذه غصبًا وسرقة، ومن رؤوس الزنادقة من كان يضع يده على بعض أملاك الآخرين غصبًا وعدوانًا، ويأخذ منهم أموالًا كثيرة فيوزعها على أتباعه رغبة في استمالتهم والحفاظ على ولائهم وانقيادهم له، وفيما يلي طرف من الشواهد على ذلك:

ظهر رجل بسواد نهاوند ادعى النبوة، وتبعه خلق وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها، وكان يهب جميع ما معه لمن يقصده، وكفى الله المسلمين شره بقتله بنهاوند[3].

واستولى الزنديق ابن عطاش على قلعة أصبهان، وأصبح يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ

---

(١) ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط١ (القاهرة: دار المنهاج، ١٤٢٣هـ)، ص٢٣.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾، رقم الحديث (٣١١٧)، ٢/٣٩٣.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢/١٤٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧/٩٥.

الأموال، وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الأذى حتى تعذر على الناس الانتفاع بأملاكهم(١).

وكان الزنديق زكرويه بن مهرويه القرمطي يرسل الدعاة والجيوش لإغواء الناس وإشاعة الفساد في الأرض قتلًا ونهبًا وسبيًا(٢)، وكان من زندقته قصده قوافل الحجاج وهم قافلون من مكة سنة أربع وتسعين ومئتين، وقتل منهم نحوًا من عشرين ألفًا، وأخذ أموالهم(٣).

وكان للمحتسبين أمام عبث الزنادقة بالأموال موقف صارم؛ قيامًا بواجب تغيير المنكر وإقامة للمعروف، فعملوا على كف أيدي الزنادقة عن سلب وغصب أموال الآخرين بلا حق، واكتسابه بالباطل، ورد ما استطاعوا إلى أصحابها، وفيما يلي بعض من شواهد أعمال الحسبة على الزنادقة العابثين بحرمة الأموال:

أخذ المهدي رحمه الله مالًا كثيرًا من الزنديق الحسين بن أبي المنصور العجلي زعيم فرقة المنصورية، الذي كانت قد جبيت إليه الأموال، وتابعه على رأيه ومذهبه الفاسد بشر كثير، فقتله المهدي وصلبه بعد أن أقر بزندقته(٤).

ولما بلغ الخليفة المكتفي ما فعله الزنديق زكرويه بالحجاج حيث أخذ أموالهم وقتلهم وهم قافلون من مكة، عظم ذلك عليه وجهز الجيوش وأمرهم بقتاله ومن معه، فحدثت مقتلة عظيمة بينهما انتهت بانتصار جيش الخلافة، واستطاع أحد الجند ضرب زكرويه على رأسه فبلغت الضربة دماغه، وأُخذ أسيرًا، وأُخذ جماعة من خواصه وأقربائه وكاتبه، وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات فسيرت جيفته والأسرى إلى بغداد، وحمل رأسه إلى خرسان لئلا ينقطع الحجاج(٥).

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٠١/٨.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٤٢/٥-٦٤٣. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١١٢/٦-١١٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨٤/١١-٨٥.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٦٦/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٤٩/١٣-٥٠. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨٥/١١.

(٤) ينظر: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، مرجع سابق، ص٣٠٨ -٣١٠.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٦٧/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٤/١٣-١٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨٥/١١.

وكان السلطان محمد قد عزم على التصدي للباطنية والقضاء عليهم، وسير الجيوش وحاصر كثيرًا من قلاعهم واضطرهم لتسليمها والإذعان لأمره، ثم توجه إلى حصار ابن عطاش الذي كان يرسل أتباعه ليقطعوا على الناس الطريق ويأخذوا أموالهم، فظهر منه الصبر والشجاعة على مواجهة ومحاصرة السلطان له إلا أن أحد أعيانهم غدر بابن عطاش فتجهز الجيش وهجم على القلعة ففتحها، وقتل أكثر من كان فيها من الباطنية، وأخذ ابن عطاش أسيرًا، فترك أسبوعًا ثم أمر به فشُهر به في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات بعد ان استمرت البلوى به اثني عشرة سنة(١).

وكان من صور حفظهم للمال منعهم من اكتساب المال عن طريق بيع الكتب التي تدعو إلى الزندقة؛ ففي عصر الخليفة المقتدر نودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع(٢).

وكان من أوائل أوامر المعتضد عندما اعتلى منصب ولاية العهد سنة تسع وسبعين ومئتين أنه استحلف الوراقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل(٣).

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٢/٨-٢٤٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٠٢/١٧.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٢/١١.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٠٤/٥. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥٥/٦. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٤.

الفصل الرابع:
درجات الحسبة على الزنادقة
في العصر العباسي

المبحث الأول: **درجة التعريف**.

المبحث الثاني: **درجة التوبيخ والزجر**.

المبحث الثالث: **درجة التشهير**.

المبحث الرابع: **درجة التغيير باليد**.

المبحث الخامس: **درجة الضرب**.

المبحث السادس: **درجة الحبس**.

المبحث السابع: **درجة القتل**.

إن كيفية الحسبة على المنكرات ليست على طريقة واحدة تطبق على جميع المحتسب عليهم، وفي كل ما يحتسب فيه، ومن جميع المحتسبين، بل هي بحسب حال المحتسب عليه، والمحتسب فيه، وصلاحيات المحتسبين، وهذه الطريقة اصطلح العلماء على تسميتها درجات الحسبة، وبدراسة آيات الكتاب العزيز وسنة الرسول ﷺ يتبين للدارس أنه لم يرد نص يجمع درجات الحسبة ويبين ترتيبها، ولا يعني هذا أن درجات الحسبة كانت بدعًا من المحتسبين؛ فهي مستنبطة من مجموع نصوص الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ، ومن النصوص الدالة على بعض درجات الحسبة قول الله ﷻ في الحسبة على أصحاب السبت بدرجة الوعظ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤]، والحسبة على طغيان فرعون بالتوبيخ والزجر في قول الله ﷻ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢]، والحسبة على الزاني غير المحصن تكون بالضرب والتشهير، قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٢].

ومن نصوص الحسبة بدرجة التعريف ما جاء في السنة النبوية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**»، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال ﷺ: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني**»(١)، ومن أمره ﷺ بتغيير المنكر باليد ما جاء عن أبي هياج الأسدي قال: بعثني علي رضي الله عنه قال لي: "أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا تمثالًا إلا طمسته"(٢).

والمصنفون في علم الحسبة ممن كتب في درجات الحسبة اتفقوا على أن للحسبة درجات لكنهم لم يتفقوا على ماهية تلك الدرجات ولا ترتيبها، إلا أنه بالجملة بينهم اتفاق على كثير

---

(١) سبق تخريجه ص: ٣١.

(٢) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر، رقم الحديث (٣٢١٨)، ص٦٨٧. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ٣٠٤/٢.

منها، وبدراسة ما عليه الزنادقة من المنكرات وأعمال الحسبة عليهم في العصر العباسي يتبين أن أبرز الدرجات التي استخدمت هي: التعريف، التوبيخ والزجر، التشهير، التغيير باليد، الضرب، الحبس، القتل. ومن الدرجات التي لم تستخدم مع الزنادقة درجة الوعظ التي تكون بالوعد والوعيد الذي جاء بهما القرآن والسنة، وبإيراد أخبار السلف الصالح، كل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، ولعل عدم استخدامها بسبب نوع المنكر؛ فالزندقة قبحها مغلظ، وهي مكفرة لمن اعتنقها، ولا يصح مع مرتكبها بعد التعريف إلا استخدام قوة اللسان بدرجة التوبيخ والتشهير أو قوة اليد بدرجة الضرب والقتل أو غيرها من درجات الحسبة التي ليس فيها لطف وشفقة، والزندقة في قبحها وخطورتها أشد من منكر الزنى التي نص الله على الحسبة عليها بالضرب بالسياط مائة جلدة دون رأفة؛٢: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٢]، فالزاني مسلم على منكر عظيم، والكل يستقبح فعله وينكره، وهو مع ذلك لا يخرج من الإسلام بفعله لهذا المنكر ولا يخلد في النار، أما الزنديق فكافر مدعٍّ للإسلام، خالد في النار، وهو بعدم الرأفة أولى؛ فضرره وشره لا ينال الأعراض وحده بل يمتد للدين والنفس والعقل والمال، وحق من شره بهذا القبح والاتساع أن لا يعامل برأفة وشفقة، وأن يستخدم معه من الدرجات ما يتناسب مع حاله وصلاحيات المحتسب. وفيما يلي بيان لأبرز الدرجات التي استخدمت في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي مع بيان من له الحق في استخدامها.

المبحث الأول:

درجة التعريف

تبدأ درجات الحسبة على الزنادقة بدرجة التعريف، وهي من الدرجات التي يصح أن يأخذ بها جميع المحتسبين كل بحسب ما عنده من علم، فيقوم بتعريف فاعل المنكر بأن ما يفعله مخالف لما جاءت به الشريعة، موضحًا له حكم الله في هذا الأمر إن كان جاهلًا، أما إذا كان يعرف الحكم فيذكره لعله ينتبه ويثوب إلى رشده(١).

ويؤخذ بهذه الدرجة أيضًا مع عامة المسلمين غير المتأثرين بالزندقة، وهو من باب الأمر بالمعروف، فيعرفون بالحق ليزدادوا استمساكًا بالدين وثباتًا عليه، والنهي عن المنكر بتعريفهم بمنكرات الزنادقة حتى يكونوا على علم بها، وفي حصن متين بالعلم الشرعي الذي يحفظهم من الزندقة وشرورها، فلا يتأثرون بما يلقيه الزنادقة من شبهات ويدّعونه من أباطيل وخزعبلات يزعمون أنها دلائل تثبت أنهم أصحاب دعوة الحق، ولا يغتر بهذه الأباطيل والخزعبلات إلا جاهل بدينه ضعيف في إيمانه.

ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة جاءت بما يعرف به الناس ربهم ودينهم ونبيهم، وهما حجة الله ﷻ على عباده، بهما يعرفون الحق فيتبعونه، ويعرفون الباطل فيجتنبونه.

وكان من هدي النبي ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجة التعريف بما يتناسب مع حال المحتسب عليه، ومن شواهد استخدام درجة التعريف ما جاء في قصة الرجل الذي بال في المسجد، جاء أن أنس بن مالك ﵁ قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷿ والصلاة وقراءة القرآن**»، أو كما

(١) ينظر: الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، د. علي بن حسن القرني، ط٢ (الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٢٧هـ)، ١/٢٥٥.

قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه"(١).

إن استخدام درجة التعريف في الحسبة على الزندقة يكون بالأمر بالمعروف الذي جاءت به الشريعة الإسلامية مع بيانه بالأدلة النقلية والعقلية وبخاصة ما تعلق بعقيدة التوحيد ولزوم العمل بالكتاب والسنة من غير ابتداع. ويكون بالنهي عن المنكرات التي يدعو إليها الزنادقة، بإقامة الدليل الصحيح على أنها منكرات وابتداع في الدين، وبالرد على مزاعم الزنادقة بالحجة الواضحة. وفي استخدام هذه الدرجة تدرج في حماية المجتمع المسلم من الزندقة، وطلب لهداية المتأثر بالزندقة ورجاء توبته بما يقيمه المحتسب من براهين على صحة عقيدة السلف الصالح وفساد الزندقة وشرها.

ورغم قبح وشناعة الزندقة إلا أنه يبدأ باستخدام هذه الدرجة مع العامة المتأثرين بالزندقة تقليدًا وجهلًا، وليس مع رؤوس الزنادقة ودعاتها؛ "فإن المنكر قد يُقدم عليه المُقدم بجهله، وإذا عرف أنه منكر تركه"(٢)؛ فإن بعض المتأثرين بالزندقة من أهل السواد وضعاف العقول ممن غرر بهم الزنادقة ببعض تأويلاتهم الباطلة لآيات الكتاب العزيز وذكر أحاديث مكذوبة، ومنهم من غرر بهم ببعض المخاريق والشعوذة، وربما أغروهم بمال كثير يضعونه بين أيديهم، قال ابن الأثير رحمه الله: فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم، ... وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة، وتفرقوا في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة لكي يغروا الناس بذلك وهم على خلافه(٣).

ومن شواهد تغرير الزنادقة بضعاف العقول وصغار السن استغواء الزنديق صاحب الزنج لعبيد الناس وأوباشهم بحيله وشعوذته حتى كثروا(٤)، وجاء في ترجمته عند الحافظ ابن حجر

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، رقم الحديث (٢٨٥)، ص١٦٠.

(٢) إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ١٤٦٦/٢.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع السابق، ١٢٥/٦-١٢٦.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/ ١٣٢.

رحمه الله: "عبدالكريم بن أبي العوجاء زنديق، كان يفسد الأحداث"[1]، ومن كبار الزنادقة الحسن بن الصَّبَّاحِ الذي كان لا يدعو لزندقته إلا غبيًّا لا يفرق بين شماله ويمينه، ومن لا يعرف أمور الدنيا، ويطعمه الجوز والعسل والشونيز، حتى يتبسط دماغه، ثم يذكر له حينئذ كذبًا وبهتانًا ما تم على أهل بيت المصطفى من الظلم والعدوان، حتى يستقر ذلك في نفسه، ثم يقول له: إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في القتال مع بني أمية، فما سبب تخلفك بنفسك في نصرة إمامك؟ فيتركه بهذه المقالة طعمة للسباع[2].

ولذلك كان المحتسبون يعملون على الأمر بالمعروف ببيان الإيمان وأصوله والإسلام وأركانه، بما يتحقق به إسلامهم ويبرؤون من الزندقة والضلال رغبة عنه لا خوفًا من يد السلطان والمحتسبين.

ومن شواهد الحسبة بدرجة التعريف على الزنادقة في العصر العباسي ما جاء بأنه قيل عن المستنجد أو غيره من الخلفاء أنه كان في سفر فلحقه ابنه، فرآه وهو على حالة شاقة، فقال له أبوه: ما بك؟

قال: إنني هلكت عطشًا، وكان الغلمان قد أبعدوا عني.

قال له أبوه: فما هذا الذي في فمك تلوكه؟

قال يزدن[3] دفع إليّ خاتمًا مكتوب عليه اسم الأئمة الاثني عشر، زعم أنه يقطع العطش.

فقال له أبوه: ارم به، يريد يزدن يجعلك رافضيًّا، يا بني، سيد هؤلاء الأئمة الاثني عشر هو الحسين وقد مات من شدة العطش[4].

وفي أيام وزارة الوزير السلجوقي نظام الملك رحمه الله نشطت الدعوة الإسماعيلية، وكسبت أعدادًا كبيرة من عامة الناس، فقام محتسبًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واستخدم العديد من

(١) لسان الميزان، مرجع سابق، ٢/٢٤٢.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٧/٦٤.

(٣) يزدن التركي من أمراء الدولة ببغداد، وكان شيعيًّا غاليًا متعصبًا ينشر الرفض، وتأذى به أهل السنة، توفي سنة ثمان وستين وخمسمائة. ينظر: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٢٨/٥٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٢٨/٥٢.

درجات الحسبة أداة في مواجهة زندقة الإسماعيلية، وكان من أهمها وأرسخها أثرًا درجة التعريف؛ حيث بنى عددًا من دور العلم والتعليم من أجل نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة لتحصين الناس من دعوات الإسماعيلية، وتبصير المتأثرين بها بحقيقتها، فأنشأ المدارس النظامية في العديد من المدن منها: بغداد والموصل والبصرة وأصفهان ونيسابور ومرو وبلخ وهراة وغيرها من المدن(١)، وأوقف عليها الوقوف، وابتاع كتب أهل السنة والجماعة فكانت سوق العلم في أيامه قائمة(٢).

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ١٤/١٤٥.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٦/٣٠٦.

المبحث الثاني:

درجة التوبيخ والزجر

التَّوبيخ هو: "الملامةُ"(١)، "يقال: وبخت فلانًا بسوء فعله توبيخًا: إذا أنبته تأنيبًا"(٢)، وقيل هو "التقريع بالذنب"(٣)، "والتهديد"(٤).

والزجر هو: "المنع والنهي والانتهار، زجرت فلانًا عن السوء فانزجر، وهو كالردع للإنسان"(٥)، "والزجر يوقف المزجور، أي يقطعه عما يقول أو يفعل"(٦)، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام للمشركين من قومه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٧]، وفي السنة ما جاء عن المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله فقلنا: يا أبا ذر، لو جمعت بينهما كانت حلة فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية**»، قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال ﷺ: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»(٧)، فهذا هو الرسول ﷺ يحتسب على أبي ذر بتوبيخه، ليغلظ في نفسه رضي الله عنه قبح

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ٣٤٣/٤.

(٢) تهذيب اللغة، مرجع السابق، ٢٤٦/٧.

(٣) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١٠١٨/٢.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، ٤٣٤/١.

(٥) لسان العرب، مرجع سابق، ٣١٨/٤.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، ٢٢٧٢/٤.

(٧) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث (١٦٦١)، ص٨٧٦.

التعيير بالأمهات، ولا يخفى على ذي بصيرة أن قبح الزندقة أغلظ منها بكثير.

"إن الحسبة بالزجر والتأنيب والإغلاظ بالقول والتقريع باللسان والشدة في التهديد وهجن الخطاب في الإنكار، تكون لكل المحتسبين، يأخذون بها مع من لا ينفع معه تعريف، ولا ينجع في شأنه تحذير برفق، فردعه إنما يكون بالتخويف الصارف له والمرهب القامع لأمثاله كقوله: لئن لم تنته لأقعن بك كذا، وما أشبه هذا من التقريع والوعيد الذي هو أهله، ولا ينبغي أن يتعدى إلى السب الفاحش والذم الذي ليس من صفة ذلك المخاطب، فإن فعل ذلك في غير محله ومع من ليس من أهله فهو منكر يجب الاحتساب فيه عليه"(١).

وعند استخدام التوبيخ والزجر في الحسبة على الزنادقة يجب مراعاة ثلاثة ضوابط(٢):

١/ أن ينطق بالصدق، فيخاطبه بما فيه، مما لا يعد من جملة الفحش والكذب كقوله: يا زنديق، يا أفاك، ألا تخاف الله، وما يجري هذا المجرى.

٢/ لا يسترسل المحتسب في الزجر والتوبيخ فيطلق لسانه بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة.

٣/ أن يكون قصده القيام بالواجب الشرعي في الحسبة على الزنديق، ولا يقصد من تغليظ القول وتخشينه الانتصار لنفسه لكونه رد كلامه أو الاستهزاء به.

ومن شواهد استخدام هذه الدرجة في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي ما يلي:

عندما قام أحد الخطباء من زنادقة الرافضة بإلقاء خطبة جمعة غلا فيها بالإمام علي رضي الله عنه حيث وصفه بأنه: مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشري الإلهي، مكلم فتية أصحاب الكهف(٣)، فقبض الخليفة القادر بالله رحمه الله على الخطيب وحبسه في دار الخلافة، وأرسل إلى المسجد خطيبًا سنيًّا، فخطب فيهم خطبة ختمها بقوله: اللهم اغفر للمسلمين، ومن زعم أن

---

(١) تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، محمد بن أحمد التلمساني، تحقيق: علي الشنوفي، د.ط (دمشق: المعهد الثقافي الفرنسي، ١٩٦٧م)، ص١٢.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ١٤٦٨/٢-١٤٦٩. الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٩٩/١٥.

عليًّا مولاه، فرماه عامة الشيعة بالآجر، ودموا وجهه، فغاظ ذلك الخليفة القادر وأمر باستدعاء الشريفين أبي القاسم المرتضى وأبي الحسن الزينبي، والقاضي أبي صالح، وأمر بمكاتبة الحضرة الملكية والوزير أبي علي ابن ماكولا والأصبهلارية، بكتاب شديد اللهجة يتوعد فيها زنادقة الرافضة، وكان مما كتبه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، إذا بلغ الأمر أطال الله بقاء صاحب الجيش إلى الجرأة على الدين وسياسة الدولة والمملكة، ثبتها الله من الرعاع والأوباش، فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية، وبغير شك أنه قد بلغه ما جرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة، ومن قد تبرأ الله منه فصار أشبه شيء بمسجد الضرار، وذلك أن خطيبًا كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب ﷺ ما لو كان حيًا.... وبقي التضافر على اقتناصهم وأخذ البريء بالسقيم، وإباحة الدماء الواجب سفحها، وكسر الأيدي والأرجل التي تجب إبانتها عن أجسادها، والشد على أيدي أصحاب المعونة فيما يقصدونه من ذلك، والعمل على ركوب الجم الغفير وجمهور كبراء العسكر أدام الله عزهم في يوم الجمعة الآتية ليكون الخطيب أيده الله في صحبتهم، ويجري الأمر في الخطبة الإسلامية على تقويمها، ورغم من رغم، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية تظهر وتعم، فإن هؤلاء الشيع قد درسوا الإسلام، وقد بقيت منه بقية، وإن لم يدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام وإلا هدم وذهبت هذه البقية"(١).

وقد انتهى هذا الموقف بين القادر والشيعة بتوجه فريق من زعماء الشيعة على رأسهم الشريف المرتضى إلى دار الخلافة، فاعتذروا للخليفة، وأحالوا ما جرى للخطيب السني على سفهاء الأحداث، وطلبوا إقامة خطيب لهم عملت له نسخة يعتمدها فيما يخطب، ويتجنب ما يحفظ الشيعة(٢).

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٥/١٩٨-١٩٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١٥/٢٠١.

المبحث الثالث:

درجة التشهير

التشـهير في اللغة من باب شـهر الدالِّ على وضـوح الأمر وظهوره، وهو ظهور الشـيء في شُنعة حتى يشهَره الناس، يقال: شهر بفلان: إذا أذاع عنه السوء، والشهرة: الفضيحة(١).

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي؛ فقد جاء في تعريف التشهير أنه: "إشاعة السوء عن إنسان بين الناس"(٢).

والتشهير من الدرجات التي جاءت نصوص من الوحي دالة على استخدامها في بعض المنكرات؛ فجاء الأمر بالتشهير بالزناة في قول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٢]، وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال البيضاوي رحمه الله: "زيادة في التنكيل، فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب، والطائفة: فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطرف، وأقلها ثلاثة، وقيل واحد أو اثنان، والمراد جمع يحصل به التشهير"(٣)، وفي السنة النبوية ثبت استخدام الرسول ﷺ لدرجة التشهير؛ حيث جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يصعد الثنية ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل**»، قال فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر**»، فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم(٤).

في هذا الحديث تشهير بصاحب الجمل الأحمر الذي قال بعض شراح الحديث إنه الجد بن

---

(١) ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ٤٣١/٤، مادة شهر. النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ص٤٩٨.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وآخرون، ط١ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٨هـ)، ص١٣٢.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٩٨/٤.

(٤) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم الحديث (٢٧٨٠)، ص١٤٥٢.

قيس المنافق(1)، وقيل: عبد الله بن أبي رئيس المنافقين(2).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «**ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا، قد احتبس أدراعه واعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة ومثلها معها**»(3).

وفي التشهير تنكيل بالزنديق وفضح لحقيقة عقيدته الباطلة وفكره الخبيث، وحفظ للدين من عبثه وشكوكه، وحماية للمسلمين من الاغترار بما يظهره من التدين بالإسلام مع فساد عقيدته باطنًا وخبث عمله، وهذه الدرجة ليست كالتعريف والتوبيخ تكون بين المحتسب والمحتسب عليه، بل يتعداهما الأمر لعامة المجتمع؛ فيشهر بالمحتسب عليه بين أفراد المجتمع؛ لذا لا ينبغي أن يقدم عليها المحتسب المتطوع ممن لا سلطة له على الزنديق خشية أن يكون فيها تعجل في الحكم على الزنديق ووجود شبهة تدفع عنه هذا الوصف الذي ربما سبب اضطرابًا ونزاعات بين أفراد المجتمع إذا لم تثبت عليه الزندقة، فلا يقدم على التشهير بالزنديق إلا الخلفاء والعلماء ومن ولاه الخليفة ولاية فيها سلطة تمنحه حق التشهير بالزنادقة كالأمراء وقادة الجيش والمحتسبين الرسميين، وهذا ما كان عليه الحال في الدولة العباسية.

وغالبًا تستخدم درجة الحسبة بالتشهير مع درجات أخرى كالتغيير باليد بإتلاف كتبهم، ودرجة القتل ودرجة الضرب وغيرها؛ وذلك زيادة في التنكيل بالزنديق، وليكون أنفع وآكد في تحذير العامة منها وحماية للمجتمع من شرورها. كما أن التشهير إذا كان مدونًا في الكتب فإن أثره لا ينقطع ما بقي الكتاب، ففيه تبصير للأمة بمقاصد الزنادقة وحقيقة مرادهم من إثارة الشبهات وكذبهم على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، وحصانة للأفراد والمجتمعات من كل صور الزندقة التي قد تتغير بتغير الزمان والمكان إلا أن لبها لا يختلف ومقصدها واحد وهو محاربة دين

---

(1) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ١٧/١٢٧.

(2) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد الهروي القاري، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ)، ٩/٤٠١٦.

(3) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وفي الرقاب وفي سبيل الله﴾، رقم الحديث (١٤٦٨)، ١/٤٥٥.

الله، ولهذا يعدُّ التشهير من درجات الحسبة الممتدة النفع بعكس غيرها من الدرجات التي ربما انقطع أثرها بموت من عاصرها.

وجاء في نموذج تقليد ولاية الحسبة الذي كتبه ابن الأثير رحمه الله بيان بعض صور التشهير بالزنادقة؛ حيث كتب: "فمن انتهى من هؤلاء إلى فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولًا، ولا تقبل منه صرفًا ولا عدلًا، وليكن قتله على رؤوس الأشهاد، ما بين حاضر وباد، فما تكدّرت الشرائع بمثل مقالته، ولا تدنست علومها بمثل أثر جهالته، والمنتمي إليها يعرف بنكره، ويستدل عليه بظلمة كفره، وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالأبصار، وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الأنوار، وما تجده من كتبها التي هي سموم ناقعة، لا علوم نافعة، وأفاعٍ ملففة، لا أقوال مؤلفة؛ فاستأصل شافتها بالتمزيق، وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق، ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها، والكشف عن مكامن أسرارها، فمن وجدت في بيته فليؤخذ جهارًا، ولينكل به إشهارًا، وليقل: هذا جزاء من استكبر استكبارًا، ولم يرج لله وقاراً"(١).

وفيما يلي بعض شواهد استخدام التشهير في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي:

جاءت آثار عن بعض المحتسبين من العلماء في العصر العباسي تدل بالمنطوق أو المفهوم على استخدامهم التشهير في الحسبة على الزنادقة ومن شابههم من أرباب الكلام، من ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا يفلح صاحب كلام أبدًا، علماء الكلام زنادقة"(٢).

وكتب الدارمي في تشهيره بالزنديق الجهمي المريسي: "فمن أجل ذلك كرهنا الخوض فيه، وإذاعة نقائصه حتى أذاعها المعارض فيكم، وبثها بين أظهركم، فخشينا ألا يسعنا إلا الإنكار على من بثها، ودعا الناس إليها، منافحة عن الله، وتثبيتًا لصفاته العلى ولأسمائه الحسنى، ودعا إلى الطريقة المثلى، ومحاماة عن ضعفاء الناس وأهل الغفلة من النساء والصبيان أن يضلوا بها، ويفتنوا؛ إذ بثها فيهم رجل كان يشير إليه بعضهم بشيء من فقه وبصر ولا يفطنون لعثراته إن

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ٢/٣٧١-٣٧٢.

(٢) تلبيس إبليس، مرجع سابق، ص٧٥.

هو غش، فيكونوا من أخواتها منه على حذر"[1].

وجاء في كتاب "الموضوعات" لابن الجوزي: ولقد أدخل جماعة من الزنادقة في أحاديث الصفات أشياء يقصدون بها عيب الإسلام وإدخال الشك في قلوب المؤمنين، قال أبو حاتم بن حبان: كان أيوب بن عبد السلام زنديقًا يروي عن أبي بكرة عن ابن مسعود أن الله إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته، وكان هذا الرجل كذابًا، ولا يحل ذكر مثل هذا الحديث ولا كتابته إلا في مثل هذا المكان لبيان الطعن في رواته، وما أراه إلا دهريًّا يوقع الشك في قلوب المسلمين بمثل هذا الموضوعات[2].

وكان علماء الجرح والتعديل في العصر العباسي يشهرون بالزنادقة الذين سعوا في دس الأحاديث الموضوعة بين المسلمين، فكانوا يفضحونهم ويصفونهم بما يستحقون من سيئ الأوصاف جزاء جرأتهم على الكذب على رسول الله ﷺ وسعيهم في نشر زندقتهم، ومن طالع كتب الرجال كـ "التهذيب" و"ميزان الاعتدال" وغيرها يقف على كثير من أقوال العلماء في العصر العباسي تحذر من بعض الزنادقة الوضاعين بأسمائهم وتصفهم بما يستحقونه من أوصاف جزاء زندقتهم من ذلك:

أقوال العلماء في يوسف بن عمير السمتي؛ حيث قال الإمام يحيى بن معين عنه: كذاب، خبيث، عدو الله تعالى، رجل سوء، رأيته بالبصرة لا يحدث عن أحد فيه خير.

ونقل الدوري عن ابن معين قوله فيه: كذاب، زنديق، لا يكتب حديثه، وقال أبو حاتم الرازي: أنكرت قول ابن معين فيه زنديق حتى حمل إلي كتاب قد وضعه في التجهم ينكر فيه الميزان والقيامة فعلمت أن ابن معين لا يتكلم إلا عن بصيرة وفهم[3].

ومن شواهد استخدام الخلفاء العباسيين درجة التشهير في الحسبة على الزنادقة ما يلي:

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد، تحقيق: د. رشيد بن حسن الألمعي، ط١ (الرياض: الرشد للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ)، ١/١٤٥.

(٢) ينظر: الموضوعات، عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط١ (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ)، ١/١٢٦.

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط١ (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ)، ١١/٤١١.

قيام الخليفة العباسي القادر بالله بعمل محضر يتضمن القدح في نسب العُبيدية، وأنهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، فشهدوا جميعًا أن الناجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار، وأن جدهم لما صار إلى المغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وجاء في المحضر: أن الناجم وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أدعياء، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ﵁ وأن ذلك باطل وزور، وأنتم تعلمون أن أحدًا من الطَّالبين لم يتوقف عن إطلاق القول بأنهم أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في المحضر جمع من العلماء والقضاة منهم: الشريف الرضي والشريف المرتضى، والقاضي أو محمد بن الأكفاني، والشيخ أبو حامد الإسفراييني(١).

وفي عصر الخليفة المقتدر ﵀ شهر بالحلاج قبل قتله؛ حيث أركب على جمل وقدموا به إلى بغداد مشهرين به بقولهم: هذا داعي القرامطة! ثم حبسوه مدة، وانتهت حياته مقتولًا بعد أن اتفق العلماء على وجوب قتله(٢).

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣٢/١٥.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٤٨٠/٣-٤٨١.

المبحث الرابع:

درجة التغيير باليد

يعدُّ التغيير باليد أولى مراتب الحسبة التي أمر بها النبي ﷺ في قوله: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، فله الأولوية في الإنكار لمن بيده سلطة وعنده قدرة يستطيع بهما تغيير المنكر.

وجاء في بيان المراد من تغيير المنكر باليد قول ابن العربي ﵀: "يعني أن يحول بين المنكر ومتعاطيه بنزعه عنه، وبجذبه منه"(٢).

وقال طامي البقمي: "التغيير باليد أي مباشرة التغيير بالفعل والسلطة والقهر، مستعملًا القدر الذي تحتاجه الحالة من حيث نوع المنكر، وهل يتعلق بحق الله ﷻ أو بحق من حقوق العباد، وما يحتاجه من قدر للإزالة أو الزجر"(٣).

وقال التلمساني ﵀ في بيانه المقصود بالتغيير باليد: "بإزالة ذلك المنكر وإذهاب وجوده، وذلك فيمن كان حاملًا الخمر أو لابسًا ثوب حرير أو خاتم ذهب أو ماسكًا لمال مغصوب وعينه قائمة بيده وربه متظلم من بقاء ذلك بيده، طالب رفع المنكر في بقائه تحت حوزه وتصرفه، فأمثال هذا لابد فيه مع الزجر والإغلاظ من المباشرة للإزالة باليد أو ما يقوم مقام اليد كأمر الأعوان الممتثلين أمر المغير في إزالتهم له بوازع الطاعة وأعمال المسارعة، فيريقون الخمر وينزعون ثوب الحرير وخاتم الذهب، ويختطفون المغصوب من يد الغاصب ويردونه لمالكه"(٤)، وما عده ليس من باب الحصر، فالتغيير باليد يدخل فيه تكسير الأصنام وتمزيق الصور أو

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث (٤٩)، ص٥٠.

(٢) أحكام القرآن، مرجع سابق، ١/٣٨٣.

(٣) التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية (من عام ١٣٥١-١٤٠٨هـ)، د. طامي بن هديف البقمي، ط١ (الرياض: د.د، ١٤١٥هـ)، ص٣١.

(٤) تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، مرجع سابق، ص١٢.

طمسها وإتلاف الكتب المضللة ونحو ذلك[1].

وفي القرآن الكريم صور من تغيير المنكر باليد تدل على مشروعيته في الحسبة، منها ما جاء في حرق موسى عليه السلام لصنم على هيئة العجل صنعه السامري وعبده بعض بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾ [سورة طه: ٩٧].

ومن صور تغيير المنكر باليد التي قام بها النبي ﷺ ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [سورة الإسراء: ٨١]، ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سورة سبأ: ٤٩][2]وعن عمران بن حطان رحمه الله "أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه"[3].

وعند الحديث عن درجة تغيير منكرات الزنادقة باليد لابد من بيان أن الجهة التي تقع عليها ليست واحدة، فهي على قسمين:

١/ ما يقع على المحتسب فيه، فإذا كان محسوسًا باليد كأزقة الخمر والتصاوير وكتب الضلال، فهذه وأمثالها من المنكرات القابلة للتغيير باليد يمد المحتسب صاحب السلطة يده عليها لتغييرها بما يزيل عنها وصف المنكر، كتمزيق التصاوير المحرمة بما يزيل عنها وصف التصاوير المحرمة، أو يتلفها كلها إن كان زوال المنكر لا يزول إلا بإتلافها كلها كأزقة الخمر وكتب الضلال.

٢/ تغيير باليد يقع على المحتسب عليه، وهو الزنديق، وهذا التغيير يكون بحسب ما يراه السلطان وأفتى به الفقهاء، فمن الزنادقة من يقع التغيير باليد عليه قتلًا بالسيف، وبعضهم

---

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط٢ (الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ)، ٥١١/١.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب التفسير، باب ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ يزهق يهلك، رقم الحديث (٤٧٢٠)، ٢٥٢/٣.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب اللباس، باب نقض الصور، رقم الحديث (٥٩٥٢)، ٨١/٤.

يضـــرب إلى أن يموت، وآخرون يقع عليهم بحبســـهم، وبعضـــهم يجمع في الحســـبة عليه الحبس والضرب والقتل.

والمحتسبون في العصر العباسي كانوا يأخذون بهذه المرتبة كثيرًا في الحسبة على الزنادقة بحسب ما لهم من سلطة وقدرة، وكان لها الأولوية في مواجهة الزندقة والقضاء عليها؛ فالزندقة كفر ومحاولة تغيير الدين الإسلامي وتشكيك المسلمين فيه، ومواجهة هذا الكفر والتشكيك بقوة اليد واجبة على من ولاه الله شيئًا من أمر المسلمين، وهي الأنفع في قطع شر الزندقة وكف فسادهم عن المجتمع المسلم.

وفي هذا المبحث سـيكون الحديث عن التغيير باليد الذي يقع على المحتسـب فيه، أما باقي صــور التغيير باليد والتي تقع على المحتســب عليه (الزنادقة) فســيخصــص لها مباحث مســتقلة لإعطائها حقها من البيان وذكر الشواهد.

وفي بداية الكتابة عن أعمال الحســـبة على الزندقة باليد التي توجه للمحتســـب فيه ينبغي التنبيه على نقطتين:

١/ أن التغيير باليد الواقع على المحتسب عليه كان في القرون الأولى مقبولًا من كل محتسب عنده علم بهذا المنكر وقدرة على تغييره، ولم يكن في الدولة أنظمة تمنع ذلك، وكذلك كان الحال في العصر العباسي؛ فكان عامة المسلمين يكسرون أوعية الخمور وآلة المعازف وكتب الزندقة.

٢/ لم يكتف المحتسبون في العصر العباسي بالحسبة التي تقع على المحتسب عليه من الزنادقة بل جعلوا منها ما يقع على المحتســـب فيه ككتب الزندقة؛ لأن ضـــرر الزندقة لا ينتهي بكف يد الزنديق بالحبس أو القتل، بل يبقى شــره وباطله يســري في جســد الأمة ما بقيت كتبه وآثاره، فمن الزنادقة من صنف كتبًا بث فيها باطله وزندقته، وسعى في نشرها بين الناس، وعمل بعض الكتاب على نسـخها، وبعضـهم يمتلك كتب زندقة ليسـت من تصـنيفه، ومنهم من ترجم كتب الزندقة إلى اللغة العربية، ومن الوراقين من ابتاعها إما جهلًا أو عن علم، فوجب أن تمتد يد المحتســـب على هذه الكتب بالتغيير ليزول شـــرها ويحفظ الناس من باطلها، فإن فكر وعقيدة الزنديق باقية ما بقيت كتبه وإن فني جسده.

وكان المحتسبون من العلماء على بصيرة بهذه الحقيقة فأفتوا بأن للمحتسب أن يشتري كتب

الزندقة ليتلفها[1]، وليس عليه أي تبعة مالية أو معنوية بفعله هذا، بل هو مأجور ولا يضمن ما أتلفه من المنكرات. سأل يحيى بن يزداد رحمه الله الإمام أحمد رحمه الله عن رجل رأى في يد رجل عودًا أو طنبورًا فكسره، أصاب أو أخطأ، وما عليه في كسره؟ فقال: قد أحسن، وليس عليه في كسره شيء، وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن رجل مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فنهاهم فلم ينتهوا، فأخذ الشطرنج فرمى به؟ فقال رحمه الله: قد أحسن، وليس عليه شيء، وقال وكيع رحمه الله: ليس للمعاصي قيمة، مثل الطنبور وشبهه[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها، قال المروذي: قلت لأحمد: استعرت كتابًا فيه أشياء رديئة، ترى أن أخرقه أو أحرقه؟ قال: نعم، فأحرقه"[3] وقال في شأن كتب المبتدعة كالزنادقة وأشباههم: "والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها"[4].

نقل أبو عبدالله ابن مفلح رحمه الله عن ابن عقيل رحمه الله أنه قال في الفنون: ويصح ابتياع كتب الزندقة لتحريقها؛ لأن في الكتب مالية الورق[5].

وذكر عمر السنامي رحمه الله علة عدم الضمان بقوله: "أما عدم الضمان فلأنه محسن؛ وما على المحسنين من سبيل"[6].

---

(١) ينظر: الآداب الشرعية، عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)، ١/٢٩٥.

(٢) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، ط١ (الشارقة: مكتبة الصحابة، ١٤٢٦هـ)، ص٩٠.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ)، ١/٧١٠.

(٤) المرجع السابق، ١/٧١٤.

(٥) ينظر: الآداب الشرعية، مرجع سابق، ١/٣١٤.

(٦) نصاب الاحتساب، مرجع سابق، ص٢٩٩.

ولتغيير منكرات الزندقة باليد ضوابط ينبغي أن يراعيها المحتسب(١):

١/ أن يكون تغييره للمنكر خالصًا لوجه الله ﷻ وليس انتقامًا أو تشفيًا أو ردود فعل ونحو ذلك من حظوظ النفس.

٢/ أن يتبع قواعد الشرع في ذلك؛ بحيث يتأكد أن تغييره باليد لن يخلفه منكر أشد منه؛ فإن توقع ذلك توقف حتى تتضح له الأمور.

٣/ أن يباشر ذلك بنفسه إن تيسر ذلك أو يستعين بمن هو أهل لذلك.

وفيما يلي شواهد على تغيير منكرات الزندقة باليد في العصر العباسي:

اشـــتغل الخليفة المهدي رحمه الله بتتبع الزنادقة ومؤلفاتهم، حتى إنه عندما كان في حلب أثناء طريقه لغزو الروم أرســـل رســـله بجمع من بتلك الناحية من الزنادقة، وأمر بأن تقطع كتبهم بالسكاكين في حضرته(٢).

وورد إلى الخليفة القادر بالله كتاب من الأمير يمين الدولة أبي القاســم محمود، وكان فيه خبر القبض على جمع من الزنادقة أتباع رســتم الديلمي، وإقرارهم بذنوبهم وشــاهدين على أنفســهم بالكفر والرفض، وحكم الفقهاء بوجوب قتلهم، فقتلوا وصـلبوا وحرقت كتب زندقة كانت معهم في حدود خمســين حملًا تحت جذوع المصــلبين، بالإضــافة إلى كتب المعتزلة والفلاســفة والروافض(٣). وأمر الســلطان محمود بحرق كتب الزندقة والفلســفة والاعتزال والنجوم(٤).وأحرق المعتضــد بعض كتب الزندقة منها كتاب زندقة جمع صــاحبه فيه زلات العلماء، فأمر المعتضــد بالكتاب فأحرق(٥).

---

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، مرجع سابق، ٥١٨/١.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٣/٥. العبر في خبر من غبر، مرجع سابق، ١٨٤/١.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٥/ ١٩٥-١٩٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ١٥/ ١٩٦.

(٥) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧٣/١١. تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٢٩٣.

المبحث الخامس:

درجة الضرب

يقصد بالضرب في الحسبة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح(١)، وهو داخل في درجة التغيير باليد لمنع المحتسب عليه من مباشرة المنكر.

والضرب من الدرجات المشروعة في الحسبة على بعض المحتسب عليهم بدلالة نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية منها:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٣٤]، في هذه الآية الكريمة جاء الأمر باستخدام الضرب مع الزوجة الناشز التي لم يزجرها الوعظ والهجر عن منكر النشوز، والغاية من ضربها ليس العدوان والإتلاف لكنه تأديب لها لما عصت الله في زوجها، فيرجى بضربها أن تغير حالها من منكر النشوز إلى معروف طاعة الله في الزوج بحسن عشرته وأداء ما عليها من حقوق له.

ومن نصوص السنة النبوية الصحيحة أمر الرسول ﷺ باستخدام الضرب في الحسبة على من بلغ عشر سنوات من الأولاد فرفض أداء الصلاة وأعرض عنها؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(٢)، وهذا الضرب ضرب تأديب للمحتسب عليه رجاء تحقيق غاية قيام الأولاد بأداء الصلاة طاعة وتعظيمًا لله ﷻ.

وكان الضرب معروفًا في أعمال الحسبة عند السلف الصالح على بعض المحتسب عليهم، من ذلك ما "جاء عن سليمان بن يسار أن رجلًا من بني تميم يقال له صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه وقد أعد

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢/١٤٧٢.

(٢) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث (٤٩٥)، ص١٦٢. قال الألباني رحمه الله: حسن صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ١/١٤٥.

له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر: وأنا عبدالله عمر، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي"(١).

إن شواهد استخدام الضرب في تغيير المنكر تدل على الغاية منها تأديب المحتسب عليه حتى لا يقع في المنكر مرة أخرى، وهي لردع وزجر الآخرين ممن حضر ضربه أو سمع به أن يقع في ذات المنكر الذي بسببه ضُرب المحتسب عليه، وهذا ما كان من صبيغ الذي نفعه الله ﷻ بحسبة عمر ﵁؛ "فلما خرجت الحرورية جاءه نفر من الناس وقالوا لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، فقال: هيهات، نفعني الله بموعظة الرجل الصالح، وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على وجهه أو رجليه أو على عقبيه، ولقد صار صبيغ لمن بعده مثلًا، وتردعة لمن نقَّر، وألحف في السؤال"(٢).

ولاستخدام الضرب في الحسبة عمومًا شروط ينبغي مراعاتها ذكرها الغزالي ﵀ هي:

١/ أن يكون الضرب على قدر الحاجة؛ فإذا اندفع المنكر ينبغي أن يكف المحتسب.

٢/ لا يقصد في ضربه المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه، ويراعي فيه التدريج(٣).

ويمكن إضافة شرط ثالث هو:

٣/ لا يقصد في ضربه الوجه؛ لقول النبي ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه**»(٤)؛ فالحديث يدل على أنه "إذا ضرب أحدهم شخصًا تأديبًا أو تعزيرًا له أو في حد من حدود الله ﷯ فليحذر أن يضربه على وجهه، وليبتعد عن ذلك كل البعد، وهذا عام في ضرب أي إنسان ولو

---

(١) الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط٢ (الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠هـ)، ١/٤٨٣.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، مرجع سابق، ١/٤١٧.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ٢/١٤٧٢-١٤٧٣.

(٤) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب في ضرب الوجه في الحد، رقم الحديث (٤٤٩٣)، ص٩١٧. قال الألباني ﵀: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ٣/٨٤.

كان كافراً"(١).

والغاية من استخدام الضرب في الحسبة على الزنادقة عقوبتهم، وردع الآخرين عن الوقوع في منكرات الزندقة بسبب ما رأوه أو سمعوه عن ضرب المحتسبين للزنادقة، ولا يقصد المحتسبون بضرب الزنديق تأديبه، فالتأديب يكون لمن يُبقى على حياته، فيؤدب بالضرب رجاء استقامته وإقلاعه عن فعل المنكر ما بقي من حياته في دنياه، أما ضرب الزنديق فغالبًا يقصد به إزهاق روحه أو يضرب ثم يقتل، فالحسبة بالضرب على الزنادقة كان منها ما يقع ضربًا حتى الموت، ومنها ما يجمع على الزنديق فيها مع الضرب قطع عنقه، وفيما يلي شواهد على استخدام الضرب حتى الموت في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي:

"أمر الخليفة المتوكل رحمه الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، فضرب ضربًا شديدًا مبرحًا، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات، وذلك بعد أن شهد عليه سبعة عشر رجلًا عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فرفع أمره إلى الخليفة فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلى عليه؛ ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة"(٢).

وكان من أعمال المحتسب الغافقي على الزنادقة أنه كان بدمشق رجل يقلي القطايف(٣) فكان المحتسب يريد أن يؤدبه فإذا رأه القطايفي قد أقبل قال: بحق مولانا امض عني فيمضي عنه، فغافله يومًا وأتاه من خلفه، وقال: وحق مولانا لا بد أن تنزل، فأمر بإنزاله وتأديبه فلما ضربه بالدرة قال: هذه في قفا أبي بكر، فلما ضربه الثانية قال: هذه في قفا عمر، فلما ضربه الثالثة قال: هذه في قفا عثمان، فقال المحتسب: أنت لا تعرف عدد الصحابة، والله لأصفعنك بعدد أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فصفعه بعدد أهل بدر وتركه فمات بعد أيام من ألم الصفع، وبلغ الخبر إلى مصر فأتاه كتاب الملقب بالحاكم يشكره على ما صنع وقال: هذا جزاء

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، د.ط (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٠هـ)، ٣/٣٩٥.

(٢) البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٠/٢٧٢.

(٣) نوع من المأكولات. ينظر: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٨٤٥.

من ينتقص السلف الصالح[1].

ومن شواهد استخدام الضرب مع قطع العنق في الحسبة على الزنادقة:

أمر الخليفة المقتدر رحمه الله أن يقوم صاحب الشرطة محمد بن عبدالصمد بضرب الزنديق الحلاج ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه، ففعل به كما أمر الخليفة ثم قطعت عنقه[2].

عندما قبض الوزير ابن مقلة على الزنديق الشلمغاني الذي جاء بالطوام وادعى الألوهية، أخذه إلى الخليفة الراضي رحمه الله أكثر من مرة بحضور الفقهاء والقضاة، وادعي عليه بما كان ذُكر عنه من الزندقة فأنكر ثم أقر بأشياء منها، وفي آخر أيامه أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فضرب ثمانين سوطًا ثم ضربت عنقه[3].

"أمر المكتفي بضرب القرمطي صاحب الشامة مع ثلاثة نفر من أتباعه بضربهم وقطعهم وضرب أعناقهم، ففُعل بهم كما أمر الخليفة المكتفي رحمه الله"[4].

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق، مرجع سابق، ١٢/٧. الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ٢٨/٦.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١١٢/١١-١٢٠. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣١٤/١٤- ٣٥٤. تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١١٢/٨.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٤٢/١٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٥١/١١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٥٤/٥. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١٠٩/٦. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مرجع سابق، ٣٨/٥.

المبحث السادس:

درجة الحبس

يعرف الحبس بأنه: "المنع"(١) والإمساك، وهو ضد التخلية، كالمحبس، والمحبس: المصدر(٢)، "والحَبْس والمَحْبِس: موضعان للمحبوس، فالمَحْبِس يكون سِجْنًا ويكون فعلًا كالحَبْس"(٣).

والحبس من درجات الحسبة المشروعة؛ حيث جاء في سيرة النبي ﷺ استخدامه الحبس مع بعض المحتسب عليهم، من ذلك أن يهود بني قريظة بعد نقضهم العهد مع رسول الله ﷺ أمر بأن يساق الرجال إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار رملة، ويقال: حبسوا جميعًا في دارها، وأمر لهم ﷺ بأحمال تمر، فنثرت لهم فباتوا يأكلونها إلى أن حفرت لهم أخاديد فقتلوا ثم ألقوا فيها(٤).

وكان الخلفاء الراشدون يستخدمون الحبس في الحسبة على بعض المنكرات، وجاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابتاع من صفوان بن أمية رضي الله عنه دارًا بمكة بأربعة آلاف درهم، وجعلها سجنًا يحبس فيها(٥).

"وفي الحبس من المصالح ما لا يخفى، لو لم يكن منها إلا حفظ أهل الجرائم المنتهكين للمحارم الذين يسعون في الإضرار بالمسلمين ويعتادون ذلك ويعرف من أخلاقهم ولم يرتكبوا ما يوجب حدًّا ولا قصاصًا حتى يقام عليهم فيراح منهم العباد والبلاد، فهؤلاء إن تركوا وخلي بينهم وبين المسلمين بلغوا من الإضرار بهم إلى كل غاية، وإن قتلوا كان سفك دمائهم بدون حقها،

---

(١) القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٥٣٧.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني المشهور بمرتضى الزبيدي، راجعه: عبدالستار أحمد فرج، د.ط (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ)، ٥٢٠/١٥.

(٣) العين، مرجع سابق، ١٥٠/٣.

(٤) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ٨٦/٣.

(٥) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي العبيدي المعروف بالمقريزي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٣٢٨/٣.

فلم يبق إلا حفظهم في السجن والحيلولة بينهم وبين الناس بذلك حتى تصح منهم التوبة أو يقضي الله في شأنهم ما يختاره، وقد أمرنا الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بهما في حق من كان كذلك لا يمكن بدون الحيلولة بينه وبين الناس بالحبس كما يعرف ذلك من عرف أحوال كثير من هذا الجنس"[١].

والأصل أن الحبس عقوبة يقصد بها التأديب والتقويم[٢]، ويكون حبس استظهار يقصد به أن ينكشف به الحق كما في الحبس عند التهمة[٣]، وهو في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي لم يكن تأديبًا للزنديق فإن زندقته تتجاوز به حد التأديب إلى وجوب العقوبة، لكنه استظهار للحق وقيام بواجب التثبت حين اتهام بعضهم بالزندقة، فإنه قد يتهم بعضهم بالزندقة وهو منها بريء أو قد يشتبه في أمر زندقته، فيسجن إلى حين تبين حقيقة حاله، ومن الشواهد على هذا:

جاء في الآثار أن محمد بن خازم كان يقرأ على الخليفة هارون الرشيد حديث الأعمش عن أبي صالح، وكان في المجلس عمه، وعندما جاء ذكر "التقى آدم وموسى"[٤] قال له عمه: يا محمد أين التقيا؟ فغضب الخليفة هارون، وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به، فحبس ليستوثق من أمره فقد خشي أن يكون لبعض الزنادقة يد فيما قاله، وأنه يجلس لبعضهم، فأراد أن يدل عليهم ليقتلهم، فلما علم أنه لم يجلس مع الزنادقة أخرجه من السجن[٥].

وفي غالب استخدام السجن في الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي كان يقع على من ظهرت زندقته، وشاع أمره، فيسجن لحين الانتهاء من إجراءات إيقاع العقوبة التي يستحقها، وفي

---

(١) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣هـ)، ٣٥٠/٨.

(٢) ينظر: معالم القربة في أحكام الحسبة، محمد بن محمد ابن الأخوة، د.ط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ)، ص١٩١.

(٣) ينظر: نيل الأوطار، مرجع سابق، ١٨٠/٧.

(٤) ينظر ص ٩٩ لمعرفة نص الحديث وتخريجه.

(٥) ينظر: المعرفة والتاريخ، مرجع سابق، ١٨١/٢-١٨٢. سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٨٨/٩. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٧٨/١٠.

وقائع قليلة يموت الزنديق في سجنه كما حدث مع ابن داود بن علي الذي أمر الخليفة المهدي رحمه الله بحبسه بعد أن أقر بزندقته. أو يتمكن من الفرار من سجنه كما حدث مع كاتب الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله يزيد بن الفيض الذي قبض عليه المحتسب عمر الكلواذي، فأقر بزندقته فحبسه ثم استطاع الهرب من الحبس ولم يقدر عليه(١).

وورد في الآثار بعض وقائع حبس الزنادقة دون بيان لمدة سجنهم أو ما أعقب سجنهم من قتل أو غيره من العقوبات، من ذلك ما جاء أنه في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله ظهر زنادقة باطنية من أهل خرسان زعموا أن أبا جعفر المنصور ربهم(٢) -نعوذ بالله من قولهم- فأرسل المنصور إلى رؤسائهم، فحبس منهم مائتين(٣).

وفي عهد الخليفة القادر بالله رحمه الله أمر بحبس أحد الخطباء من زنادقة الرافضة في دار الخلافة بعد أن ألقى خطبة جمعة غلا فيها بالإمام علي رضي الله عنه حيث وصفه بأنه: مكلم الجمجمة، ومحيي الأموات البشري الإلهي، مكلم فتية أصحاب الكهف(٤).

أما أكثر ما جاء عن وقائع حبس الزنادقة في العصر العباسي فإن القتل يكون هو خاتمة سجن الزنديق، فيخرج منه إلى ساحة القتل جزاء زندقتهم. ومن الشواهد على ذلك في الحسبة على الزنادقة ما يلي:

في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله حُبس الزنديق عبدالكريم بن أبي العوجاء بأمر محمد بن ليمان ثم قتله(٥).

وأمر الخليفة المهدي رحمه الله بحبس يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن عباس بن ربيعة بن

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٨٠/٤. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٦٩/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٨٧/٨.

(٢) للاستزادة ينظر: الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ٢١٤/١-٢٢٠.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٣٩٥/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٦٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٦٦/٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٢٩/٨-٣٠.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٩٨/١٥-١٩٩.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥٠٨/٤. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩٢/١٠. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٣٨/٥-٣٩.

الحارث بن عبدالمطلب بعد أن أقر بزندقته، وبقي فيه حتى مات المهدي، فأمر الهادي بقتله[1].

واتهم الأفشين بالزندقة في عصر المأمون فأمر بسجنه وتمت مواجهته بالتهم وما أخذ عليه من أمور تدل على زندقته، وبعد انتهاء محاكمته رد إلى الحبس، ومُنع عنه الطعام والشراب إلى أن مات[2].

وجاء في الحسبة على الحلاج قول ابن تيمية رحمه الله عن الحلاج: وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة به، ثم قتل[3].

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤/٥٩٥-٥٩٦. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥/٧٤.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٥/٢٠٧- ٢٦٨. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٥/٢٣٤- ٢٦٢. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٥/٢٤. ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٣/٤٨٠-٤٨١.

المبحث السابع:

درجة القتل

يعد القتل من درجات الحسبة المشروعة على بعض المنكر بنص الكتاب والسنة، ومنها: الحسبة على الكفار الصادين عن الإيمان بالله، المعتدين على الإسلام والمسلمين؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠].

والحسبة على بعض صور القتل؛ حيث قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ [سورة الإسراء: ٣٣]، والحسبة على الزاني الثيب والمفارق لدينه التارك للجماعة؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»(١).

وللقتل في الشريعة الإسلامية أحوال؛ فهو إما أن يكون قصاصًا كما في قتل القاتل، ويكون حدًّا كما في حد زنى الثيب حيث يرجم إلى أن يموت، ويكون تعزيرًا، والأصل أن لا يبلغ بالتعزير القتل لكن بعض الفقهاء ذهبوا إلى جواز القتل تعزيرًا في جرائم معينة بشروط مخصوصة، من ذلك:

قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة كالجهمية، ذهب إلى ذلك كثير من أصحاب مالك، وطائفة من أصحاب أحمد(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: جوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما: قتل الداعية إلى

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، رقم الحديث (٦٨٧٨)، ٤/٢٦٨.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢ (الكويت: دار السلاسل، ١٤٠٤-١٤٢٧هـ)، ١٢/٢٦٣.

البدع المخالفة للكتاب والسنة، وكذلك كثير من أصحاب مالك. وقالوا: إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض، لا لأجل الردة، وكذلك أبو حنيفة يعزر بالقتل فيما تكرر من الجرائم إذا كان جنسه يوجب القتل، كما يقتل من تكرر منه اللواط أو اغتيال النفوس لأخذ المال ونحو ذلك، وقد يستدل على أن المفسد متى لم ينقطع شره إلا بقتله فإنه يقتل: بما رواه مسلم في صحيحه عن عرفجة الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[1]، وفي رواية: «**إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**»[2]. وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطًا من دينار، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمه فهو شهيد**»[3]، فكيف بقتال هؤلاء الخارجين عن شرائع الإسلام المحاربين لله ورسوله الذين صولهم وبغيهم أقل ما فيهم، فإن قتال المعتدين الصائلين ثابت بالسنة والإجماع، وهؤلاء معتدون صائلون على المسلمين: في أنفسهم وأموالهم وحرمهم ودينهم، وكل من هذه يبيح قتال الصائل عليها[4].

قال بكر أبو زيد ﷺ: "يظهر من مباحث القتل تعزيرًا على سبيل الإجمال والتفصيل: أن القتل تعزيرًا مشروع عند عامة الفقهاء، على التوسع عند البعض، والتضييق عند آخرين في قضايا معينة، وأن القول الصحيح الذي يتمشى مع مقاصد الشرع وحماية مصالح الأمة وحفظ الضروريات من أمر دينها ودنياها: هو القول بجواز القتل تعزيرًا حسب المصلحة، وعلى قدر

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم الحديث (١٨٥٢)، ص٩٩٧.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم الحديث (١٨٥٢)، ص٩٩٦.

(٣) لم أجد نصه لكن وجدت قريبًا من معناه قول النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد»، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم الحديث (٤٧٧٢)، ص٩٧٣. قال الألباني ﷺ: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ١٧٢/٣.

(٤) للاستزادة ينظر: مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٢٨/ ٣٤٧-٥٤٠.

الجريمة، إذا لم يندفع الفساد إلا به، على ما اختاره ابن القيم رحمه الله"(1).

وفي تشريع القتل قصاصًا وحدًّا وتعزيرًا رحمة بالناس أجمعين، وحياة لهم، وأمان من شر من استحق عقوبة القتل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

وكم من محدث نفسه بعمل يستحق به عقوبة القتل في الإسلام منعه من اقترافه ما سمعه أو رآه من إيقاع عقوبة القتل على فاعله، فأثمر في نفسه خوفًا ردعه عن هذا الفعل، فكان الناس في حياة وأمان من شره.

وفي إيقاع القتل على الزنادقة دعاة الباطل الصادين عن الحق والمشككين فيه حفظ للدين من شكوكهم وإفكهم، وإطفاء للفتنة التي يسعون لإشعالها؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩].

وأجمع العلماء على أن حكم الزنديق في الإسلام حكم المنافق، وهو أنه يقتل إذا نطق بكلمة الكفر، أو وجد منه مكفر، وقامت عليه البينة، ولم يتب قبل الاطلاع عليه(2)، إلا أن ابن تيمية رحمه الله قال: فحيثما كان للمنافقين ظهور، ويخاف من إقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨]، وحيثما حصل لنا القوة والعز خوطبنا بقوله: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، وقريب من هذا ما قاله ابن مفلح: يتوجه جواز القتل، وتركه لمعارض(3)، أما إن تاب قبل الاطلاع عليه فإن في حكمه خلافًا بين العلماء، قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "واختلف العلماء في توبة الزنديق -أعني: المستتر بالكفر-؛ فمن

---

(1) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم رحمه الله، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط2 (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ص٤٩٣.

(2) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق، ١٩/٤١.

(3) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالله الحلواني ومحمد كبير شودري، ط١ (الدمام: رمادي للنشر، ١٤١٧هـ)، ٦٨٣/٢. الفروع، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، د.ط (عمان: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٥م)، ص١٥٨٢.

قائل: لا تقبل توبته، ومن قائل: تقبل، ومن مفرق بين إتيانه تائبًا قبل الاطلاع عليه وبين الاطلاع على نفاقه قبل التوبة، كما هو معروف في فروع مذاهب الأئمة الأربعة"(١).

وتناول الدكتور سعد العريفي(٢) هذه المسألة بالعرض والمناقشة والترجيح، وكانت خلاصة ما توصل إليه أن الراجح -والله أعلم- أن الزنديق إذا تاب قبل القدرة عليه تقبل توبته فلا يقتل، أما إن تاب بعد القدرة عليه فلا تقبل توبته ويقتل.

وقد استند في ترجيحه على أقول بعض أئمة السلف الصالح منهم الإمام ابن القيم رحمه الله حينما قال: ومحاربة الزنديق للإسلام بلسانه أعظم من محاربة قاطع الطريق بيده وسنانه؛ فإن فتنة هذا في الأموال والأبدان وفتنة الزنديق في القلوب والإيمان، فهو أولى ألا تقبل توبته بعد القدرة عليه، وهذا بخلاف الكافر الأصلي؛ فإن أمره كان معلومًا، وكان مظهرًا لكفره غير كاتم له، والمسلمون قد أخذوا حذرهم منه، وجاهروه بالعداوة والمحاربة، وأيضًا فإن الزنديق هذا دأبه دائمًا، فلو قبلت توبته لكان تسليطًا له على بقاء نفسه بالزندقة والإلحاد، وكلما قُدِر عليه أظهر الإسلام وعاد إلى ما كان عليه، ولا سيما وقد علم أنه أمن بإظهار الإسلام من القتل، فلا يزعه خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومسبة الله ورسوله فلا ينكف عدوانه عن الإسلام إلا بقتله، وأيضًا فإن من سب الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادًا، فجزاؤه القتل حدًّا، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقًا، ولا ريب أن محاربة هذا الزنديق لله ورسوله وإفساده في الأرض أعظم محاربةً وإفسادًا؛ فكيف تأتي الشريعة بقتل من صال على عشرة دراهم لذمي أو على بدنه ولا تقبل توبته، ولا تأتي بقتل من دأبه الصول على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والطعن في دينه، وتقبل توبته بعد القدرة عليه؟! وأيضًا فالحدود بحسب الجرائم والمفاسد، وجريمة هذا أغلظ الجرائم، ومفسدة بقائه بين أظهر المسلمين من أعظم المفاسد(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "روى عن أبي إدريس قال: أتى علي رضي الله عنه برجل قد تنصر فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله، وأتى برهط يصلون القبلة وهم زنادقة، وقد قامت عليهم بذلك الشهود

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ص٦٩.

(٢) ينظر: الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، مرجع سابق، ٢/٥٩٤-٦٢٨.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، مرجع سابق، ٤/٥٤٨.

العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام فقتلهم ولم يستتبهم، ثم قال: "أتدرون لم استتبت هذا النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، وأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة وجحدوني، فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقامت عليهم البينة"، فهذا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بيان أن كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب، وأن النبي ﷺ لم يقتل من جحد زندقته من المنافقين لعدم قيام البينة"(١).

وعند النظر في شواهد قتل الزنادقة في العصر العباسي يتبين أنه لم يرد أي أثر عن توبتهم في معرض ذكر سيرتهم وشناعة أفعالهم وقبيح أقوالهم، والذي يظنه المسلم في أهل الحسبة أنهم لم يريقوا دمًا معصومًا، ولم يكونوا أهل عجلة في إيقاع القتل حدًّا أو تعزيرًا قبل ثبوت موجب القتل وانتفاء الشبهة -والله أعلم-، وكثير مما جاء في هذا البحث من الشواهد يدل دلالة واضحة على إصرار رؤوس الزنادقة في العصر العباسي على زندقتهم وعدم توبته -والله أعلم-، وأغلبهم لم يقتلوا إلى بعد قيام البينة على زندقتهم وبفتوى من الفقهاء عامة في حكم من قام ببعض الأفعال التي توجب القتل، كاستباحة الدماء المعصومة والخروج عن طاعة الحاكم ومحاربته وغيرها، مما يجعل قتل الزنديق حدًّا أو تعزيزًا واجبًا كما هو حال كثير من الزنادقة، وصدرت فتاوى مخصوصة ببعض رؤوس الزنادقة من الفقهاء من ذلك:

جاء "أن عثمان بن حكيم رحمه الله قال: إني لأرجو لأبي يوسف رحمه الله في هذه المسألة، رُفع إلى هارون زنديق، فدعا أبا يوسف يكلمه، فقال لهارون: كلمه وناظره، فقال له: يا أمير المؤمنين، ادع بالسيف والنطع، واعرض عليه الإسلام، فإن أسلم وإلا فاضرب عنقه، هذا لا يناظر، وقد ألحد في الإسلام"(٢).

وجاء أن المطلب بن عكاشة المزني قال: قدمنا إلى أمير المؤمنين الهادي شهودًا على رجل منا شتم قريشًا، وتخطى إلى ذكر رسول الله ﷺ فجلس لنا مجلسًا أحضر فيه فقهاء زمانه ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل وأحضرنا، فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغير وجه الهادي، ثم نكس رأسه ورفعه، فقال: إني سمعت أبي المهدي يحدث، عن أبيه المنصور، عن أبيه

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، مرجع سابق، ٢/٦٨٦.

(٢) تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٤/٢٥٥.

محمد بن علي، عن أبيه علي بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: "من أراد هوان قريش أهانه الله"، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله ﷺ، اضربوا عنقه، فما برحنا حتى قتل(١).

واستفتى الخليفة المقتدر الفقهاء في أمر الحلاج فأفتوا بإباحة دمه، فقدم إلى حامد بن العباس بضربه ألف سوط، وبقطع يديه ورجليه وصلبه عند جسر بغداد(٢)، وكان قتله سنة تسع وثلاثمائة، ونودي ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره، وبغير إقراره، والأمر الذي ثبت عليه بما يوجب القتل باتفاق المسلمين، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو إما منافق ملحد، وإما جاهل ضال، والذي قتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر، وبعضه يوجب قتله، فضلًا عن جميعه(٤).

وفي خلافة الراضي قبض الوزير ابن مقلة على الشلمغاني وأحضر مع بعض أتباعه إلى الخليفة الراضي أكثر من مرة بحضور الفقهاء والقضاة والكتاب والقواد، وادعي عليه بما كان ذُكر عنه من الزندقة فأنكر ثم أقر بأشياء منها، وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فضرب ثمانين سوطًا ثم ضربت عنقه(٥).

وورد إلى الخليفة القادر بالله كتاب من الأمير يمين الدولة أبي القاسم محمود وكان فيه: سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين، فإن كتاب العبد صدر من معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخر سنة عشرين، وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة، وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ٧/١٥.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، مرجع سابق، ص٢٣١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٢٢/١١.

(٤) ينظر: الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٤٨٠/٣-٤٨١.

(٥) ينظر: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٢٤١/٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٣٤٢/١٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ١٥١/١١.

الباطنية الفجار، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها، يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة، يتجاهرون بشتم الصحابة ﵃، ويسرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة، وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد عنانه بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء، ثم دلف منها إلى دامغان، ووجه عليًّا الحاجب في مقدمة العسكر إلى الري، فبرز رستم بن علي من وجاره على حكم الاستسلام والاضطرار، فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده، وطلعت الرايات أثر المقدمة بسواد الري غدوة الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى، وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم، فقتلوا وصلبوا وحرقت كتب فيها زندقة في حدود خمسين حملًا تحت جذوع المصلبين(١).

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ١٥/١٩٥-١٩٦.

الفصل الخامس:

آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي وأوجه الاستفادة منها

المبحث الأول: آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي.

المبحث الثاني: أوجه الاستفادة من الحسبة على الزنادقة.

المبحث الأول:

آثار الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي

جعل الله ﷻ لكل عمل صالح آثارًا حسنة للعامل في الدنيا والآخرة، ومن الأعمال الصالحة ما يتعدى أثرها الحسن العامل ليشمل معه أفرادًا أو جماعات، ومن خير الأعمال الصالحة وأعظمها نفعًا وأوسعها أثرًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن للآمر والناهي أجر طاعة الله بامتثال أمره ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

وأمر نبيه ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

كما أن للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعد من الله ﷻ بالتمكين؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]، و قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١].

ولهم النصر من الناصر سبحانه وتعالى جزاء نصرهم لدين الله بالأمر بالمعروف النهي عن المنكر؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٤٠].

ولهم نصيبهم من خيرية هذه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

---

(١) سبق تخريجه ص: ١٩٤.

كما أن قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفارة لهم؛ فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "كنا جلوسًا عند عمر ﷺ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله، قال ﷺ: إنك عليه أو عليها لجريء، قلت: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي**»، قال ﷺ: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر، قلت: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين؛ إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال ﷺ: أيكسر أم يفتح؟ قلت: يكسر، قال ﷺ: إذًا لا يغلق أبدًا"(١).

وأهل الحسبة هم الناجون من العقوبة إذا حلت بمجتمع يجاهر فيه بالمنكرات؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب**»(٢)، وغيرها من الآثار الحسنة التي دلت عليها نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وهي آثار تعم جميع أصناف المحتسبين على جميع المنكرات، وهي مرجوة بفضل الله للمحتسبين على الزنادقة في العصر العباسي، ويضاف لهذه الآثار العامة لكل محتسب آثار مخصوصة للحسبة على الزنادقة في العصر العباسي، وفيما يلي أهم هذه الآثار:

١/ تعدُّ الدولة العباسية من أطول الدول القديمة بقاءً على رأس السلطة الحاكمة في العالم الإسلامي؛ حيث استمر حكمها خمسة قرون تقريبًا (١٣٢- ٦٥٦هـ)، ولطول بقاء سلطان الدولة العباسية أسباب عدة، منها -والله أعلم- أنها بالجملة كانت حريصة على إقامة شرع الله ﷻ والانتصار لسنة النبي ﷺ؛ قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهدًا للصلوات في أوقاتها من بني أمية، فإن أولئك كانوا كثير الإضاعة لمواقيت الصلاة"(٣)، وتصدى كثير من خلفاء الدولة العباسية وأمرائها للبدع والزندقة التي كثرت في عصرهم، وكانوا في حسبتهم عليهم أهل فطنة، متصفين في فترات طويلة من حكمهم بالصرامة والقوة في إدارة دفة الحكم والتصدي لكل ما يمس إيمان وأمن الدولة، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم الحديث (٥٢٥)، ١/١٨٣.

(٢) سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم الحديث (٤٣٣٨)، ص٨٨٦. قال الألباني رحمه الله: صحيح. صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ٣/٣٦.

(٣) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٤/٢١.

٢/ فضـــح حقيقة الزندقة والحد من شـــرور الزنادقة داخل كيان الدولة العباســـية؛ فهي دولة إسـلامية سـنية، حرص أغلب خلفائها على نصـرة سـنة النبي ﷺ، ونشـر مذهب أهل السـنة والجماعة بين الناس، والتصـــدي للبدع والفرق الضـــالة، والأخذ على يد المفســـدين؛ قيامًا بحق حفظ دين الله والانتصار له، وحماية للمجتمع من مكائد الضالين المفسدين.

وبفضل الله ﷻ بقي المجتمع الإسلامي طيلة العصر العباسي بالجملة على منهج أهل السنة والجماعة، وخابت كل مساعي الزنادقة في إفساد عقيدة المسلمين ومسخ هويتهم السنية، وكان هذا من ثمار شدة حرص المحتسبين في العصر العباسي من الخلفاء والأمراء والعلماء والمحتسبين الرسميين وغيرهم على مواجهة الزندقة والقضاء على الزنادقة، وبذل الأنفس والأموال والأوقات في بيان المعروف والنهي عن منكرات الزنادقة، وكان من أنفع أعمال الحسبة في الحد من شرور الزنادقة نشر العلم الشرعي وإيقاع عقوبة القتل على الزنديق بمجرد إقامة البينة عليه والظفر به، فإن للتهاون معهم مآلات شنيعة على دين الناس وهيبة الدولة وسلطانها، وهي حقيقة لم تكن خافية على خلفاء الدولة العباسية؛ فها هو الخليفة الهادي يحدث محمدًا الكاتب قائلًا: يا أبا جعفر، أخبرني أبي، عن جدي، أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: ما أصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني، والعفو عن الزلات القريبة، ليقل الطمع في الملك(١).

٣/ إثراء المكتبة الإسلامية بكثير من المصنفات والمؤلفات في مختلف علوم الدين، وكان كثير منها بيانًا للمعروف في شأن العقيدة والشريعة، وتعليم الناس أمور دينهم على نور من الله، والنهي عن المنكرات، ومن أعظم تلك المنكرات التي صنفت فيها كثير من المصنفات ما تعلق بالتشكيك في توحيد الله والسعي في تأويل نصوص القرآن الكريم تأويلات باطلة، ودس أحاديث مكذوبة عن الرسول ﷺ في كتب السنة، فانبرى كثير من العلماء لبيان معنى آيات الكتاب العزيز وفق منهج أهل السنة والجماعة معتمدين على تفسير القرآن للقرآن وتفسير النبي ﷺ وما ورد من أقوال الصحابة ﷺ والتابعين ﷺ، وسارعوا إلى تدوين السنة النبوية في مصنفات عظيمة جامعة مجتهدين في التثبت من صحة الحديث، ومن العلماء من قام بتصنيف كتب يفضح فيها الوضاعين الكاذبين في الحديث النبوي. كما شرحت بعض دواوين السنة النبوية المطهرة شروحات دقيقة

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، مرجع سابق، ١٥/٧.

ومتينة، كان فيها بيان الحق، والرد على التأويلات الباطلة التي كان يثيرها بعض الزنادقة. كما ظهرت مصنفات في العقيدة تبين عقيدة أهل السنة والجماعة وترد على المسائل التي خاض فيها الزنادقة مثل أسماء الله وصفاته، والقدر، ومنزلة الصحابة. وكان من الخلفاء من دعم جهود العلماء في نشر العلم من خلال حلق العلم وتدوين الكتب ونسخها، ولا يخفى على كل ناظر في المكتبة الشرعية أن حجم ما صنف من أمهات الكتب في علوم الشريعة في الدولة العباسية يفوق بكثير الدولة الأموية وغيرها من الدول التي كانت في زمن الدولة العباسية أو بعدها.

٤/ تطهير المكتبة الإسلامية في الدولة العباسية من كتب الزندقة؛ فمن يطالع كتب التاريخ والتراجم التي كتبت عن العصر العباسي يقف على أسماء كتب زندقة لبعض الباطنية وغيرهم من الزنادقة لا وجود لها فيما تلاه من العصور، ويبدو -والله أعلم- أنها أتلفت؛ حيث نجد في كتب التاريخ ذكرًا لقيام بعض أهل الحسبة بحرق كتب الزنادقة أو تمزيقها، وفي بعض الوقائع ينادى في الأسواق وبين الوراقين بمنع بيع وشراء كتب الزندقة، ويبدو أن الأمر كان يصدر غالبًا من الخلفاء أو الأمراء بناءً على فتوى العلماء، وكان المباشرون لتنفيذ الأوامر المحتسبين الرسميين وربما غيرهم، وما وجد من كتب زنادقة الصوفية والرافضة وغيرهم في العصور التي تلتها فإنها -والله أعلم- كانت محفوظة خارج حدود الدولة العباسية أو لم يعلم المحتسبون في ذلك العصر بما فيها من الزندقة أو كانت مما استطاع بعضهم إخفاءها.

٥/ إيجاد قدوات من المحتسبين على الزنادقة في العصر العباسي من مختلف أصناف المحتسبين: الحاكم، الأمير، العالم، المحتسب الرسمي، وغيرهم؛ فالمحتسبون كانوا بالجملة قدوة حسنة، حرصوا بجد على إقامة المعروف وتغيير المنكر على هدى من سنة النبي ﷺ، يشهد على هذا ما ورد في كثير من وقائع الحسبة على الزنادقة من تأني المحتسبين في الحكم بالزندقة على من اتهم بها، ورجوعهم لفتوى العلماء في أمرهم، فلم تكن -في الجملة- الأهواء ترفع السيوف والسياط على أدنى شبهة أو تهمة، لكنها الحسبة ببينة ووفق فتوى العلماء، وعلى درجات الحسبة المشروعة التي تتناسب مع حال الزنديق.

المبحث الثاني:

أوجه الاستفادة من الحسبة على الزنادقة

إن دراسة التاريخ والتفكر فيه من الأمور المهمة عظيمة النفع للفرد والمجتمع، ومما يدل على أهميته أمر الشرع به؛ حيث جاء الأمر بالسير في الأرض والنظر في سير السابقين من الأمم في أربع آيات في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٦٩].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم: ٤٢] فأمر الله ﷻ بالنظر في سير من سبقونا للاعتبار والاتعاظ، مما يجنب الناظر أخطاء السابقين، ويأخذ بيده إلى الصواب على ضوء دروس الماضي، قال حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله عن النظر في التاريخ ودراسته: "إنه مدرسة الأجيال، يتعلم فيه الأحياء ما ينفعهم فيعملونه، وما يضرهم فيجتنبونه، وهو الجسر الذي يصل ماضي كل أمة بحاضرها، وبقدر العناية به، والاهتمام بتدريسه، تستطيع الأمم أن تبني حياتها على أسس متينة ثابتة، كيف لا والحياة كلها بدروبها الطويلة المتعاقبة ليست إلا تاريخًا أمينًا، ... والإنسان يبني واقعه على الماضي، فأنت تلتقي بالأمجاد فتشد نفسك إليها، وتلتقي بالسيئ من الأحداث فتحجز نفسك عن انتهاج الطرق المؤدية إليها، وإذا رأيت أمة قد اضطربت واختلطت عليها معالم الطريق فاعرف أن في مقدمة الأسباب لذلك انقطاع الصلة بين ماضيها وحاضرها"(١).

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله الشهير بابن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤ (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ)، ص٧.

ويقول ابن الأثير رحمه الله: "إن التاريخ يزود الإنسان بالتجارب، ومعرفة الحوادث، وما تصير إليه عواقبها؛ فإنه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك الإنسان عقلًا، ويصبح لأن يقتدى به أهلًا"(١).

وبالنظر في أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي نخلص إلى جملة من الفوائد التي ينبغي الأخذ بها في أعمال الحسبة في هذا العصر وبعده إن شاء الله، منها:

١/ أن تاريخ الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي الممتد حوالي خمسة قرون فيه وقائع مشرفة في الحسبة عليهم، ونصرة سنة النبي ﷺ والتصدي للزنادقة بقوة وصرامة حفظت على الناس دينهم، وحالت دون تحقيق الزنادقة غاياتهم الخبيثة، وحافظت على هيبة الدولة وقوة سلطانها، كما أن فيه وقائع مخزية في الفترات التي تأثر فيه الخليفة بأهل البدع وقربهم من مجالسه، والفترات التي ضعفت فيها سلطة الخليفة، وبعضها كان زمام إدارة الدولة فعليًّا في يد الوزراء الشيعة من البويهيين، فضعفت أعمال الحسبة على الزنادقة، وقيدت صلاحياتهم، فظهرت البدع واستطالت أعناق المبتدعة وعلت أصواتهم، فاضطرب الأمن في البلاد. ودراسة هذه الفترات تزيد من إدراك المسلم لسوء عاقبة الثقة بأهل البدع وتسليمهم مقاليد الأمر والنهي في إدارة شؤون البلاد، والمؤمن يتعظ بغيره، فلا يكرر أخطاء من سبق؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»(٢)، فعلى المسؤول العناية بمعايير اختيار العاملين في ولايات الدولة والتي يمكن إجمالها في معياري القوة والأمانة، وهما الواردان في كتاب الله العزيز في قصة كليم الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة القصص: ٢٦]، فمن ضيع أمانة الدين عظم ضرره واستطال شره، وكان بما له من سلطة وولاية من أسباب اتساع دائرة الابتداع في الدين، ومحاربة أهل السنة، واضطراب حال البلاد، يشهد على هذا فترة تسلط البويهيين وسقوط الدولة العباسية بسبب خيانة الرافضي ابن العلقمي.

٢/ تعزيز ثقافة الحسبة من خلال إبراز أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي والحديث عنها، وجعلها مجال بحث ودراسة، وبيان أثرها في نصرة سنة النبي ﷺ وقمع البدع، ووظيفتها في

(١) الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ١/٨.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم الحديث (٦١٣٣)، ٤/١١٥.

حفظ الضروريات الخمس، واستقامة المفاهيم والموازين الاجتماعية بما يحفظ للمعروف وصفه بأنه معروف، والمنكر بوصفه منكرًا، فلا يغدو المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا كما كان يبتغي أهل الزندقة والضلال، مع بيان ما تحقق للخاصة والعامة من أمن واستقرار من وراء القيام بأعمال الحسبة على الزنادقة وأشباههم العابثين بأمن البلاد والعباد، وانعكاس ذلك على ازدهار الحياة العلمية والعملية.

٣/ معرفة سنن الله ﷻ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن لله سننًا لا تتبدل ولا تحابي أحدًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٢]، ومن سنن الله ﷻ أن أهل الحسبة أهل جهاد ومدافعة، الظافرون بالأجر والذكر الحسن، وكتب التراث الإسلامي شاهدة على كثرة أسماء المحتسبين ومواقفهم المضيئة في القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك مواجهتهم للزنادقة والقضاء على فتنهم، وتغيير منكراتهم باليد واللسان والقلب.

ومن سنن الله نصره وتمكينه للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وإهلاكه الساعين بالمنكرات أفرادًا كانوا أو فرقًا وجماعات، وإطفاؤه نار فتنتهم وإن تسلطوا أو علوا فترة من الزمن؛ فإن الله ﷻ حافظ شرعه وناصر من نصره، ومتم نوره رغم أنف من أباه، ولكن للباطل صولة وللشيطان جولة حتى يقر المعروف في قراره ويندحر المنكر ويرفع الظلم عن خلقه، ومن رام أن ينصر باطلًا أو يدفع حقًّا فهو مركوس من غير فرق بين رئيس ومرؤوس، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وعند عزائم الرحمن يندفع كيد الشيطان(١).

٤/ استمرار مواجهة الباطل على هدي نبينا محمد ﷺ، وبحزم وقوة، وعدم استعجال النصر والتمكين؛ فمنذ أن خلق الله أبا البشرية آدم عليه السلام، والمعركة بين الحق والباطل قائمة بين الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والأيام دول؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ

---

(١) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله بن يحيى السريحي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ)، ص٢٠٨.

﴿شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠]، فلم يخلُ عصر من عصور الدولة الإسلامية من هذه المعارك حتى العصر النبوي الذي هو خير القرون كانت به معارك قائمة على مختلف الجبهات؛ فمنها معارك علمية وفكرية، ومنها معارك عملية بالمال والسلاح، والباطل قد يظهر في زمن إلا أن الحق وأصحابه في استعلاء بالمنهج والعقيدة، ولهم النصر والعاقبة؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم** عليه السلام **فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة**»(١)، قال النووي رحمه الله: "ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث"(٢).

إن أهل الحق ظاهرين لا محالة، وعد من الله لأوليائه، وهذا الظهور يكون ظهور العقيدة على كل العقائد دائمًا، وظهور ملك وسلطان على كل ملك وسلطان في فترات من الزمن.

والناظر بعين البصيرة في العصر العباسي وأعمال الحسبة على الزنادقة فيه يتبين له أن المعركة لم تكن محسومة النتيجة وقاضية على الباطل، وأن راية الباطل لا ترتفع في دولة الإسلام إلا في حالة ضعف الحاكم وإيكاله إدارة شؤون الدولة لبعض وزرائه وولاته من المبتدعة، الذين هم في حقيقتهم معاول هدم لبعض معالم السنة في البلاد، وأنصار لمعالم البدع ودعاتها في البلاد، مما يجرئ الزنادقة وكل متربص ببلاد المسلمين على العبث بمصالح البلاد والعباد الدينية والدنيوية، إلا أن الحال لم تكن مستقرة لهم؛ فإنه وإن انتفش الباطل وصار له صولة وجولة إلا أن العاقبة للمتقين، والغلبة بفضل الله لأهل الحق، فما الباطل إلا زبد بحر يذهب جفاء، وما ينفع الناس ويفرح به المؤمنون يبقيه الله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الروم: ٤]، فعقب كل فترة ضعف وإن طالت يمكن الله لخليفة أمين صالح ناصر للحق قامع

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم الحديث (١٥٦)، ص٩٥.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ١٣/٦٥.

للباطل، معلن في أرجاء البلاد أن لا ليس للزندقة والبدعة راية ترفع في البلاد، وليس لهم مجالس ودروس، وأن كتبهم حقها الاتلاف والتمزيق، وينشر السنة ويعلي رايتها، ويكرم علماءها ويأمر بإقامة دروس العلم، وإظهار سنة النبي ﷺ، ويقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٧]، والله ﷻ تكفل بحفظ دينه ونصر المستمسكين به، والآمرين بالمعروف والناهين عنن المنكر؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [سورة غافر: ٥١]، ووعد الله ﷻ ناجز لا محالة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٤٠].

٥/ الاستفادة من منهج تعامل بعض خلفاء الدولة العباسية وأمرائها مع الزنادقة وبخاصة في فترات قوة الدولة العباسية التي منها: عصر المنصور والرشيد والمهدي والهادي والمعتضد بالله والقادر بالله والقائم بالله ﷷ؛ فإن لهم أعمالًا في الحسبة على الزنادقة تستحق الإشادة والاقتداء في كيفية مواجهة الزنادقة، وكف شرهم عن الناس، والقضاء على فتنتهم في البلاد، مع ملاحظة عدم التسليم لكل أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي والتأسي بها؛ فإن الواجب التأكد من صدق ما دوَّنه السابقون في كتب التاريخ والتراجم وغيرها؛ فإن في بعضها مبالغات ومغالطات شوهت صورة بعض الخلفاء وغيرهم من الأعلام، وكذبت عليهم فنسبت لهم مالم يثبت، كما ينبغي بعد التثبت من صدق المدون في كتب التراث الإسلامي مراجعتها وعرضها على نصوص الوحي فما وافقه صح الأخذ به والاقتداء بفعل السابقين له، أما ما خالف نصوص الوحي فالواجب النهي عنه وبيان الحق فيه، وهذا هو المنهج الشرعي الذي أمرنا به إمام الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ؛ حيث أمرنا بالتأسي بسنته وسنة الخلفاء الراشدين، والحذر من الابتداع في الدين، والحسبة من الدين الذي لا يجوز الابتداع فيه، جاء عن العرباض بن سارية ﷺ أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة**

ضــلالة»[1]، فقد كان من أعمال بعض خلفاء الدولة العباســية في الحســبة على الزنادقة ما اجتهدوا فيه فأخطؤوا، من ذلك أن منهم من كان يحمل إليه رأس الزنديق؛ حيث جاء في بعض الكتب: حمل رأس صاحب الزنج إلى الأمير الموفق زمن الخليفة المعتمد[2]، وحمل رأس زكرويه بن مهرويه إلى خرسان زمن الخليفة المكتفي[3]، وغيرها من الشواهد، وهذا اجتهاد خاطئ لا يقرون عليه ولا يصح الاقتداء بهم في فعله، فهو خلاف سنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ﭫ.

وزعم بعضهم أن في حمل الرؤوس وتعليقها مصالح موهومة كردع الناس وتخويفهم من مسلك الزندقة لا يجعله مباحًا، ولا سـنة حسـنة يؤخذ بها، وفيما سـنه الرسـول ﷺ وخلفاؤه ﭫ ما يكفي ويغني، قال ابن مسعود ﭬ: "من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد"[4]، وقال أبو عمر الأوزاعي ﭬ: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول"[5].

كما ثبت بالنصوص الصريحة الصحيحة أن قطع الرأس من المثلة المنهي عنها شرعًا؛ فعن قتادة ﭬ أنه قال: «**بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصـــدقة، وينهى عن المثلة**»[6].

وجاء في صــحيح مســلم أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو ســرية أوصــاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[7]، وفي بيان معنى المثلة قال

---

(١) سبق تخريجه ص: ١٥٦.

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٤٤١/٥ -٥٨٧. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ٨/٦- ٥٣. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٣٧/١١.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ٦٦٧/٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ٤٩/١٣-٥٠. البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨٥/١١.

(٤) الفتاوى الكبرى، مرجع سابق، ٣٧/٣.

(٥) لمعة الاعتقاد، عبد الله بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي، ط٤ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٥هـ)، ص٩.

(٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، رقم الحديث (٤١٩٢)، ١٣٣/٣.

(٧) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث (١٧٣١)، ص٩٢٢.

ابن الأثير رحمه الله: مثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه(١).

أما ما جاء من روايات فيها أن رؤوس بعض أعداء رسـول الله ﷺ حملت إليه كرأس كعب بن الأشرف و الأسـود العنسـي، فقال عنها أبو داوود رحمه الله: "في هذا أحاديث عن النبي ﷺ ولا يصح منها شيء"(٢).

وقال السرخسي رحمه الله: ذكر عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه برأس يناق البطريق، فأنكر ذلك، فقيل له: يا خليفة رســـول الله، إنهم يفعلون ذلك بنا، قال: فاســـتنان بفارس والروم؟ لا يحمل إليَّ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر، وفي رواية قال لهم: لقد بغيتم -أي تجاوزتم الحد-، وفي رواية كتب إلى عماله بالشـــام: لا تبعثوا إلي برأس، ولكن يكفيني الكتاب والخبر.

فبظاهر الحديث أخذ بعض العلماء، وقال: لا يحل حمل الرؤوس إلى الولاة لأنها جيفة، فالســـبيل دفنها لإماطة الأذى، ولأن إبانة الرأس مثلة، ونهى رســـول الله ﷺ عن المثلة ولو بالكلب العقور(٣).

مما سبق بيانه تتأكد الحاجة للتعامل مع نصوص التاريخ بمنهجية علمية موضوعية للتأكد من صدق ما كتب أولًا ثم التثبت من صحة ما كان وعدم مخالفته لأحكام الشريعة الإسلامية.

٦/ التأسي بأهل الحسبة في العصر العباسي الذين تصدوا للزندقة منكرين باليد واللسان، وكان بعضهم أئمة في العلم منهم: الإمام مالك والشافعي وابن حنبل رحمهم الله، وفي مواقفهم وجهودهم في نصرة الحق ومواجهة الباطل والتصدي للزندقة قدوة حسنة لكل محتسب، قال أبو حنيفة رحمه الله: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من الفقه؛ لأنها آداب القوم"(٤)، والاطلاع على سيرة المحتسبين على الزنادقة من العلماء والمحتسبين الرسميين وغيرهم يرفع الهمة في التصدي لكل

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ص٨٥٥.

(٢) المراسيل، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ)، ص٢٣٠.

(٣) ينظر: شرح السير الكبير، محمد بن أحمد السرخسي، د.ط (د.م: الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م)، ١/١١٠.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مرجع سابق، ١/١٤.

صور الزندقة التي تظهر في أي زمان، وتدفع اليأس عمن قد تنكسر نفسه عند استطالة رقاب الزنادقة وتسلطهم على بعض المسلمين في بعض الأوقات والأمصار، فتجبر كسر نفسه وتوقد نور الأمل بنصر الله، وتبث في نفسه الجد والقوة في مواجهة الزندقة والتصدي لشرورها وكل صور الباطل والإفساد في الأرض.

٧/ أن معرفة الماضي تعين على فهم الحاضر، وفي دراسة الجذور التاريخية للزندقة، وفرقها وأعلامها، زيادة فهم وعلم بحقيقة الزندقة، وما فيها من شرور على دين الناس ودنياهم وإن اختلفت العصور والأمصار، فزندقة العصر الحاضر هي امتداد لجذور زندقة قديمة ظهرت في العصور الأولى، وإن تغيرت أسماء الأشخاص ومسميات الفرق والجماعات، إلا أن الأصول العقدية واحدة، وبمعرفة الماضي يُختصر وقت البحث عن حقيقة عدائهم للإسلام، وسوء عاقبة ما يدعون إليه، فيستطيع المحتسبون من خلال معرفتهم بأصولها وأبرز أعلامها القدماء إدراك ما عند المعاصرين من المنكرات والمنهج الأنفع في الحسبة عليهم.

٨/ في كثير من كتب التاريخ والعقيدة والحسبة التي كتبت في العصر العباسي قصص وأحكام ومناظرات علمية لعلماء من السلف الصالح مع بعض الزنادقة، وهي مصادر أصيلة في بيان حكم الزندقة والزنديق، وكيفية بيان حقيقته، والرد على ما يثيره من الشبهات والطعون في نصوص الوحي، وهي جديرة بالتحقيق والدراسة بهدف الاستفادة منها في الحسبة على الزنادقة من مختلف أصناف المحتسبين وبكافة درجات الحسبة المشروعة في الحسبة على الزندقة.

٩/ زيادة اليقين بحفظ الله ﷻ للدين الإسلامي ونصره لأهله أهل السنة والجماعة؛ فمن تأمل ما جرى على يد أعلام الزنادقة وفرقهم من مكائد وإفك للقضاء على الإسلام، وما ادعوه من تأويلات باطلة لآيات القرآن الكريم، وسعيهم في دس أحاديث مكذوبة في كتب الحديث النبوي، يعجب للوهلة الأولى من بقاء الإسلام قويًّا عزيزًا، ومن كثرة الداخلين في دين الله أفواجًا رغم كل تلك المكائد من الزنادقة وغيرهم، لكن سرعان ما يذهب هذا العجب عند استحضار قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩]، فمكائد الزنادقة التي كانت قبل العصر العباسي وأثناءه وبعده لم تفلح ولن تفلح في تغيير شيء من الدين الإسلامي، وسيظل دين الله محفوظًا من الحفيظ العزيز.

الخاتمة

أبرز النتائج.

التوصيات.

الخاتمة

الحمد لله على عونه وتيسير إتمام الكتابة في هذه الدراسة العلمية عن الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي، والتي خلصت فيها إلى جملة من النتائج أوجزها فيما يلي:

١/ يعدُّ عصر الدولة العباسية من أطول عصور الدول الإسلامية حيث امتد من عام ١٣٢-٦٥٦هـ، وتحقق للدولة الإسلامية في هذه الفترة نهضة حضارية في كافة المجالات: العلمية والإدارية والاقتصادية، ولم يخلُ الأمر من بعض المزالق والمآخذ في ذات المجالات العلمية والإدارية والاقتصادية، إلا أن الطابع العام والغالب هو تحقيق مكاسب حضارية بقيت إلى عصرنا الحاضر، وبخاصة ما تعلق بالجانب العلمي، فما تحقق فيه يعد بحق ثروة علمية أصيلة لا غنى للعلماء والباحثين في علوم الشريعة واللغة والتاريخ عنها.

٢/ اختلفت آراء العلماء في تاريخ نشأة ولاية الحسبة، إلا أن الجميع متفق على أنها في العصر العباسي كانت أدق وأوسع مما سبقها من العصور من حيث التنظيم الإداري باعتبارها ولاية رسمية لها مخاطباتها الرسمية ومقر خاص بها وسجلات وأعوان وأدوات ومهام معلومة، وجاء ذلك تلبية لحجة ضرورية نتيجة ازدهار الحياة الاقتصادية وكثرة الناس وظهور المنكرات.

٣/ كانت بداية ظهور أثر الزندقة على المجتمع المسلم فكريًّا وعمليًّا في العصر العباسي نتيجة عوامل عدة أبرزها: تفاقم مشكلة الخلل في مصادر التلقي؛ حيث فتن بعضهم بكتب الفلسفات الإلحادية والديانات الشركية، وغلبوا الأهواء والعقول السقيمة، وجعلوها حاكمة على نصوص الوحي مقدَمة عليها. ويضاف على هذا نشاط حركة الترجمة لكتب الفلسفة والأديان والأدب الفارسي واليوناني والهندي وغيرها دون الخضوع للفحص والتنقيح على أيدي مترجمين ثقات، فترجمت الكتب بعلاتها وضلالاتها. وثالث تلك العوامل كيد أهل البلاد المفتوحة للإسلام وأهله، فحينما لم يستطيعوا مواجهة الفتح الإسلامي بقوة السيف اتخذوا الفكر الفاسد سلاحًا في محاربة الإسلام وتشكيك أهله فيه، ونشر الفكر المنحرف بينهم.

٤/ كان للزندقة في العصر العباسي أعلام بارزة، لم يألوا جهداً في محاربة عقيدة التوحيد والعبث في الشريعة الإسلامية، وتشكيك الناس في ثوابت الدين، استمالوا الناس ببعض المخاريق وسن شرائع تميل لها الأهواء وتبيح لهم ما يشتهون، ونشأ على أيدي بعض الزنادقة فرق وجماعات،

بعضها مازال لها في عصرنا الحاضر وجود ولعقائدها أتباع.

٥/ كانت أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي تدور في فلك ثلاثة مجالات: أولها وأهمها مجال العقيدة الذي أولاه المحتسبون عناية خاصة وكان له النصيب الأكبر من أعمالهم في الحسبة، فهو المكون الأول للبناء الإيماني في الفرد والمجتمع، والوتد المتين الذي تقوم عليه قوة الدولة الإسلامية وصلاح حال أفراد المجتمع وقوة ترابطهم. وثانيها الشريعة التي سعى الزنادقة في العبث بها، فجعلوا المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فعمل المحتسبون على إقامة المعروف وبيانه، والنهي عن المنكر وتغييره، كل حسب قدرته وما له من صلاحيات. وثالثها الأخلاق التي هي التجسيد العملي لسمو الإسلام وارتقائه بأهله إلى المكارم، والترفع بهم عن الرذائل وقبائح المسالك.

٦/ عند النظر في أعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي الممتد خمسة قرون تقريباً، يُلاحظ تفاوت أعمال الحسبة؛ ففي بعض الفترات كانت قوية ومؤثرة، قام بها الخليفة والأمير والعالم والمحتسب الرسمي وغيرهم وخير مثال على هذه الفترات عصر الخليفة المنصور والرشيد والمهدي والمتوكل والقائم بأمر الله، وفي فترات أخرى ضعفت أعمال الحسبة الرسمية من الخليفة والأمير والمحتسب المعين من الخليفة لكنها بقيت حاضرة من العلماء وغيرهم من المحتسبين، ولهذا الضعف أسباب منها: تأثر الخليفة ببعض المعتقدات الباطلة كحال الخليفة المأمون والمعتصم والواثق الذين وقعوا تحت تأثير الاعتزال، والناصر لدين الله الذي تشيع، أو ضعف الخليفة وسيطرة بعض الوزراء من المبتدعة كالرافضة على إدارة ولايات الدولة، كما كان في عصر الخليفة المطيع لله والطائع لله، فقد ضعفت أعمال الحسبة على الزنادقة وإن بقيت على يد العلماء وثلة قليلة من غيرهم من المحتسبين، ومعلوم أن حرص الحاكم على إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومتابعة أعمال الحسبة على الزندقة وغيرها من صور الضلال والإفساد أقوى وأسرع نفعاً لأن بيده تطبيق العقوبات الشرعية التي تقطع يد المفسد المعتدي ورأس الزنديق، وبيده الإذن والأمر بإتلاف كتب الضلال والزندقة، فإذا ما ضعف الحاكم في الحسبة فإن دائرة المنكر تتسع ويزداد المفسدون جرأة في العبث والإفساد في البلاد وبين العباد.

٧/ رغم جودة تنظيم ولاية الحسبة في العصر العباسي، وسعة مجالات عمل المحتسب، إلا أن المدون عن أعمالها في الحسبة على الزنادقة قليل جدًّا، على عكس ما دوِّن عن أعمالها في

الحسبة على السوق، ولعل السبب طبيعة الزندقة؛ فهي تحتاج إلى علم راسخ بالوحي؛ لأن الزنديق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والحكم على الباطن من خلال بعض ما يظهر منه يحتاج إلى بينة وشهادة، وهذه ليست من صلاحيات المحتسب، والنظر في حال الزنديق والحكم عليه يحتاج إلى علم الفقهاء وسلطة الخلفاء.

٨/ تعدُّ الزندقة من أسوأ النوازل التي وقعت في العصر العباسي واشتد خطرها وكثر المغترون بها ممن غلب عليه الجهل بالدين؛ فالزنديق يلبس لبوس العلم، ويتدثر بدثار نفع الناس، ولا يفضح حقيقته ويعري مقاصده الحقيقية إلا الراسخون في العلم، وبفضل الله قامت ثلة مباركة من العلماء الراسخين في العصر العباسي ببيان العقيدة الإسلامية بالدليل الصحيح والحجة القطعية، وحرسوا الشريعة من صولة الصائلين وتعدي المعتدين، وردوا على دعاة الزندقة وأشباههم، وناظروهم وأفتوا في حكم ما يعقدونه من الباطل وما يستحقونه من العقوبات، فكانوا من أسباب حفظ الوحي من كذب الزنادقة وتأويلاتهم الفاسدة، وبقيت أعمالهم وكتبهم نبعًا صافيًا لا ينضب إلى قيام الساعة في كشف حقيقة الزندقة، وبيان المنهج الشرعي في التعامل مع الزندقة والزنادقة، فجزاهم الله عن الأمة كل خير.

٩/ كان المقصد من أعمال الحسبة في العصر العباسي على الزنادقة حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهي ضروريات لا تستقيم الحياة بدونها، ولا تقوم للدولة قائمة وهيبة إلا بها، ولا يحفظ على الناس أمنهم وإيمانهم إلا بحفظها وإحاطتها بسياج متين أساسه إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠/ للحسبة على الزنادقة درجات تتناسب مع حال المحتسب عليه والمحتسب فيه وصلاحيات المحتسب، وهي درجات تندرج تحت مرتبتين من مراتب تغيير المنكر: التغيير باليد والتغيير باللسان.

١١/ كان تغيير منكرات الزنادقة بمرتبة اللسان يبدأ بدرجة التعريف؛ حيث يبين المحتسب المعروف الذي جاءت به الشريعة مما تركه الزنديق، ويبين المنكر الذي وقع فيه الزنديق أو دعا إليه، ويرد على شبهات الزنديق وأباطيله، ولم يكن هذا البيان قولًا يُدَّعى، بل أقوالًا تستند على الدليل الصحيح والحجة القطعية، وحرص المحتسبون على بيان حقيقة عقائد الزنادقة ومقاصدهم، والواجب في الحسبة عليهم. ومن الحسبة باللسان استخدام التوبيخ والزجر مع

الزنديق والمنخدعين به معذرة إلى الله ورجاء كف شـــره عن الناس وتبصـــير المنخدعين بخطورة الزنديق وشـر مألات اتباعه، ومن الحسـبة باللسـان درجة التشـهير، فيعلن بين الناس بأن فلانًا زنديق مارق عن الدين حتى لا ينخدع الناس به، ويحذروا من مســـلكه، وعقوبة للزنديق على سوء فعله.

١٢/ كان تغيير منكرات الزنادقة بمرتبة اليد على قسمين:

أ/ تغيير باليد يقع على المحتسـب فيه، وصـورته تمزيق كتب الزندقة وحرقها، وشـق أوعية الخمر التي استباحها بعض الزنادقة.

ب/ تغيير باليد يقع على المحتســـب عليه وهو ذات الزنديق، وهو على درجات منها: درجة الضرب، ويكون إيقاع الضرب على الزنديق بالكيفية التي أمر بها السلطان أو أفتى بها الفقهاء، وتكون تارة بدرجة الحبس بأمر من الســـلطان أو من ينوبه، وتكون في أعلاها وأشـــدها قتلًا، والأصل أن القتل لا يكون إلا بفتوى الفقهاء وحكم القضاة بأنهم زنادقة مستحقون للقتل.

١٣/ في بعض وقائع الحسبة على رؤوس الزنادقة وأعلامهم الكبار في العصر العباسي يجمع في الحسبة عليهم بين أكثر من درجة؛ فيضرب ويشـهر به ويسـجن ويقتل، من ذلك الحلاج الذي جاء في الحســـبة عليه أنه أركب على جمل ونودي عليه: هذا داعي القرامطة! وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه الكفر والزندقة، ثم قتل.

١٤/ كان لأعمال الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي آثار حسنة على مختلف الأصعدة؛ فعلى صـعيد قوة سـلطة الخليفة وهيبة الدولة كانت أعمال الحسـبة على الزنادقة تدل على قوة سلطة الخليفة ونفوذه، ولذلك انعكاسه الإيجابي على استقرار الدولة داخليًّا وهيبتها في الداخل والخارج. كما أن لها أثرًا عظيم النفع على الصعيد العلمي؛ حيث جد العلماء والكتاب في كتابة ونشر العلم بين الناس في مختلف فنون الشريعة الإسلامية، ودونت مناظرات وردود علمية متقنة على كثير من فرق الزندقة ورؤوســـها. كما كان لها أثر طيب على الصـــعيد الاجتماعي؛ حيث نعم المجتمع العباسي في كثير من سنوات حكم العباسيين بالأمن والازدهار.

١٥/ في دراسة تاريخ الحسبة على الزنادقة في العصر العباسي تأكيد لحقيقة ديمومة الصراع بين الحق والباطل، وأن العاقبة للحق وأهله، وأن الحق كالغيث المبارك يعلو وينفع الناس، وأن الباطل

لا تكون له الصولة إلا في غفلة وضعف من أهل الحق، وأن صولة الباطل لا تدوم فهو كزبد البحر قد ينتفش بعض الوقت لكن سرعان ما يذهب جفاء؛ فالعاقبة للمتقين، وللحق الظهور والعلو، والناظر في حال الزندقة في العصر العباسي وأعمال الحسبة عليهم يخرج بجملة من الدروس والفوائد فيما يخص أسباب ظهور الزندقة؛ ليحذر منها، ويجنب البلاد والعباد شرورهم، وما يجب في الحسبة على الزنادقة على هدى من منهج النبي ﷺ في الحسبة ليتحقق العلو للحق وأهله ويندحر الباطل وأتباعه.

التوصيات:

خير ما يوصي العبد به نفسه وإخوانه تقوى الله ﷻ في السر والعلن، والجد في النهل من ميراث النبي ﷺ بطلب العلم وسؤال الله الزيادة منه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]، مع القيام بواجبه في العمل به وتبليغه.

أما ما يتعلق بموضوع هذا البحث العلمي خاصة فأوصي الباحثين والباحثات بمزيد عناية بتاريخ الحسبة، ودراسة الحسبة على العقائد الفاسدة، فما هذا البحث إلا قليل من كثير مادة علمية ضمت ثلاثة علوم: العقيدة والحسبة والتاريخ، وأرى –والله أعلم– أنه يمكن تقديم دراسة علمية تتناول بعض فصولها باستفاضة ومزيد استقراء واستنباط، ومن الموضوعات التي تستحق مزيد دراسة: جهود علماء أحد العصور الإسلامية في الحسبة على الزنادقة، أو تخصيص علماء فن من الفنون بدراسة علمية في مجال الحسبة كجهود علماء التفسير في الحسبة على الزندقة، أو جهود علماء الحديث في الحسبة على الزندقة، ويمكن تناول جهود حكام بعض العصور الإسلامية في مواجهة منكرات الزندقة، ويمكن دراسة شواهد استخدام درجات الحسبة على الزنادقة في بعض العصور الإسلامية بالتأصيل ومناقشة ما قد يقع في بعض الشواهد من اجتهادات خاطئة.

وخاتم الوصايا وصية القارئ لهذا البحث بالحرص على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هدى ونور من كتاب الله العزيز وسنة رسوله محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾	٣٤	١٩٩
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾	٥٩	٤٦
﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾	٩٣	١٦١
المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾	٣	١٥٥
﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾	٣٢	١٦١
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	٣٨	١٧٦
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾	٥٥	١٧٥
﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	١١٩	٨٨
الأنعام		
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾	١١	٣-٢١٩
﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾	١٥١	١٦١

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	١٥٣	٢
الأعراف		
﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾	١٦٤	١٨٠
الأنفال		
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾	٣٩	٢٠٩
التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٣٢	١٥٨
﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾	٧٣	٢٠٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	١١٩	٨٧
هود		
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾	١١٨-١١٩	٨٢
الرعد		
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٧	٢٢٣
الحجر		
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٥٨-٢٢٧
النحل		
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾	٣٦	٨١-١٥٩
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾	١١٦	٨٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
الإسراء		
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾	٣٣	٢٠٧
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	٣٦	٥٨
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾	٧٠	١٦٧
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	١٩٥
﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾	١٠٢	١٨٠
طه		
﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾	٥٤	١٦٦
﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾	٥٩	٧٣
﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ ﴾	٩٧	١٩٥
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٢٢
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	٢٣٣
الأنبياء		
﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	١٨٦
الحج		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ ﴾	٢٥	٧١
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾	٤٠	٢١٥-٢٢٣

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾	٤١	٩١-١٥٩-٢١٥
النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾	٢	١٨٠-١٨١-١٨٩
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾	٥٥	٢١٥
الفرقان		
﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾	٤٤	١٧١
النمل		
﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٦٤	١٦٧
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	٦٩	٢١٩
القصص		
﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾	٢٦	٢٢٠
﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٥٠	٤٨
العنكبوت		
﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	٢٠	٢١٩
الروم		
﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	٤	٢٢٣
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾	٣٠	٨١

الآية	رقمها	رقم الصفحة
الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨	٨٤
الفتح		
﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾	٢٩	١٣٣
الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾	٦	٥٧
المجادلة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	١١	٢٢
الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾	٨	١٣٣
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	١٣٣
الصف		
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨	٥٤
الطلاق		
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ﴾	٢-٣	٣٠
الملك		
﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	١٠	١٦٦
الفجر		
﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾	٥	١٦٦

الآية	رقمها	رقم الصفحة
العاديات		
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٨	١٧٥

فهرس الأحاديث

فهرس المراجع

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيدالله بن محمد بن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط٢ (الرياض: دار الراية، ١٤١٩هـ).

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، ناصر محمد رمضان، د.ط (القاهرة: دار غريب، د.ت).

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د. محمد حلمي محمد، ط٢ (القاهرة، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤١٦هـ).

اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط١ (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ).

أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، تخريج وتعليق: خالد عبداللطيف العلمي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ط٣ (دمشق: دار الفكر، ١٤٣٢هـ).

أخبار القضاة، محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، د.ط (بيروت: عالم الكتب، د.ت).

آداب الشافعي ومناقبه، عبدالرحمن بن محمد التميمي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

الآداب الشرعية، عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط٣

(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ).

أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالله بن يحيى السريحي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ).

أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية، نضال عبد العال أمين، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٤٠٧هـ.

إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، ط١ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٢هـ).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).

الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، أنور الرفاعي، ط٣ (دمشق: دار الفكر، ١٤١٧هـ).

الإسلام وضرورات الحياة، عبدالله قادري الأهدل، ط٢ (د.م: د.د، ١٤١٠هـ).

إسلامية لا وهابية، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: دار كنوز إشبيلية، ١٤٢٥هـ).

أصول الحسبة في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة، د. محمد كمال الدين إمام، ط١ (القاهرة: دار الهداية، ١٤٠٦هـ).

الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق ودراسة: د. هشام بن إسماعيل الصيني، ط٢ (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ).

الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ).

الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، د.ط (بيروت: دار الفكر، د.ت).

أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر ابن

عاشور، ط١ (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٧هـ).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، ط١ (الشارقة: مكتبة الصحابة، ١٤٢٦هـ).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط٢ (الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ).

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

البدع الحولية، عبدالله بن عبدالعزيز التويجري، ط١(الرياض: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ).

بغية المُرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، الإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. موسى بن سليمان الدويش، ط٣ (د.م: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ).

البلدان، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

البنية الإدارية للدولة العباسية، د. عبدالكريم بن عبده حتاملة، ط١ (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ).

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني المشهور بمرتضى الزبيدي، راجعه: عبدالستار أحمد فرج، د.ط (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ).

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ط٨ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالرحمن تدمري، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ).

التاريخ الإسلامي الوجيز، د. محمد سهيل طقوش، ط٥ (بيروت: دار النفائس، ١٤٣٢هـ).

التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ط١٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٧م).

التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط٦ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢١هـ).

تاريخ الأمم والملوك، الإمام محمد بن جرير الطبري، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

تاريخ الأمم والملوك، الإمام محمد بن جرير الطبري، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (بيروت: دار سويدان، د.ت).

تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ).

تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، د.ط (د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، عبدالمجيد البدوي، ط٢ (المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ).

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ).

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢ (سروش: د.د، ٢٠٠٠م).

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، د.ط (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت).

تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، د.ط(الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣هـ)

تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، محمد بن أحمد التلمساني، تحقيق:

علي الشنوفي، د.ط (دمشق: المعهد الثقافي الفرنسي، ١٩٦٧م).

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. أحمد بكير محمود، د.ط (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت).

التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ).

التصنيف في علم الحسبة في الدولة الإسلامية: نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، د. حسام الدين السامرائي، مجلة الدرعية، العددان: الرابع والخامس والأربعون، ١٤٣٠هـ.

التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، د.ط (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت).

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ).

تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، ط١ (بيروت: دار القلم، ١٤٠٣هـ).

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ).

تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط١ (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ).

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

توجيهات وذكرى، د. صالح بن عبدالله بن حميد، ط٣ (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ١٤١٩هـ).

الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد العطار، د.ط

(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

الحجة في بيان المحجة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ط١ (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ).

الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢ (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

حراسة العقيدة، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ).

الحسبة في الإسلام، د. إبراهيم دسوقي الشهاوي، د.ط (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨٢هـ).

الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، د. علي بن حسن القرني، ط٢ (الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٢٧هـ).

الحسبة في النظام الإسلامي: أصولها الشرعية وتطبيقاتها العملية، رسالة ماجستير للأستاذ: إدريس محمد عثمان، رسالة ماجستير منشورة في الشبكة العنكبوتية بصيغة ملف نصي (word).

الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، سهام مصطفى أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ).

الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبدالعزيز بن يحيى الكناني، تحقيق: د. جميل صليبا، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ).

خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، ط١ (الرياض: دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ).

درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ).

دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، أ.د. ناصر عبدالكريم العقل، ط١

(الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٨هـ).

دراسات في الحضارة الإسلامية، د. حسن الباشا، د.ط (القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٥م).

دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، د. أمينة البيطار، ط١ (الرياض: مكتبة دار القلم والكتاب، ١٤١٨هـ).

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).

دول الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: حسن مروة، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م).

الدولة العباسية، د. أسامة أبو طالب، ط١ (عمان: دار البداية، ١٤٣٥هـ).

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، ط٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ).

ذم الكلام وأهله، عبدالله بن محمد الهروي، تحقيق: عبدالرحمن عبد العزيز الشبل، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ).

ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد السلامي الحنبلي، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ).

الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، قدم له وخرج أحاديثه: بدر البدر، ط١ (حولي: الدار السلفية، ١٤٠٥هـ).

الرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، ط١ (الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).

الردود، بكر بن عبدالله أبو زيد، ط١ (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ).

الرسالة المستظرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، ط٥ (بيروت:

دار البشائر الإسلامية، ١٤١٤هـ).

زبدة الحلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، د. سعد بن فلاح العريفي، ط١ (الرياض: دار التوحيد، ١٤٣٤هـ).

الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، د.ط (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤م).

السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين المقريزي أحمد بن علي العبيدي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حققه وعلق عليه وحكم على أحاديثه: عصام بن موسى هادي، د.ط (الجبيل: دار الصديق، ١٤٣٤هـ).

سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ط٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ).

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط١ (القاهرة: دار المنهاج، ١٤٢٣هـ).

سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ).

سيرة الإمام أحمد بن حنبل، صالح بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط٢ (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٤٠٤هـ).

الشافي شرح مسند الشافعي، ابن الأثير الجزري، اعتنى به: محمد بن رياض الأحمد، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد ابن العماد العكري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الحافظ هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد

بن سعد الغامدي، ط٣ (الرياض: دار طيبة، ١٤١٥هـ).

شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ط٢ (الرياض: دار المسير، ١٤٢٠هـ).

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

شرح السير الكبير، محمد بن أحمد السرخسي، د.ط (د.م: الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م).

شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق: د. عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، د.ط (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).

شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ).

الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط٢ (الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠هـ).

الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالله الحلواني ومحمد كبير شودري، ط١ (الدمام: رمادي للنشر، ١٤١٧هـ).

صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤١٤هـ).

الصحيح الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق ومراجعة: محب الدين الخطيب وآخرين، ط١ (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ).

صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ).

الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ).

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٢ (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ).

صون المنطق والكلام عن فنّي المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي النشار وسعاد بنت علي، ط٢ (القاهرة: الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٩هـ).

ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت).

ضعيف سنن الترمذي، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ).

ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، ط٤ (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ).

طبقات الحنابلة، محمد بن ابن أبي يعلى الفراء البغدادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، د.ط (بيروت: دار المعروفة، د.ت).

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي و د. عبدالفتاح الحلو، ط٢ (القاهرة: دار هجر، ١٤١٣هـ).

طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد الشهبي المعروف بابن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).

طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ط٣ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين الخطيب، ط١ (بيروت: دار البشائر، ١٤١٣هـ).

طبقات المفسرين، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١ (د.م: مطبعة الحضارة العربية، ١٣٩٦م).

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ).

العباسيون الأوائل، أ.د. فاروق عمر فوزي، ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ١٤٢٤هـ).

العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

العبودية، الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط٣ (الإسماعيلية: دار الأصالة، ١٤١٩هـ).

العصر الذهبي للدولة العباسية، د. محمد السيد الوكيل، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ).

العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، د. عبدالعزيز الدوري، ط٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م).

عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، تقي الدين الفاسي، ضبطه وعلق عليه: علي حسن علي عبد الحميد، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٠٨هـ).

علم الحسبة بين النظرية والتطبيق، دراسة وتحقيق: د. أحمد محمد المنبجي، ط١ (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٥هـ).

علماء العرب وما أعطوه للحضارة، قدري حافظ طوقان، د.ط (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت).

العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عبدالله البراك، ط١ (الرياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ).

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد الغيتابي العيني، د.ط(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله الشهير بابن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤ (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ).

العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط١ (بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، د. فتحي محمد الزغبي، ط١ (طنطا: مطابع غباش، ١٤٠٩هـ).

الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر، ط٣ (دمشق: مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ).

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي المشهور بابن الطقطقي، تحقيق: عبدالقادر محمد مايو، ط١ (بيروت: دار القلم العربي، ١٤١٨هـ).

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد الخشت، د.ط (القاهرة: مكتبة ابن سينا، د.ت).

الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد المعروف بابن حزم، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).

فضائح الباطنية، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، د.ط (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت).

الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد، د.ط (طهران: د.د، ١٣٩١هـ).

فوات الوفيات، محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م).

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ).

القرامطة، عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، ط٥ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ).

القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ).

قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عبد العزيز بن عبدالسلام السلمي، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، د.ط (بيروت: دار العلوم الحديثة، د.ت).

الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن بن أبي بكر بن داوود، تحقيق: د. مصطفى عثمان صميدة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الشهير بالخازن، د.ط (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ).

لسان الميزان، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، ط١ (بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ).

مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٢هـ).

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط٢ (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).

المجروحين من المحدثين، محمد بن حبان التميمي، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط١ (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ).

مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر لليعقوبي، تحقيق: د. مضيوف الفرا، العدد الخامس، عام ١٤١٤هـ.

مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).

محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، محمد الخضري بك، تحقيق: محمد العثماني، ط١ (بيروت: دار القلم، ١٤٠٦هـ).

محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، د. يوسف العش، حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق، ١٣٩٦هـ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط١ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ).

المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، أ.د. عمر بن سليمان الأشقر، ط١ (عمان: دار النفائس، ١٤٢٥هـ).

مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي، د.ط (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م).

المراسيل، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ).

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد الهروي القاري، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ).

مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، شرحه: د. مفيد قميحة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ).

المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د. فاروق حمادة، ط٣ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ).

معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد بن عبدالله النمر وآخرين، ط١ (الرياض:

دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ).

معالم الحضارة العربية الإسلامية في القرن الثالث الهجري، أحمد عبدالباقي، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م).

معالم القربة في أحكام الحسبة، محمد بن محمد ابن الأخوة، د.ط (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ).

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).

معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).

معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط١(بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وآخرون، ط١ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٨هـ).

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ).

المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٢هـ).

المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ).

مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ).

المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد بن أحمد اليوبي، ط١

(الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).

مقاصد الشريعة الإسلامية، زيد بن محمد الرماني، ط١ (الرياض: دار الغيث للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط١ (عمان: دار النفائس، ١٤٢٠هـ).

مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، تحقيق: د. إسماعيل الحسني، ط١ (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٣٢هـ).

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ).

مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ط١ (دمشق: دار يعرب، ١٤٢٥هـ).

الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، د.ط (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٠هـ).

مناقب الإمام أحمد، عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط٢ (الرياض: دار هجر، ١٤٠٩هـ).

مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١ (القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٣٩٠هـ).

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد ومصطفى ابنا عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ).

منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط٢ (الكويت: الدار السلفية، ١٣٩٧هـ).

المنهاج شرح صحيح مسلم، الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي العبيدي المعروف بالمقريزي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ضبط وتعليق: مشهور آل سلمان، د.ط (الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).

المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، حسام الدين السامرائي، ط١ (د.م: دار الفكر العربي، د.ت).

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، ط٨ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٥م).

الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، د.ط (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢ (الكويت: دار السلاسل، ١٤٠٤-١٤٢٧هـ).

موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين، ط١ (جدة: دار الوسيلة للنشر والتويع، ١٤١٨هـ).

الموضوعات، عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط١ (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ).

الموطأ، مالك بن أنس المدني، رواية يحيى بن يحيى الليثي، حققه وخرج أحاديثه: د. بشار عواد معروف، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٦هـ).

موقف الإمام أحمد من الزنادقة والجهمية، عيسى يوجاأر مصطفى، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى، قسم العقيدة، عام ١٤٠٦هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، د.ط

(بيروت: دار المعرفة، د.ت).

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، ط٧ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م).

نصاب الاحتساب، عمر بن محمد السّنامي، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، ط١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٤هـ).

نظام الحسبة في الإسلام: دراسة مقارنة، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، طبعة الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإدارة العامة للتوعية والتوجيه.

نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون نشأته وتطوره، رشاد عباس معتوق، ط١ (جدة: مطابع دار البلاد، ١٤٠٢هـ).

نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، السيد محمد عبدالحي الكتاني، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط٢ (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت).

النظام القضائي في الدولة الإسلامية، أ.د. أحمد إسماعيل الجبوري، ط١ (عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون، ١٤٣٤هـ).

نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة، أحمد تيمور باشا، ط١ (بيروت: دار القادري، ١٤١١هـ).

النظم الإسلامية، د. حسن إبراهيم حسن، د. علي إبراهيم حسن، د.ط (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت).

النظم الإسلامية، د. عفاف صبرة ومصطفى الحناوي، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٢٥هـ).

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد، تحقيق: د. رشيد بن حسن الألمعي، ط١ (الرياض: الرشد للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ).

نقض المنطق، الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرزاق حمزة، وسليمان

بن عبدالرحمن الصنيع، د.ط (القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، د.ت).

نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المحتسب، تحقيق: حسام الدين السامرائي، د.ط (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٨م).

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، قام على نشره: السيد الباز العريني، د.ط (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٥هـ).

النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١ (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).

النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، د. فتحي زغروت، ط١ (القاهرة: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ).

نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣هـ).

هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر، ط٣ (دمشق: مكتبة دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ).

دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، د.ط(بغداد: مطبعة العمال المركزية، د.ت).

الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

وراقو بغداد في العصر العباسي، د. خير الله سعيد، ط١ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ).

الوراقون والنساخون ودورهم في الحضارة العربية الإسلامية، د. سيد أحمد الناصري، مجلة الدرة، العدد الرابع، ١٤٠٩هـ.

الوزراء والكتاب، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، د.ط (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م).

الوزراء، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، د.ط (د.م: مكتبة الأعيان، د.ت).

الوضع في الحديث، د. عمر بن حسن فلاته، د.ط (دمشق: مكتبة الغزالي، ١٤٠١هـ).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ).

البحوث العلمية:

تأصيل الحسبة في الكتاب والسنة، د. صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، بحث قدم لندوة الحسبة وعناية المملكة العربية السعودية بها عام ١٤٣١هـ، نظمتها الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعزيز ثقافة الحسبة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، قدم لمؤتمر التطبيقات المعاصرة للحسبة في المملكة العربية السعودية في الرياض، عام ١٤٣٣هـ.

فهرس الموضوعات